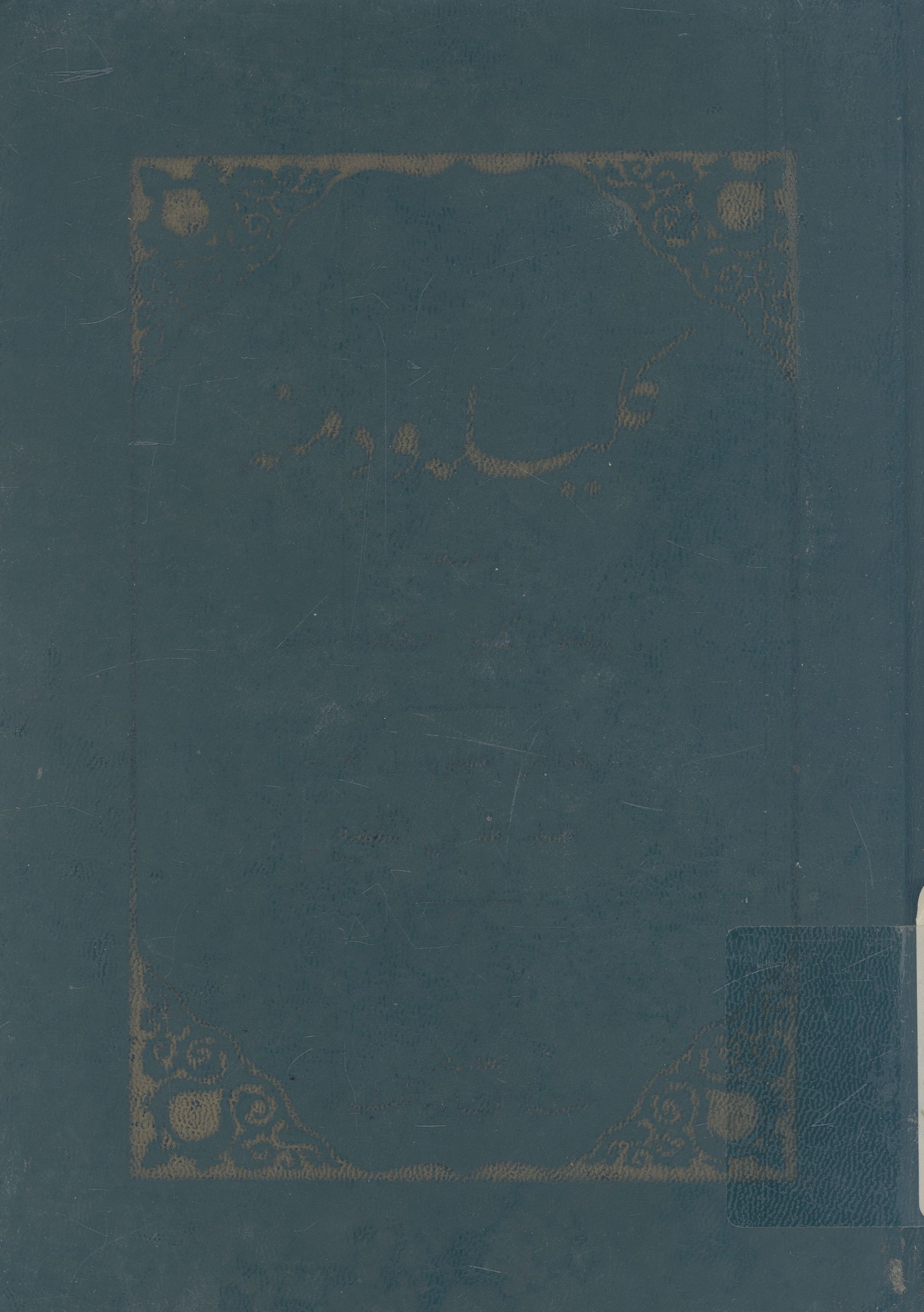
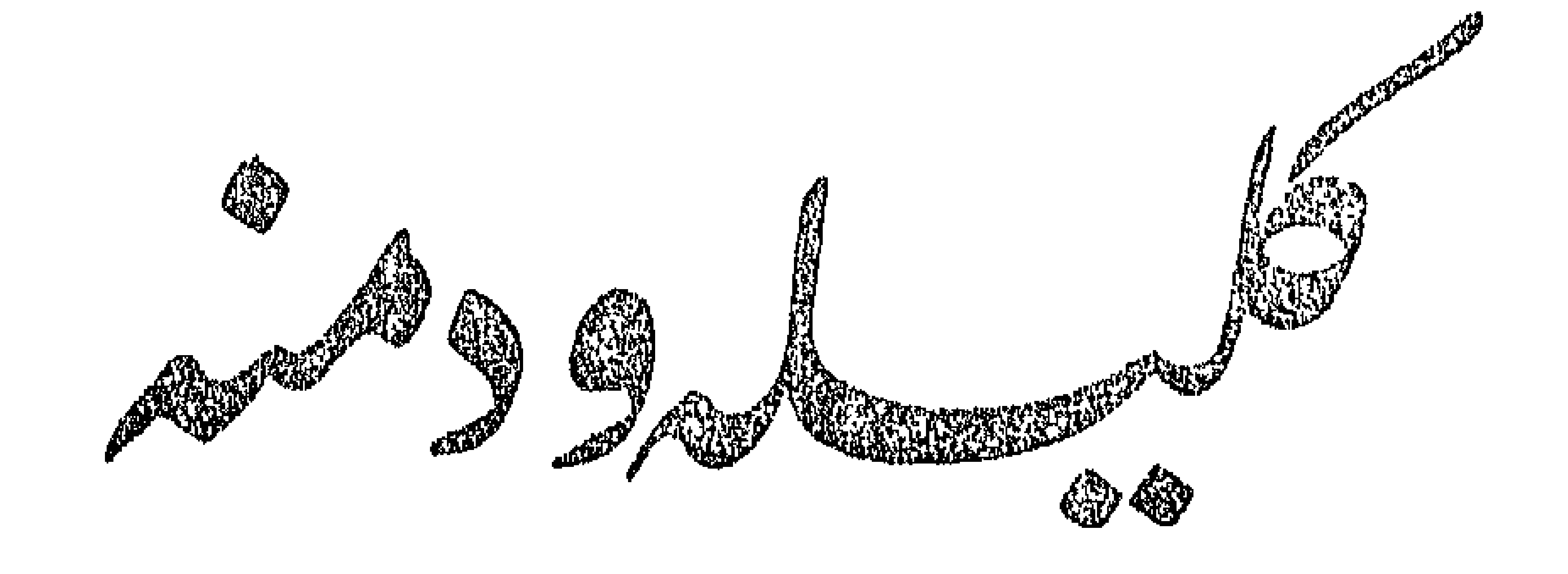




وضعه

(بيدبا) كبير حكماء الهند

ونقله من الفهلوية الى العربية

عبد الله بن المقفع

عنى بضبطه وتشكيله شكلا كاملا وتفسير
مشكله ووصف مافيه من الحيوان والطير

محمد حسن نائل المرصفى

صاحب جريدة الجديد ، شهر زاد ، والمسامرات

أكثر من مائة منظر مصور

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله وشكره ، والصلاة والسلام على رسوله ، فهذه هي الطبعة الرابعة من هذا الكتاب الخالد « كليلة ودمنة » اقدمه الى النشء الكريم ؛ عسى ان يفيدوا منه ما افاد غيرهم من قبل ، بعد ان بذلنا فيه جهدا لا (بأس به) من تصوير وتخييل وشكل وتحقيق وشرح

على أنه قد اصبح (بتوفيق الله وهذا الجهد) الكتاب المدرسي الوحيد ؟

محمد المرصفي

فهرس تاريخ كليلة ودمنة

فهرس حياة ابن المقفع

فهرس أبواب كليلة ودمنة

فهرس الصور

صفحة

صفحة

فهرس الحواشي

تاريخ كليلة ودمنة

ومنه يتجلى فضل هذا الكتاب وتمثل فيه
عناية الأمم به منذ وضعه الى الآن بالترجمة تارة
وبالبحث أخرى . وهو للمؤرخ الكبير جورجى
بك زيدان مؤسس مجلة الهلال مستعيناً بآراء
المستشرقين ومن عنوا بالكتاب وحفلوا به

(تمهيد)

لكل شيء تاريخ حتى النبات والجماد ، فاذا مررت بشجرة فى صحراء لم يمر بها أحد قبلك ، ورأيت فى ساقها اعوجاجاً وفى أغصانها انحرافا ، أو رأيت فى قاعدتها نخراً أو تجويفاً أو نحو ذلك مما يصيب النبات من آثار العوامل الجوية والطيور والحشرات ، علمت ماقاسته تلك الشجرة من مصادمة الرياح العاصفة والصواعق المنقضة ، وما انتابها من مخالب الكواسر وقواضم الحشرات — وهو تاريخها — وإذا كنت عالماً بنواميس النبات لم يعجزك تعيين زمن بعض تلك النوازل بالشهر أو العام . وقد يقع نظرك هناك على حصاة ملساء فتدلك القواعد الجيولوجية على مامر بها من الكوارث والطوارىء منذ آلاف من السنين . فاذا كان ذلك شأن ماليس للانسان دخل فيه ، فكيف فيما كان من صنع يده وقد نفخ فيه من روحه ورصعه بشيء من جمال ذوقه : كالأبنية والمسلات وسائر المنحوتات والمصنوعات مما نراه فى المتاحف والمعارض ، فان لكل من تلك الآثار تاريخا منذ خرج من أيدى صانعيه إلى أن ظفر به النقابون ، وتاريخاً آخر منذ اكتشافه إلى الآن

وأجدر أعمال الانسان بالبقاء والتناقل حتى يطول تاريخها ماكان من ثمرة العقل ونتيجة إعمال الفكرة مما يتعلق بمصالح الناس ولاسيما فى أخراهم : كالشرائع الدينية والتعاليم الأخلاقية التى تحفظ فى الكتب فتتوالى عليها القرون وهى باقية بقاء الجبال ، إلا

ماقد تقتضيه نواميس العمران من الارتقاء . ولذلك رأيت لكل من كتب الشرائع تاريخاً طويلا بين نقل وشرح وترجمة وتعديل . اعتبر ذلك في التوراة وما مرت به من الأطوار منذ كتبت بالعبرانية وجمعت حتى ترجمت إلى اليونانية فالسريانية فاللاتينية فالعربية فالى سائر لغات العالم ، وما تخلل ذلك من الشروح والتعاليق . وانظر إلى الانجيل والقرآن وكتب سائر الأديان الكبرى كالبرهمية والبوذية والزردشتية وغيرها فان لكل منها تاريخاً

ويلي كتب الدين ـ بالنظر إلى طول البقاء والانتشار ـ كتب الأدب والأخلاق شعراً أو نثراً بخلاف كتب العلم الطبيعي ، فانها تنتقص بكرور الأيام . أما تلك فقلما يعتورها تغيير، لأن طبائع البشر ولا سيما إحساسهم النفساني ، لا يزال كما كان من أول عهد العمران . اقرأ مايقوله هوميروس أو امرؤ القيس أو غيرهما من قدماء الشعراء في وصف العواطف البشرية أو الانفعالات النفسية فتراهم يعبرون عن عواطفك ويدلون على احساسك . ولهذا السبب حفظ الناس تلك الأقوال وتداولوها وتناقلوها على تفاوت في ذلك يختلف باختلاف منزلتها من البلاغة والسهولة والفائدة وغيرها فعاش بعضها قروناً عديدة وترجم إلى لغات كثيرة فعاصر الدول القديمة والحديثة على اختلاف أطوار تمدنها وذهبت الدول وتبدلت العصور ولا تزال هي حية إلى الآن

ومن أقدم كتب الأدب وأكثرها تداولا وانتشاراً على اختلاف النزعات واللغات كتاب (كليلة ودمنة) فلا غرو إذا خصصنا الكلام فيه فصلا برأسه لما ستراه من أهميته وفضل صاحبه ومترجميه — وقد كتب في هذا الباب غير واحد من العلماء المستشرقين أشهرهم البارون دي ساسي الفرنساوي وبنفي ونولدكي

لألمانيان وكيث فالكونر الأنكليزى فاستعنا بآرأيهم وثمار أبحاثهم فيما نحن فيه فنقول :

(١) — تأليف هذا الكتاب فى اللغة السنسكريتية

هو كتاب فى إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندى اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرنا لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا إصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب ، وجعل النصح فيه على ألسنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة فى عصورهم القديمة فإنهم كانوا يروون الحكمة على ألسنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنون أن معظم مايتناقله الناس من أمثال هذه الأقاصيص أصله من الهند . وقد صنف فى هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء ويقال إن بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده فى نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه . وترجع مواضيع النصح فى هذا الكتاب إلى مايحتاج اليه الناس فى معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعى والنمام ، ووخامة خاتمة الأشرار ، ومنافع الأصحاب ، وعدم جواز الامن من كيد العدو ، ومضار الاهمال والغفلة ، وآفة التعجيل وفائدة الحزم ، وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى العواطف ، وضمنه حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع الى ١٢ بابا وهى :

(١) باب الأسد والثور

(٢) « الحمامة المطوقة

(٣) « البوم والغربان

(٤) « القرد والغيلم

(٥) باب الناسك وابن عرس
(٦) « الجرذ والسنور
(٧) « الملك والطائر فنزة
(٨) « الأسد وابن آوى والناسك
(٩) « اللبؤة والأسوار والشعهر
(١٠) « إيلاذ وبلاذ وإيراخت
(١١) « السائح والصائغ
(١٢) « ابن الملك وأصحابه

هـذه هي أبواب كتاب كليلة ودمنة عند منشاءه في اللغة السنسكريتية ، ثم أخذ الناس في نقله والزيادة فيه — فنقل الى اللغة التيبتية والفارسية ، ومن هـذه إلى العربية إلى معظم لغات العالم المتمدن حتى الفارسية والهندية فانهم نقلوه اليهما من اللغة العربية كما سيجئ

وقد نهض أهل النقد والبحث من العلماء المستشرقين في هذا العصر للتنقيب عن النسخة السنسكريتية الاصلية فلم يعثروا عليها ولكنهم،وقفوا على أبواب منها متفرقة في كتب الهند القديمةولا سيما المهابهاراتا والبانشاتانترا والهيتوباديسا — فوجدوا الابواب الخمسة الاولى من باب الأسد والثور إلى باب الناسك وابن عرس في كتاب البانشاتانترا ومعناه : الكتب الخمسة والثلاثة التالية وجدوها في كتاب المهابهاراتا ، ووقفوا على فصلين آخرين في الهيتوباديسا — ولذلك يظن الاستاذ بنفى صاحب البحث في هذا الشأن ان هـذه الأبواب لما ترجها برزويه الى الفارسية القديمة لم تكن مجموعة في كتاب واحد ، وإذا كان مؤلفها واحداً (كما زعموا) فانها تشتتت بعدذلك ودخلت في خلال كتب أخرى . فلما نقلها

برزويه جعلها كتابا واحدا عرف بهذا الاسم

(٢) — الترجمة التيبتية —

هى أولى الترجمات وأقدمها ولكنهم لم يعثروا إلا على قسم منها اكتشفه انطون شفنر — ولا بد من ترجمات أخرى تناقلتها الأمم المجاورة للهند فى الشمال وقد ضاعت بكرور الأعوام

(٣) — الترجمة الفهلوية أى الفارسية القديمة —

ظل هذا الكتاب محفوظا فى خزائن ملوك الهند يحرصون عليه حرصهم على أثمن الكنوز ، لا يسمحون لسواهم بالاطلاع عليه غير ماتقدم من نقله إلى التيبتية حتى القرن السادس للميلاد لما أفضى عرش فارس إلى كسرى أنوشروان ، وكان محبا لأسباب الاصلاح وأخذ فى نقل العلم والأدب فبلغه خبر هذا الكتاب فاستشار خاصته فى رجل يبعث به لهذه المهمة يكون عارفا باللسانين السنسكريتى والفارسى مع علم وفلسفة . فاختاروا له طبيباً فيلسوفا اسمه برزويه ابن أزهر . فأسر اليه أمر الكتاب وحرضه على نقله و نقل ما يتيسر من علوم الهند التى ليس فى اللغة الفارسية شيء منها وأمده بما يحتاج اليه فى سبيل ذلك الغرض . فسافر برزويه بعشرين جرابا من المال كل جراب فيه عشرة آلاف دينار حتى قدم بلاد الهند فجعل يجالس الحكماء ويسأل خواص الملك وجلساءه من العلماء والفلاسفة ، ويوهمهم أنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلم والأدب وأنه محتاج إلى معونتهم . ولم يزل كذلك ، وهو يبحث سرا عن مكان ذلك الكتاب فى حين طويل استخدم فيه دهاءه ودرايته ، حتى ظفر بالكتاب ونقله من اللسان الهندى السنسكريتى إلى اللسان الفارسى : وهو يومئذ الفهلوى . ونقل غيره من كتب العلم وعاد إلى أنوشروان فأجازه بالأموال وألبسه التاج ، وأجلسه على سريره تشريفاً له

وزيادة فى اجلاله . وقد صدر برزويه ترجمته بفصل سماه باب برزويه لبزرجمهر بن البختكان ذكر فيه سيرته وحكاية ذهابه بأمر كسرى لنقل هذا الكتاب من الهند . ومن النسخة الفهلوية المذكورة نقلت الترجمتان السريانية الأولى والعربية

(٤) الترجمة السريانية الأولى

سميناها الأولى تمييزاً لها عن ترجمة أخرى سيأتى ذكرها . وكان المظنون قبلا أن النسخة العربية هى أول مانقل من الفهلوية ولكنهم عثروا على نسخة سريانية تحققوا من قرائن مختلفة وشواهد عديدة أنها نقلت من الفهلوية رأساً بعيد ذهاب برزويه لنقلها من السنسكريتية . ذكر عبد يشوع أسقف نصيبين فى قائمة كتبه السريانية رجلا اسمه (بود) قال : انه كان من أهل العلم وانه ألف كتبا ضد المانية والمارقونية وكانت له رياسة على نصارى الهند وفارس نحو سنة ٥٧٠ م إلى أن قال (وهو الذى ترجم كتاب كليلة ودمنة إلى السريانية ، وقد ضبط بود هذا الكتاب على غير المعروف عندنا فسماه (قَلِيلَجْ وَدَمْنَجْ) وذلك على مايظهر أقرب إلى الأصل الفهلوى . ولو بقيت النسخة الفهلوية إلى الآن لرأينا اسمها أقرب إلى لفظه السريانى منه الى العربى لأن أصل لفظه فى السنسكريتية (كراتكا ودمناكا) . فالغالب أن برزويه نقلهما الى الفهلوية بلفظ ينتهى فى آخره بالجيم فحفظه المترجم السريانى وأطلقه المترجم العربى على عادة العرب فى نقل بعض الألفاظ الفارسية التى تنتهى بهذا الحرف ، وقد عثروا على نسخة من الترجمة السريانية الأولى ونشروها مع ترجمتها الألمانية فى ليبسيك سنة ١٨٧٦ وهى مؤلفة من عشرة أبواب فقط

(٥) الترجمة العربية

هى أهم ترجمات هذا الكتاب لانها حفظته وكانت واسطة نقله الى سائر اللغات الحية . نقله الى العربية عبدالله بن المقفع كاتب أبى جعفر المنصور العباسى وكان ابن المقفع عريقاً فى الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغتين الفهلوية واليونانية ، وقد نشأ بالبصرة فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة وهى حافلة بالأدباء والشعراء فبرع فى اللغة العربية وآدابها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . فلما أقدم على نقل كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية الى العربية جاءت عبارته هامة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه فى المواضيع الأدبية باللغة العربية (توفى فى أواسط القرن الثانى للهجرة)

صدر ابن المقفع تلك الترجمة بفصل سماه (عرض الكتاب) وصف به الكتاب وبين فضل العقل والعلم وأوضحه بالأمثال والحكايات على أسلوب الكتاب الأصلى وأفاض فى التحريض على مطالعته وتفهمه . فلما اطلع عليه العرب أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه ، وكأن علماء اللغة الفارسية حسدوا ابن المقفع على سبقه فى ترجمته فأقدم غيره على نقله ثانية من الفهلوية الى العربية واقدم من فعل ذلك عبد الله بن هلال الاهوازى نقله ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى سنة ١٦٥ هـ واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلا لحفظه فنظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور ، فلما وقف عليه اجازه بألف دينار . وتصدى غيره لمعارضته فصنف سهل بن هرون للمأمون كتابا عارض فيه كتاب كليلة ودمنة فى أبوابه وأمثاله . على أن هذه الكتب ذهبت كلها

ولم يبق الا ترجمة ابن المقفع التى هى بين أيدينا وقد تعدلت بتوالى الأزمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ باباً ، بعضها هندى الاصل والبعض الاخر فارسى والآخر عربى . فالأبواب الهندية ١٢ قد ذكرناها فيما تقدم والفارسية ثلاثة وهى: مقدمة برزويه التى أشرنا اليها ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية : وهى مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلى بن الشاه الفارسى ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن فى النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

وأول من نشر هذه الترجمة أو شيئا منها المستشرق شولتنس الهولندى سنة ١٧٨٦ نشر منها باب الأسد والثور . أما نشرها كاملة فأول من أقدم عليه البارون سلفستر دى ساسى المستشرق الفرنساوى الشهير فطبعها فى باريس سنة ١٨١٦ وأرفقها بفصل فى أصل الكتاب وما نقل عنه إلى اللغات الأخرى . ثم طبع طبعات كثيرة فى مصر أقدمها طبعة بولاق سنة ١٢٤٩ هـ . . . . . .

(٦) الترجمات المنقولة من النسخة العربية

ضاعت الترجمة الفهلوية وتبعثر الأصل السنسكريتى واختفت الترجمة السريانية الأولى وبعدت النسخة التيبتية عن العالم المتمدن فلم يبق بين أيدى الناس الا الترجمة العربية فلما نضج التمدن الاسلامى وحاكت الأمم بالمسلمين وأخذوا يتلقون علومهم وآدابهم كان هذا الكتاب فى جملة ما نقلوه الى ألسنتهم . وبلغ عدد الترجمات التى نقلت رأسا من العربية عشرا وهى (١) السريانية (الثانية) نحو

القرن العاشر للميلاد (٢) اليونانية [illegible] (٣) الفارسية سنة
١١٢٠ (٤) العبرانية الأولى (٥) العبرانية الثانية فى القرن الثالث
عشر (٦) اللاتينية فى ذلك القرن (٧) الاسبانية سنة ١٢٥١ (٨)
الملقية (٩) الانكليزية سنة ١٨١٩ (١٠) الروسية سنة ١٨٨٩ م
وتفرع من بعض هذه الترجمات ترجمات أخرى الى الفرنساوية
والايطالية والسلافونية والتركية والألمانية والانكليزية والدنماركية
والهولندية وغيرها حتى بلغ عدد الترجمات جميعا بضعاً وعشرين
ترجمة ترجع بأسرها الى العربية اما مباشرة أو بواسطة لغة أخرى
واليك البيان :

(١) الترجمة السريانية الثانية

هى غير الترجمة الأولى المنقولة عن الفهلوية سنة ٥٧٠ م . أما
هذه فقد نقلت عن العربية بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر
للميلاد : نقلها كاهن مسيحى لم يعرف اسمه ولا السنة التى ترجمها
فيها . وقد نقل هذه الترجمة إلى اللغة الانكليزية المستشرق كيث
فالكونر ونشرها سنة ١٨٨٥ وصدرها بمقدمة مسهبة فى تاريخ
هذا الكتاب وترجماته

(٢) الترجمة اليونانية

نقلها عن العربية سمعان بن شيث نحو سنة ١٠٨٠ م وكانت
ضائعة فعثر عليها الأب بطرس بوسينوس اليسوعى فى أثناء بحثه
عن أوراق فيها تاريخ ميشال باليولوغوس فوجدها فى مكتبة
ليو ألاتيوس وترجمها إلى اللاتينية ثم نشرت الترجمة اليونانية سنة
١٦٩٧ عن نسخة أخرى وجدوها فى همبورج نشرها ستارك مع
ترجمة لاتينية جديدة لاعتباره ترجمة بوسينوس مغلوطة . وقد
طبعت غير مرة وتفرع منها ترجمتان : الايطالية والسلافونية

فالترجمة الايطالية تعرف بالقديمة تمييزاً لها عن الترجمات الحديثة وقد نشرت فى فراراسنة ١٥٨٣ ثم فى بولونياسنة ١٨٧٢ والترجمة السلافونية تعرف بالترجمة الروسية القديمة تمييزاً لها عن الترجمة الروسية الحديثة نشرت فى بطرسبورج سنة ١٧٨٨

(٣) الترجمة الفارسية الحديثة

وفى الفارسية عدة ترجمات من كليلة ودمنة مرجعها كلها الى النسخة العربية وأقدم من عزم على ترجمتها الى الفارسية الحديثة أبو الحسن نصر بن احمد الساماني في أواسط القرن الثالث للهجرة: أمر أحد العلماء بنقلها من العربية إلى الفارسية فنقلها ثم نظمها شاعره بالفارسية ، ولا نعلم مصيرهذه الترجمة وإنما ذكرها صاحب كشف الظنون وأما الترجمات الباقية فأقدمها نقل أبى المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد بأمر أبى المظفر بهرامشاه بن مسعود الغزنوى المتوفى سنة ١١٥١ للميلاد ، وأول من نبه اليها دى ساسى وأشار الى وجودها مخطوطة فى مكتبة باريس وسماها (نسخة نصر الله) وكتب فيها مقالة انتقادية أثبت أنها ترجمت حوالى سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م) ولم تطبع بعد

وجدد هذه الترجمة ولخصها وهذبها حسين بن على الواعظ الكاشفى وصدرها بفذلكة فى تاريخ الكتاب وتعرف نسخته فى أوربا بترجمة (أنوار السهيلى) نسبة الى الامير السهيلى من أمراء [illegible] في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، وفى هذه الترجمة [illegible] لا توجد فى الأصل العربى ، ثم جدد هذه الترجمة فى أواخر القرن السادس عشر أبو الفضل بن مبارك فى نسخة عرفت باسم ([illegible]) [illegible]

الترجمة التركية * وعن نسخة أنور السهيلي الفارسية نقلت النسخة التركية المعروفة (بهمايون نامه) نقلها علي بن صالح الرومي المعروف بعلي جلبي والملقب بعبد الواسع عيسى أستاذ الفقه في مدرسة أدرنه على عهد السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠ـ١٥٦٦) وقد اشتهرت هذه الترجمة بنقلها الى اللغتين الفرنساوية والاسبانية أما الفرنساوية فبدأ بها غالان وأتمها كاردون وطبعت في باريس سنة ١٧٢٤ ــ وأما الاسبانيه فنشرت سنة ١٦٥٢ ــ ١٦٥٨

(٤ و ٥) الترجمة العبرانية * في العبرانية ترجمتان نقلتا من العربية رأسا تنسب إحداهما الى يوئيل وقد نقلها جوزتابوا الى اللاتينية سنة ١٢٢٧ م وعرفت ترجمته باسم Directorium Humanae Vitae ومنها نقل كتاب كليلة ودمنة الى معظم لغات أوربا الحديثة. فالترجمة العبرانية المذكورة عظيمة الأهمية في تاريخ هذا الكتاب، ولكنهم لم يقفوا على تاريخ ترجمتها. على أنها لا ينبغي أن تعد أحدث من سنة ١٢٥٠ ــ وقد عثروا على نسخة وحيدة لها في مكتبة باريس فوصفها دي ساسي مطولا في مفكراته عن المخطوطات. ونشر نيوباور قسما منها مع ترجمة ألمانية في مجلة الشرق والغرب. ونشر النسخة برمتها يوسف ديرنبرج في باريس سنة ١٨٨١ مع ترجمة فرنساوية قابلها بالترجمة اللاتينية

وأما الترجمة العبرانية الأخرى فهي محفوظة في مكتبة كمبريدج نقلها من العربية يعقوب بن العازر أحد كتاب القرن الثالث عشر وهو صاحب المعجم العبراني الشهير باسم «سفر هشالم» وهي كاملة تقريبا وقد نشرها ديرنبرج مع النسخة الأخرى وعلق عليها بعض الملاحظات والانتقادات.

﴿ ترجمات اللغات الحديثة ﴾

والنسخة اللاتينية المتقدم ذكرها نشرت فى أواخر القرن الخامس عشر وأخيراً سنة ١٨٨٤ ــ وقد نقلت الى معظم لغات أوربا فنقلها غراف البهرت دى ورتنبرج سنة ١٤٨٠ الى الألمانية ، ونقلها جرمانى آخر الى الاسبانية فى سنة ١٤٩٣ ــ ونقلها دونى الى الايطالية نحو سنة ١٥٥٢ ومنها نسخة فى مكتبة كمبريدج . ومن النسخة الجرمانيــة نقلت الى الدنماركية سنة ١٦١٨ والى الهولاندية سنة ١٦٢٣ ــ ومن نسخة دونى الايطالية المذكورة نقلت الى الانكليزية بقلم السير توماس نورث ونشرت سنة ١٥٧٠ وسنة ١٦٠١ ومن الاسبانية نقلت إلى الايطالية أيضا سنة ١٥٤٨ ــ ونقل هذه الترجمة الى الفرنساوية جبرائيل كوتيه وطبعت فى ليدن سنة ١٥٥٦ ونقلت الى هذه اللغات ترجمات أخرى فى أزمنة أخرى لا فائدة من ذكرها

(٦) الترجمة اللاتينية الشعرية : وهناك ترجمة لاتينية شعرية يظن أنها نقلت عن العربية نحو القرن الثالث عشر وتعرف باسم

Baldos' Alter Aesopus

(٧) الترجمة الاسبانية القديمة : وقد نقلها الاسبان رأساً من العربية فى أثناء نقلهم غيرها من آداب العرب فى أواسط القرن الثالث عشر وهى غير النسخة الاسبانية التى تقدم ذكرها ومن الترجمة الاسبانية القديمة نقلت ترجمة لاتينية أخرى عرفت باسم (نسخة ريموند) ذكرها دى ساسى فى جملة مخطوطات مكتبة باريس يؤخذ من مقدمتها أن ريموند بزيار الطبيب نقلها بايعاز الملكة حنه دى نافار من الاسبانية الى اللاتينية سنة ١٣١٣ قدمها اليها

(٨) الترجمة الانكليزية ــ وهذه الترجمة نقلت عن العربية أولاً نقلها تومس وينذهام بالشعر ونشرت فى اكسفورد سنة ١٨١٩ ثم

أعاد طبعها الأستاذ ادوار فانديك في سنة (١٩٠٥) ليفرقها في تلامذته

(٩) الترجمة الروسية الحديثة — وهى آخر مانقل من الترجمات الافرنجية رأسا عن العربية نقلها مخائيل عطايا ونشرت في موسكو سنة ١٨٨٩

(١٠) الترجمة الهندية الملقية — وفى جامعة ليدن ترجمة ملقية منقولة عن العربية

هذه أهم الترجمات التى نقل اليها هذا الكتاب الجليل ومصدرها النسخة العربية التى نقلها ابن المقفع فى أواسط القرن الثانى للهجرة كما رأيت . وهناك شذرات من ترجمات أخرى جاء ذكرها فى بعض النصوص كالترجمة الحبشية والأرمنية وترجمة أخرى لاتينية وغيرها

وفى الصفحة التالية جدول فيه نسبة ترجمات هذا الكتاب بعضها الى بعض من تصنيفه بالسنسكريتية الى الآن .



الأصل السنسكريتي (المفقود القديم)

الترجمة التبتية

الترجمة البهلوية (الفارسية القديمة) نحو سنة ٥٩٠ م

السريانية القديمة سنة ٥٧٠ م

الترجمة العربية نحو سنة ٧٥٠ م

الروسية لعطايا سنة ١٨٨٩ . الانكليزية سنة ١٨١٩ . الملقية . الفارسية لنصر الله سنة ١١٢ . الاسبانية القديمة سنة ١٢٥١ . العبرانية . العبرانية لابن العازر في القرن ١٣ . اللاتينية الشعرية قبل سنة ١٣٠٠ . اليونانية سنة ١٠٨٠ . السريانية الحديثة نحو القرن العاشر

السلافونية القديمة

الايطالية سنة ١٥٨٣

اللاتينية ترجمة ريموند سنة ١٣١٣

أنوار السهيلي في آخر القرن ١٥

همايون نامه في أول القرن ١٦

الفرنساوية لنا الآن

اللاتينية الديركتوريوم سنة ١٢٧٠ م

الاسبانية الحديثة سنة ١٤٩٣

الايطالية سنة ١٥٤٨

الفرنساوية سنة ١٥٥٦

الالمانية سنة ١٥٨٣

الهولاندية سنة ١٦٢٣

الداغاركية سنة ١٦١٨

الايطالية: ترجمة دونى سنة ١٥٥٢

الانكليزية لنورث ١٥٧



عناصر الموضوع

مصدر النبوغ — عصر ابن المقفع — براعته فى الكتابة — الكتابة العربية فى عصر ابن المقفع — الأساليب المستحدثة فى عصره — أسلوب ابن المقفع — زهده فى السجع — سهولة لفظه — حرصه على الايجاز — إقلاله من المترادف — الحاجة إلى الترجمة فى عصر ابن المقفع — نبوغه فى الترجمة — عنايته بالحكم والأخلاق — أثر الآراء الاجتماعية فى السياسة والعقائد — الزندقة بين المسلمين — ديانة ابن المقفع — أثر الانتقال الاجتماعى فى العقائد — شرعة أديبي الأموية والعباسية — سيرة ابن المقفع — حرصه على الوفاء — مقتله

مصدر النبوغ

يَنْبُغُ شَأْنُ النَّابِغَةِ وَيَعْلُو مَكَانُ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ ، فَيَغْلَى النَّاسُ فِي إِجْلَالِهِ وَتَمْجِيدِ خِصَالِهِ ، وَيَغْلُونَ فِي الْإِعْجَابِ بِذَكَائِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ ، وَيُغْرِقُونَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى مَا جَمَعَ إِلَى ثُقُوبِ الْبَصِيرَةِ مِنْ حُسْنِ الْفِطْنَةِ ، وَإِلَى بُعْدِ النَّظَرِ مِنْ أَصَالَةِ الرَّأْيِ ، وَمَا أَلَّفَ بَيْنَ مَضَاءِ الْعَزِيمَةِ وَشِدَّةِ الشَّكِيمَةِ ، وَمَرَارَةِ الْبَأْسِ وَحَلَاوَةِ الرَّحْمَةِ ، وَمَا امْتَازَ بِهِ مِنْ لِسَانٍ عَضْبٍ وَبَيَانٍ عَذْبٍ . ثُمَّ يَصُوغُ لَهُمُ الْخَيَالُ مِنْ هٰذِهِ الْخَصَائِصِ كُلِّهَا شَخْصًا قَدْ جَمَعَ اللّٰهُ لَهُ الْفَضَائِلَ ، فَيَرُدُّونَ إِلَيْهِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ : مِنْ جِسَامِ الْأُمُورِ وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ

لَمْ يَبْعُدْ هٰؤُلَاءِ النَّاسُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَلَمْ يُسْرِفُوا ، وَإِنَّمَا رَأَوْا جَلِيلًا فَأَجَلُّوهُ وَعَظَّمُوهُ . وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ الرَّجُلَ الْفَذَّ مَظْهَرُ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ ؟

غَيْرَ أَنَّ نَظَرَ الْعَامَّةِ قَصِيرُ الْمَدٰى ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَظِيمَ عِلَّةُ مَا اخْتَصَّهُ اللّٰهُ بِهِ مِن نُبُوغٍ . وَعَلَى سُنَّتِهِمْ مَضَى الْمُتْرَفُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَهُمُ الَّذِينَ يُغْنِيهِمْ قَلِيلُ الْبَحْثِ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَمَيْسُورُهُ عَنْ عَسِيرِهِ

وَإِنَّمَا نُبُوغُ الرَّجُلِ النَّابِغَةِ وَتَبْرِيزُهُ حَادِثَةٌ ذَاتُ خَطَرٍ ، لَهَا مِنَ الأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ مَا لِغَيْرِهَا مِنْ حَوَادِثِ التَّارِيخِ . فَمَنْ أَجَلَّهُ فَإِنَّمَا يُجِلُّ الْبِيئَةَ الَّتِي أَنْشَأَتْهُ وَالْحَوَادِثَ الَّتِي أَنْبَغَتْهُ وَالْعَصْرَ الَّذِي عَاشَ فِيهِ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي هَٰذَا الْعَالَمِ شَيْءٌ إِلَّا وَلَهُ عِلَّةٌ أَجْنَبِيَّةٌ مِنْهُ وَسَبَبٌ نَاءٍ عَنْهُ : يَعْمَلُ فِيهِ وَيُظْهِرُ مَا لَهُ مِنْ نَتَائِجَ وَآثَارٍ

وَعَلَى هَٰذَا فَالتَّرْجَمَةُ لِنَابِغَةٍ كَابْنِ الْمُقَفَّعِ [١] لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ وَصْفًا لَهُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ . بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بَيَانًا وَاضِحًا وَشَرْحًا مُسْتَقْصًى لِأَحْوَالِ التَّارِيخِ فِي أَيَّامِهِ ، حَتَّى تُسْتَخْلَصَ مِنْ حَيَاةِ الْفَرْدِ حَيَاةُ أُمَّتِهِ وَتُسْتَنْبَطَ مِنْ أَحْوَالِهِ أَحْوَالُ جِيلِهِ . وَلَعَمْرِي مَا الْقَوْلُ فِي مِيلَادِ الرَّجُلِ وَوَفَاتِهِ وَفِي أَسْفَارِهِ وَمُؤَلَّفَاتِهِ بِكَافٍ لِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ حَقِيقِيَّةٍ : هِيَ مَصْدَرُ مَا ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ تَفَوُّقٍ وَنُبُوغٍ

---

١ قيل : سمى كذلك لانه لما ولى خراج فارس للحجاج ومد يده الى أموال الناس ضربه الحجاج فتقفعت يده أى تشنجت . وقيل بل الذى ولاه خالد بن عبد الله القسرى والذى عذبه يوسف بن عمر الثقفى لما تولى العراق بعد خالد . وروى بعض الناس أن (المقفع) على صيغة اسم الفاعل لا اسم المفعول لانه كان يعمل القفاع ويبيعها ، والاول أرجح عند أهل الرأى

عصر ابن المقفع

وَلَقَدْ نَشَأَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي عَصْرِ اضْطِرَابٍ وَهَلَعٍ ، خَلَفَ عَصْرَ هُدُوءٍ وَاطْمِئْنَانٍ . فَقَدْ مَضَى الْقَرْنُ الْأَوَّلُ إِلَّا أَقَلَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي حُرُوبٍ وَكُرُوبٍ بَيْنَ فُتُوحٍ وَفِتَنٍ . فَأَمْضَوْا ثُلُثَهُ الْأَوَّلَ فِي الْفَتْحِ وَإِقَامَةِ الْمُلْكِ وَتَشْيِيدِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ عَدَتْ عَلَيْهِمْ عَوَادِي الشَّرِّ فَتَنَازَعُوا الْقُوَّةَ ، وَنَهَضَتْ فِيهِمْ فِتَنٌ ذَهَبَتْ بِخِيَارِهِمْ أَيَّامَ عَلِيٍّ[1] . ثُمَّ جَاءَتْ أَيَّامُ الْجَمَاعَةِ ، فَمَا كَادَ النَّاسُ يُرِيحُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ حَتَّى انْقَبَضَ عَنْهُمْ ظِلُّهَا بِمَوْتِ مُعَاوِيَةَ[2] فَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خِلَافٍ وَفُرْقَةٍ ، وَمِنَ اضْطِرَابٍ وَانْتِقَاضِ أَمْرٍ ، حَتَّى كَانَ عَصْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ[3] . فَجَمَعَ الْأُمَّةَ وَوَحَّدَ الْكَلِمَةَ وَوَفَّقَ بَيْنَ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَبَايِنَةِ ،

---

١ هو رابع الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول الكريم وزوج ابنته فاطمة الزهراء وأول من أسلم من الصبيان . قتل سنة ٤٠ هـ

٢ أول ملوك بنى أمية وهو الذى كانت بينه وبين على الفتن . كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم وأدهى دهاة العرب ، وتوفى سنة ٦١ هـ

٣ عبد الملك بن مروان رابع خلفاء الامويين وأول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وأول من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الاسلام وكان النقش على الدنانير بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية ، وتولى الخلافة من سنة ٦٥ الى سنة ٨٦ هـ

وَهَدَأَ النَّاسُ فِي أَيَّامِ بَنِيهِ الْوَلِيدِ [١] وَسُلَيْمَانَ [٢] وَيَزِيدَ [٣] وَهِشَامٍ [٤]، وَأَيَّامِ ابْنِ أَخِيهِ عُمَرَ [٥] بَيْنَ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا مِنْ خَارِجَةٍ تَخْرُجُ أَوْ طَائِفَةٍ تَنْجُمُ. وَبِآخِرِ هَذَا الْعَصْرِ انْتَكَثَ فَتْلُ بَنِي أُمَيَّةَ وَانْبَثَّتْ فِي أَرْجَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ دَعْوَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَأَخَذَتْ أَطْرَافُ الدَّوْلَةِ تَنْفَصِلُ. فَانْقَسَمَ بَنُو أُمَيَّةَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَأَصْبَحَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا. وَفِي هَذِهِ الْحَالِ السَّيِّئَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالرُّعْبِ وَالْفَزَعِ شَبَّ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: فَقَدْ وُلِدَ مِنْ أَبٍ فَارِسِيٍّ [٦] يَنْتَحِلُ نِحْلَةَ الْمَجُوسِ وَيَعْمَلُ لِلْحَجَّاجِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ إِمْرَةُ الْحَجَّاجِ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ وَأَبِيهِ. فَنَشَأَ بَيْنَ هَذِهِ الْعَوَاصِفِ الْمُخْتَلِفَةِ. فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَثْبُتَ لَهَا

---

١ الوليد هو ابن عبدالملك بن مروان، ولى الخلافة يوم وفاة أبيه، وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم، فقد بنى المساجد بدمشق وبنى الجامع الاموى ولم يتمه إلا أخوه سليمان بعد وفاته وتوفى سنة ٩٦ عن ست وأربعين سنة ٢ ثم قام بعده سليمان فأتم بناء الجامع الاموى وتوفى سنة ٩٨ هـ ٣ يزيد بن عبد الملك كان بينه وبين أخيه سليمان خلافة ابن عمه عمر بن عبد العزيز، تولى الخلافة سنة ١٠١ وتوفى سنة ١٠٥ هـ ٤ ثم قام بعده هشام وتوفى سنة ١٢٥ هـ

٥ هو عمر بن عبد العزيز الذى تولى بين سليمان ويزيد وهو الأشج الذى يقال فيه أنه أعدل بنى مروان ٦ وكان اسمه (داذويه)

وَيُقَاوِمَ زَعَازِعَهَا — وَلاَ سِيَّمَا إِذْ كَانَتْ لَهُ نَفْسٌ طَمُوحٌ إِلَى الْمَعَالِي نَزَّاعَةٌ إِلَى الْمَجْدِ — وَابْنُ الْمُقَفَّعِ مِنْ أَصْلٍ فَارِسِيٍّ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَالْفُرْسُ أَهْلُ حَضَارَةٍ قَدِيمَةٍ وَعِزٍّ تَالِدٍ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعِلْمِ أَسْبَابٌ مُتَّصِلَةٌ وَعُرًى مُوَثَّقَةٌ ، فَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَنْشَأَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَلَى طَرَفٍ مِنْهُ وَأَثَارَةٍ صَالِحَةٍ

عَلَى أَنَّ عُلُومَ الْفُرْسِ وَحَضَارَتَهُمْ لَمْ تَكُنْ وَحْدَهَا كُلَّ مَا لِلْفُرْسِ فِي هٰذَا الْعَصْرِ ، بَلْ أُضِيفَتْ إِلَيْهِمْ عُلُومٌ جَدِيدَةٌ مَصْدَرُهَا انْتِحَالُهُمْ لِلْإِسْلَامِ وَخُضُوعُهُمْ لِدَوْلَةِ الْعَرَبِ ، فَنَبَغَ فِيهِمُ الرُّوَاةُ وَالْقُرَّاءُ وَالْمُؤَوِّلُونَ وَأَصْحَابُ الْأَخْبَارِ وَاللُّغَوِيُّونَ وَأَهْلُ الْغَرِيبِ وَأَصْحَابُ مَعَانِي الْأَشْعَارِ . وَإِنَّمَا كَانَ هَمُّ النَّاشِئِ مِنْهُمْ أَنْ يَجِدَّ فِي إِتْقَانِ مَا أَوْرَثَهُ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِ مَا أَفَادَهُ عَصْرُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، لِيَكُونَ ذَا فَضِيلَةٍ تُقَرِّبُهُ مِنْ أَهْلِ الْمُلْكِ وَذَوِي السُّلْطَانِ ، وَتَرْفَعُ شَأْنَهُ عِنْدَ أُولٰئِكَ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا لِآبَائِهِ أَتْبَاعًا ، فَأَصْبَحُوا لَهُ مُلُوكًا . فَلَيْسَ بِدْعًا أَنْ يُعْنَى ابْنُ الْمُقَفَّعِ بِهٰذِهِ الْعُلُومِ فَيُحْرِزَ مِنْهَا قِسْطًا مَوْفُورًا

براعته فى الكتابة

وَلَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ فِي هٰذَا الْعَصْرِ بَعِيدَةَ الْأَطْرَافِ

مُخْتَلِفَةَ الْأَعْمَالِ ، وَالْعَرَبُ عَلَى ذَلِكَ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ قَلِيلَةُ الْحَظِّ مِنَ الْكِتَابَةِ شَدِيدَةُ الْحِرْصِ عَلَى مُدَاوَمَتِهَا وَالِاحْتِفَاظِ بِمَضَارِبِهَا . وَالْمَغْلُوبُونَ مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ أَهْلُ دِرَايَةٍ بِالسِّيَاسَةِ وَحِذْقٍ فِي الْعِلْمِ وَبَصَرٍ بِالْأُمُورِ كَانَتْ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فُرْصَةٌ حَرَصُوا عَلَى أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا وَيَنْتَفِعُوا بِهَا فَتَفَرَّغَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لِإِجَادَةِ مَا يَتَّصِلُ بِأَعْمَالِ السُّلْطَانِ : مِنْ كِتَابَةٍ وَحِسَابٍ ، وَمِنْ إِدَارَةٍ وَوِزَارَةٍ . فَنَبَغَ مِنْهُمْ فِي هٰذَا نَفَرٌ كَثِيرٌ : هُمُ الَّذِينَ دَبَّرُوا أُمُورَ الدَّوْلَةِ وَرَفَعُوا مُنَادَهَا ١ فِي عَصْرِهَا الْأَخِيرِ وَفِي أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ . فَكَانَ مِنْ كِبَارِ كُتَّابِهِمْ ابْنُ الْمُقَفَّعِ الَّذِي جَمَعَ مُخْتَلِفًا مِنَ الْعُلُومِ وَمُتَنَوِّعًا مِنَ الْفُنُونِ وَأَجَادَ الْكِتَابَةَ السِّيَاسِيَّةَ حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْأُمَرَاءِ

وَلَسْنَا بِسَبِيلِ الْقَوْلِ فِي رَسَائِلِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ السِّيَاسِيَّةِ وَكِتَابَاتِهِ الْمُتَّصِلَةِ بِأَعْمَالِ الدَّوْلَةِ . وَإِنَّمَا نَقُولُ : إِنَّهُ قَدِ اخْتَصَّ بِفَنَّيْنِ أَجَادَهُمَا كُلَّ الْإِجَادَةِ ، وَأَتْقَنَهُمَا جِدَّ الْإِتْقَانِ : أَحَدُهُمَا التَّرْجَمَةُ ، وَالثَّانِي تَحْبِيرُ الرَّسَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى سِيَاسَةِ الْمَلِكِ لِلرَّعِيَّةِ وَطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ لِلْمَلِكِ

١ أي ما ثقل عليها من أعباء الملك

وَقَدْ يَكُونُ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ نُبَيِّنَ شَيْئًا مِنْ حَالِ الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْكِتَابَةِ ، وَمِنْ حَالِ التَّدْوِينِ وَالتَّأْلِيفِ فِي عَصْرِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ ، تَمْهِيدًا لِبَسْطِ الْقَوْلِ فِي الْفَنَّيْنِ اللَّذَيْنِ نَبَغَ فِيهِمَا وَاخْتَصَّ بِهِمَا

الكتابة العربية فى عصر ابن المقفع

لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَهْدٌ بِتَحْبِيرِ الرَّسَائِلِ وَتَنْمِيقِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قُصَارَاهُمْ إِجَادَةُ الْخُطْبَةِ وَنَظْمُ الْقَصِيدِ : يَذْهَبُونَ فِيهِمَا الْمَذَاهِبَ . فَإِذَا اضْطُرَّ أَحَدُهُمْ إِلَى الْكِتَابَةِ فَحَسْبُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ بَلَاغٌ وَتَأْدِيَةٌ لِلْمُرَادِ مَعَ إِيجَازٍ حَسَنٍ وَسُهُولَةٍ فِطْرِيَّةٍ فِي اللَّفْظِ : تُمَاثِلُ بِيئَتَهُمْ وَأَحْوَالَهُمُ الِاجْتِمَاعِيَّةَ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَعْدَ الْبَدَاوَةِ ، وَأَصْبَحُوا أَهْلَ مُلْكٍ مُشَيَّدٍ وَسُلْطَانٍ مَبْسُوطٍ عَلَى الشُّعُوبِ ، وَخَالَطُوا أُمَمًا ذَاتَ حَظٍّ مِنْ إِحْسَانِ الْقَوْلِ وَالْإِجَادَةِ فِيهِ ، أَخَذُوا مِنَ الْكِتَابَةِ بِحَظٍّ وَكَثُرَتْ فِي أَنْفُسِهِمُ الْمَعَانِي الزَّائِدَةُ عَلَى الْمُرَادِ الْمُحَسِّنَةُ لَهُ

الاساليب المستحدثة فى عصره

فَلَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ تَكْفِيهِ أَنْ يَبْلُغَ صَاحِبُهُ حَاجَتَهُ بِلَفْظٍ

مُوجَزٍ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ . بَلْ كَانَ يُحِيطُهَا بِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ : يَجْعَلُهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا : شَافِعًا مَرَّةً وَمُسْتَعْطِفًا أُخْرَى ، وَذَاهِبًا إِلَى الْإِنْذَارِ حِينًا وَإِلَى التَّبْشِيرِ حِينًا ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَنْتَهِي إِلَى التَّأْثِيرِ فِي النَّفْسِ

وَأَخَصُّ مَا امْتَازَتْ بِهِ الْكِتَابَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي عَصْرِهَا الْأَوَّلِ أَنَّ الرَّسَائِلَ كَانَتْ تَشْتَمِلُ فِي أَسَالِيبِهَا عَلَى مَا يَرْجِعُ إِلَى رَبْطِ الْأُمُورِ بِأَسْبَابِهَا ، وَاسْتِنْبَاطِ النَّتَائِجِ مِنْ مُقَدِّمَاتِهَا ، وَرَدِّ الْأَشْبَاهِ إِلَى نَظَائِرِهَا وَالآثَارِ إِلَى مَصَادِرِهَا . فَتَرَى الْكَاتِبَ يَلْتَمِسُ الْعِلَّةَ لِكُلِّ حُكْمٍ وَالسَّبَبَ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ رَاجِعًا بِكُلِّ عَمَلٍ إِلَى مَنْشَئِهِ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِ يَعْرِفُ هَذَا مَنْ قَرَأَ رَسَائِلَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَعَبْدِ الْحَمِيدِ وَكُتُبَ الْخُلَفَاءِ وَمُشَاوَرَةَ الْمَهْدِيِّ لِأَهْلِ بَيْتِهِ

وَتِلْكَ طَرِيقَةٌ فَارِسِيَّةٌ يَتَبَيَّنُهَا مَنْ قَرَأَ الْحِكَمَ وَالرَّسَائِلَ

---

١ هو محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور : ثالث الخلفاء العباسيين تولى الخلافة سنة ١٥٨ وأما هذه المشاورة فكانت حين خرج أهل خراسان عليه وطردوا العمال وكسروا الخراج ، قالوا : وهو أول من البريد بين مكة والمدينة واليمن من بغال وابل

الْمَنقُولَةَ عَنْ بُزُرْجمهْرَ وَالْأَكَاسِرَةِ [١] . بَلْ مَنْ قَرَأَ مُقَدِّمَةَ بَرْزَوَيْهِ فِي هٰذَا الْكِتَابِ . وَلَعَلَّ هٰذِهِ الطَّرِيقَةَ لَمْ تَكُنِ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَخَذَهُ الْعَرَبُ عَنِ الْفُرْسِ فِي كِتَابَتِهِمْ . فَقَدْ أَخَذُوا مَعَ ذٰلِكَ عَنْهُمُ التَّبَسُّطَ فِي اللَّفْظِ وَالْإِنْحِدَارَ فِي تَرْتِيبِهِ . فَبَيْنَا تَقْرَأُ مَا يُرْوَى لِعَلِيٍّ وَالْخُلَفَاءِ مِنَ الْخُطَبِ ، فَتَرَى نَفْسَكَ فِي كَلَامٍ مُتَنَاسِقِ الْأَجْزَاءِ مُتَّفِقِ الْأُسْلُوبِ مُتَسَاوٍ فِي الْجَزَالَةِ ، إِذْ تَرَى نَفْسَكَ فِي أُسْلُوبِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَأَضْرَابِهِ مِنْ كُتَّابِ هٰذَا الْعَصْرِ ، تَنْتَقِلُ مِنْ سَهْلٍ إِلَى أَسْهَلَ وَمِنْ يَسِيرٍ إِلَى أَيْسَرَ مَعَ تَرْتِيبٍ فِي الْمَعَانِي وَتَهْذِيبٍ فِي التَّرْكِيبِ

أسلوب ابن المقفع

هٰذِهِ الْمَزِيَّةُ عَامَّةٌ لِلْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ . وَقَدْ كَانَ لِأَفْذَاذِ الْكُتَّابِ وَنَوَابِغِهِمْ مُمَيِّزَاتٌ خَاصَّةٌ اسْتَأْثَرُوا بِهَا وَانْفَرَدُوا بِحُسْنِهَا ، فَكَانَتْ أَمَارَةً دَالَّةً عَلَيْهِمْ وَمُشِيرَةً إِلَيْهِمْ . وَأَخَصُّ مَا امْتَازَ بِهِ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَشْيَاءُ قَلَّمَا اجْتَمَعَتْ لِكَاتِبٍ

زهده في السجع

فَمِنْهَا إِنْزَالُ السَّجْعِ مَنْزِلَتَهُ وَجَعْلُهُ بِحَيْثُ لَا يَنْبَغِي أَنْ

---

[١] راجع عيون الاخبار لابن قتيبة وغيره

يَحْرِصَ عَلَيْهِ الْكَاتِبُ وَيَنْتَهِكُ فِيهِ الْمَعْنَى وَيَقَعَ فِي التَّعْقِيدِ. بَلْ يَأْخُذُ مَا جَادَ بِهِ الْخَاطِرُ عَفْوًا، وَسَمَحَتْ بِهِ الْقَرِيحَةُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ. وَإِنَّكَ لَتَقْرَأُ الْفَصْلَ الْمُطَوَّلَ وَالْبَابَ الْمَبْسُوطَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ سَجْعَةً مُسْتَكْرَهَةً وَلَا وَزْنًا مُتَكَلَّفًا. وَكَفَى بِهَذَا عَاصِمًا لِلْكَاتِبِ مِنَ الْإِسْتِغْلَاقِ وَغُمُوضِ الْمُرَادِ

سهولة لفظه

وَمِنْهَا اصْطِنَاعُ الْأَلْفَاظِ السَّهْلَةِ الَّتِي لَا تَلْطُفُ عَلَى الدَّهْمَاءِ[١] وَلَا تَجْفُو عَنِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يَقُولُ بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ[٢]. وَتِلْكَ صِفَةُ الْكَاتِبِ الَّذِي يَقْصِدُ بِكِتَابَتِهِ إِلَى إِفَادَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَرْذُولًا وَلَا مَمْقُوتًا عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنْهُمَا

حرصه على الايجاز

وَمِنْهَا الْحِرْصُ عَلَى الْإِيجَازِ مَعَ الْوَفَاءِ بِالْمَعْنَى، وَلَيْسَ

---

١ الدهماء : جماعة الناس والمراد الطبقة الكثيرة فى الامة

٢ بشر بن المعتمر هذا : زعيم من زعماء المعتزلة تتبعه طائفه منهم تسمت باسمه فأطلق عليها (البشرية) ومن تعاليمه الخاصة (أن التوبة الاولى موقوفة على الثانية وأنها لا تنفع إلا بعدم الوقوع فى الذى وقع فيه فإن وقع لم تنفعه التوبة الاولى)

إِيجَازُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ كَإِيجَازِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، بَلْ هُوَ كَإِطْنَابِ عَلِيٍّ. فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ أَوْصَافَ الْأَسَالِيبِ مِنْ إِيجَازٍ وَإِطْنَابٍ وَسُهُولَةٍ وَغَرَابَةٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْعُصُورِ وَتَتَفَاوَتُ بِتَفَاوُتِ أَحْوَالِ الْحَضَارَةِ: أَيْ إِنَّهَا مَعَانٍ إِضَافِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا حَقَائِقُ ثَابِتَةٌ فِي أَنْفُسِهَا. فَكَلَامُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ مُوجَزٌ مُخْتَصَرٌ بِالْإِضَافَةِ [1] إِلَى كَلَامِ الْجَاحِظِ [2] وَالْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ [3] وَإِنْ كَانَ بِالْقِيَاسِ إِلَى كَلَامِ قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ [4] وَالْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ [5] مُسْهَبًا مَبْسُوطًا

....

١ المراد بمقارنته إلى كلام الجاحظ ٢ وأما الجاحظ فهو أيضاً زعيم من زعماء المعتزلة صاحب فرقة تعرف بالجاحظية، أديب له أسلوب جميل في اللغة إلا أنه كما وصفنا واسع المادة غني الالفاظ لايعجزه كثرة الترادف والتوارد وتوفى سنة ٢٥٥ هـ ٣ الحسن بن وهب: أديب من أدباء العباسيين وظريف من ظرفائهم له ميل كثير الى الطرب وشرب الخمور . وقضى زهو حياته أيام الواثق والمتوكل . وللبنان وإياه مداعبات خليعة ومثلها مع ابراهيم بن العباس ٤ قطرى بن الفجاءة: كان من الذين ناوأوا الدولة الاموية زماناً كثيراً طلباً للاصلاح، فقد خرج على مصعب بن الزبير حين تولى العراق عن أخيه عبد الله سنة ٦٦ هـ وظل يقاتل ويسلم عليه بالخلافة (١٣) سنة، وقد كان الحجاج يسير إليه الجيش بعد الجيش وهو يلحق بهم الهزائم . وبه من اللسن والشجاعة ما جعله في مصاف عظماء الخطباء والشجعان . وقد انتهى به أن عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات سنة ٧٨ هـ ٥ الحجاج

اقلاله من المترادف

وَمِنْهَا الْقَصْدُ فِي الْمُتَرَادِفِ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمُتَشَاكِل مِنَ الْكَلِمِ . وَهٰذِهِ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لِمُحِبِّ الْايجَازِ الرَّاغِبِ فِيهِ . فَبَيْنَا تَجِدُ الْجَاحِظَ مَشْغُوفًا بِرَصْفِ الْمُتَرَادِفَاتِ وَالْإِغْرَاقِ فِيهَا — حَتَّى إِنَّهُ لَيُعَبِّرُ عَنِ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِعِبَارَاتٍ عَشْرٍ مُتَسَاوِيَةِ الْوُضُوحِ — تَجِدُ ابْنَ الْمُقَفَّعِ حَرِيصًا عَلَى أَلَّا يُلْبِسَ الْمَعْنَى ثَوْبًا سَابِغًا ضَافِيَ الْأَذْيَالِ ، وَأَلَّا يُسْرِفَ فِي اللَّفْظِ وَلَا يَغْلُوَ فِي الرَّدِيفِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ عَلَى صَاحِبِهِ فَضْلُ الْوُضُوحِ أَوِ الزِّيَادَةُ فِي الْمَعْنَى

هٰذِهِ بَعْضُ خَصَائِصِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ فِي كِتَابَتِهِ وَهِيَ تَنْطِقُ بِنَبَاهَةِ الشَّأْنِ وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ وَبِثُبُوتِ الْقَدَمِ وَرُسُوخِهَا فِي هٰذَا الْفَنِّ

أَمَّا مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنْ فَنَّيِ التَّرْجَمَةِ وَالْكِتَابَةِ الْخُلُقِيَّةِ فَإِلَيْكَ كَلِمَةً عَنْهَا غَيْرَ مُوجَزَةٍ وَلَا مُنْبَسِطَةٍ

ابن يوسف : قائد من قواد العرب المشهورين وداهية من دواهيهم اتخذه عبد الملك بن مروان رئيساً على حرسه ومنحه ولاية العراق إبان اضطرابها . ويعده أهل الادب من أول الخطباء الذين يلغون بالقول وينالون بالكلام

الحاجة الى الترجمة فى عصر ابن المقفع

لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ حَظٌّ مِنَ الْعِلْمِ كَمَا قَدَّمْنَا وَقَدْ اتَّسَعَ بِهِمُ الْعُمْرَانُ وَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ . فَاحْتَاجُوا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَلَا سِيَّمَا السِّيَاسِيَّةُ الَّتِي تُمَكِّنُهُمْ مِنْ رِيَاضَةِ الْأُمَمِ الْمَغْلُوبَةِ وَالْأَخْذِ بِشَكَائِمِ الشُّعُوبِ الْمَقْهُورَةِ الَّتِي تَأْنَفُ أَنْ تَذْعِنَ لَهُمْ بِالسِّيَادَةِ ، لِمَا كَانَ لَهَا فِي الْحَضَارَةِ وَالْمَجْدِ مِنْ سَابِقَةٍ اسْتَطَالَتْ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْفُرْسِ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ [1] أَنْشَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَصِيدَةً طَوِيلَةً فَخَرَ فِيهَا بِشَرَفِ آبَائِهِ مِنَ الْفُرْسِ وَدَلَّ عَلَى الْعَرَبِ بِمَا لَهُمْ مِنْ سِيَادَةٍ وَسُلْطَانٍ حَتَّى غَضِبَ هِشَامٌ وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي بِرْكَةٍ مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ . كَذَلِكَ يَرْوُونَ

فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ الْمُسْتَغْرَبِ أَنْ يَنْهَضَ فِي هَذَا الْعَصْرِ

---

[1] هو مولى تيم بن مرة ، أصله من سبي فارس ، وهو شديد التعصب الى العجم ، وله فى ذلك شعر كثير ، فالتفت حوله رجالات من الفرس ودانوا بدينه ، فنشأ مذهب الشعوبية ، وهو المذهب الذى يرى أن العجم أفضل من العرب ، فانبرى لهم من العرب من يرد عليهم ويسفه أحلامهم حتى بلغ الجدال بالفريقين حداً ليس لاحدهما فيه دليل سليم على مزاعمه

تَرَاجِمَةٌ يَنْقُلُونَ إِلَى الْعَرَبِ عُلُومَ الْأُمَمِ الَّتِي سَبَقَتْهُمْ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ أَحْوَالِ هٰذَا الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ بَادِئِينَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَا تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ . فَتَرْجَمُوا لَهُمْ فِي السِّيَاسَةِ وَالطِّبِّ وَالنُّجُومِ . وَلَقَدْ كَانَتِ التَّرْجَمَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا مَقْصُورَةً عَلَى مَا كَتَبَ الْفُرْسُ وَأَهْلُ الْهِنْدِ ، لِشِدَّةِ الْمُخَالَطَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُعْرَفِ النَّقْلُ عَنِ الْيُونَانِيَّةِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ[1] وَالْمَأْمُونِ[2]

نبوغه فى الترجمة

وَكَانَ أَسْبَقَ الْمُتَرْجِمِينَ إِلَى النَّقْلِ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، فَقَدْ عُنِيَ بِتَرْجَمَةِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : وَهُوَ هٰذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَلَّفَهُ بَعْضُ فَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلْكِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ

وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ تَرْجَمَ غَيْرَ هٰذَا الْكِتَابِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ[3] . وَمَهْمَا يَكُنْ ذٰلِكَ حَقًّا فَإِنَّ

---

١ الرشيد : خليفة عباسى تولى الخلافة بعد الهادى سنة ١٧٠ الى ١٩٣ ﻫ فكان خامس خلفاء هذه الدولة ٢ وأما المأمون فهو ابن الرشيد تولى بعد أخيه الامين سنه ١٩٨ الى ٢١٨ ﻫ فكان سابع الخلفاء

٣ قيل : ترجم كتب أرسطاطاليس الثلاثة فى المنطق وهى كتاب قاطيغورياس وكتاب بارى أرمينياس وكتاب أنالوطيقا . وقيل أيضاً : ترجم إيساغوجى تأليف فرفوريوس الصورى

الْكِتَابَ الَّذِي بَقِيَ عَلَى الدَّهْرِ وَانْتَفَعَتْ بِهِ أُمَمٌ مُخْتَلِفَةٌ هُوَ كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ

وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ هُنَا شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا مَصْدَرُ مَيْلِ ابْنِ المُقَفَّعِ إِلَى التَّرْجَمَةِ فِي هٰذَا الْفَنِّ خَاصَّةً ، مَعَ أَنَّهُ فَنٌّ لَا يَتَلَقَّى بِالْقَبُولِ مِنْ أَصْحَابِ السَّطْوَةِ وَسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ . الثَّانِي مَقْدَرُ بَقَاءِ هٰذَا الْكِتَابِ وَانْدِثَارِ غَيْرِهِ مِمَّا تَرْجَمَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ حَتَّى اُضْطُرَّ الْعَرَبُ أَنْفُسُهُمْ إِلَى إِعَادَةِ نَقْلِهَا أَيَّامَ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ

فَأَمَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ فَلَا نَعْرِفُ لَهُ مَصْدَرًا إِلَّا الْحَالَةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي ذٰلِكَ الْعَصْرِ : أَيِ اشْتِعَالَ الْحُرُوبِ وَاضْطِرَامَ نِيرَانِهَا ، وَظُلْمَ الْخُلَفَاءِ ، وَعَسْفَ الْأُمَرَاءِ ، وَاحْتِيَاجَ النَّاسِ إِلَى مَا يَسْتَرْشِدُونَ بِهِ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رُعَاتِهِمْ ، وَافْتِقَارَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ إِلَى مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ وَضَبْطِ أُمُورِهَا فَكَأَنَّ هٰذَا الْكِتَابَ كَانَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْعَصْرِ الَّذِي تُرْجِمَ فِيهِ . فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ اسْتِغْنَاءُ النَّاسِ عَنْهُ أَوْ رَغْبَتُهُمْ عَنْ قِرَاءَتِهِ وَاسْتِظْهَارِهِ

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي فَمَصْدَرُهُ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَنَّ

ابن المقفع قد ترجم المنطق والفلسفة من اللغة الفارسية وكانت قد نقلت إليها من اليونانية ، وما ذكر الجاحظ من أن ابن المقفع أيضا كان لا يحسن الكلام وما يتصل به فكأن نقل هذه العلوم من الفارسية بعد نقلها من اليونانية مع صعوبة معانيها وخفاء أغراضها وقف حائلا بين ابن المقفع وبين إتقان نقلها ، مع أنه لم يكن بها بصيرا ولا بدقائقها محيطا . أو كأن نقلها من اليونانية إلى العربية من غير واسطة — مع أن الذين نقلوها بعده على علم غزير بها وحذق وفقه فيها — كان أوضح وأدنى إلى العقول والأفهام ، فجنح الناس إلى كتب غيره ، وأما كتبه فقد استأثر بها الاندثار والعفاء

عنايته بالحكم والأخلاق

ومن جملة هذا يظهر السبب في عناية الرجل بالحكم والأخلاق فيما كتب بعد كليلة ودمنة ، إذ يظهر أن هذا الكتاب قد أثر في نفسه تأثيرا حسنا فمال إلى محاكاته واحتذاء مثاله ، وهو مع ذلك بصير بالفارسية ملىء بما فيها من حكم وآداب ، ولا يحسن غير ذلك من العلوم المعروفة عند العرب في ذلك العصر

فَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَقْتَصِرَ فِي كِتَابَتِهِ عَلَى هٰذَا الْفَنِّ .
وَحَسْبُهُ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ وَالْمَكَانَةَ السَّامِيَةَ فِيهِ

أثر الآراء الاجتماعية فى السياسة والعقائد

يُخْطِئُونَ حِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ قِيَامَ دَوْلَةٍ وَسُقُوطَ أُخْرَى أَثَرٌ
لِخَاطِرٍ جَاشَ بِهِ صَدْرُ فَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ
الدَّوْلَةَ النَّاهِضَةَ وَتِلْكَ الدَّوْلَةَ الْعَاثِرَةَ إِنَّمَا تَقُومُ عَلَى أَعْنَاقِ
الْأُمَّةِ كُلِّهَا . فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْقُطَ إِلَّا إِذَا سَئِمَتْهَا الْأُمَّةُ وَلَا
أَنْ تَنْهَضَ إِلَّا إِذَا رَغِبَتْ فِيهَا وَحَرَصَتْ عَلَيْهَا وَإِثَارَةُ الْحُبِّ
وَالْبُغْضِ أَوِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي نُفُوسِ الْأُمَمِ أَمْرٌ غَيْرُ يَسِيرٍ ،
بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى عَنَاءٍ شَدِيدٍ وَزَمَنٍ بَعِيدٍ ، وَالْآرَاءُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ
النَّاشِئَةُ عَنْ دِينٍ أَوْ فَلْسَفَةٍ أَوْ أَدَبٍ هِيَ الَّتِي تُوجِدُهُ وَتَعْمَلُ فِيهِ

فَلَيْسَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ أَثَرًا لِمَا جَاشَ فِي نُفُوسِ بَنِي هَاشِمٍ
مِنْ حُبِّ الْمَجْدِ وَالرِّفْعَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَثَرٌ لِعَمَلٍ كَثِيرٍ قَامَتْ بِهِ
أُمَّةُ الْفُرْسِ وَجَدَّتْ فِيهِ حَتَّى اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَغْلِبَ الْعَرَبَ عَلَى
قُلُوبِهَا وَأَهْوَائِهَا مُسْتَعِينَةً عَلَى ذٰلِكَ بِمَا كَانَ لَهَا مِنْ سَابِقَةٍ فِي
الْمَجْدِ وَنَافِلَةٍ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَبِمَا شَجَرَ بَيْنَ الْعَرَبِ أَنْفُسِهِمْ
مِنَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ وَاللَّجَاجِ فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالِادِّعَاءِ لِلْآبَاءِ

وَالِانْتِسَابِ إِلَى الْأَجْدَادِ . وَكَمَا أَنَّ هٰذِهِ الْآرَاءَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ هِيَ الْمُؤَثِّرُ الْحَقِيقِيُّ فِي إِنْهَاضِ دَوْلَةٍ وَسُقُوطِ أُخْرَى فَهِيَ أَيْضًا الْمُؤَثِّرُ الْحَقِيقِيُّ فِي نُشُوءِ فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ وَأَلْوَانٍ مِنَ الرَّأْيِ : رُبَّمَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا سَبَقَهَا مِنَ الْآرَاءِ وَالْفُنُونِ تَفَاوُتٌ غَيْرُ قَلِيلٍ . فَقَدْ كَانَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ قَائِمَةً عَلَى آرَاءٍ تَرْبِيَةٍ حَالِصَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّينِ أَشَدُّ اتِّصَالٍ . فَلَمَّا نَهَضَ الْفُرْسُ لِإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رَاجَتْ فِي الْأُمَّةِ آرَاءٌ جَدِيدَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا عَهْدٌ بِهَا وَلَا سَابِقُ مَعْرِفَةٍ . فَكَانَتْ هٰذِهِ الْآرَاءُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا غَرِيبَةً مُسْتَنْكَرَةً يَعُدُّهَا عَامَّةُ النَّاسِ وَدَهْمَاؤُهُمْ مُخَالِفَةً لِلدِّينِ أَوْ بَعِيدَةً مِنْهُ . وَرُبَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ .

منشأ الزندقة بين المسلمين

وَشُيُوعُ هٰذِهِ الْآرَاءِ هُوَ مَنْشَأُ مَا يُسَمَّى عِنْدَ الْعَرَبِ بِالزَّنْدَقَةِ . فَإِنَّ الزَّنَادِقَةَ نَفَرٌ ظَهَرَ أَمْرُهُمْ وَعُرِفَتْ مَقَالَاتُهُمْ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَأَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَهُمْ يُرْمَوْنَ بِإِضْمَارِ الْكُفْرِ وَإِنْكَارِ وَحْدَةِ الْإِلٰهِ وَالْمَيْلِ إِلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلٰهَيْنِ كَمَا يَقُولُ الْمَجُوسُ ، وَيَتْبَعُ ذٰلِكَ أَنْوَاعٌ مِنَ الْإِبَاحَةِ

وَاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْخُرُوجِ مِمَّا يَأْلَفُ النَّاسُ فِي آرَائِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ. وَكُلُّ هٰذِهِ نِحَلٌ فَارِسِيَّةٌ أَوْ رَاجِعَةٌ إِلَيْهَا رُمِيَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ نَوَابِغِ الْعَرَبِ وَالْمَوَالِي: وَرُبَّمَا سُمِّيَ الْمُعْتَزِلَةُ[1] فِي عُرْفِ بَعْضِ الْغُلَاةِ زَنَادِقَةً لِشُذُوذِ بَعْضِهِمْ فِي الْمَقَالَاتِ عَمَّا تَأْلَفُهُ الْجَمَاعَةُ.

دیانة ابن المقفع

وَكَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَحَدَ الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ تُهْمَةُ الزَّنْدَقَةِ وَكَثُرَ عَلَيْهِ التَّشْنِيعُ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدِ انْقَسَمَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ بَيْنَ شِيعَةٍ لَهُ وَنَاعٍ عَلَيْهِ. وَنَحْنُ نَذْهَبُ فِي أَمْرِهِ مَذْهَبًا وَسَطًا. فَقَدْ زَعَمَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ كَانَ يَنْتَحِلُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ نِحْلَةَ أَبِيهِ: وَهِيَ الْمَجُوسِيَّةُ، وَكَانَ اسْمُهُ (رَوْزَبَة[2]) فَلَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاتَّصَلَ بِعِيسَى بْنِ عَلِيٍّ زَعَمَ لَهُ أَنَّهُ

---

١ المعتزلة هم الفرقة (الاسلامية) التي اعتزلت أهل السنة وذهبت الى مبادىء خاصة اتخذوها من أصول الدين بالرأي والبرهان. ومن مبادئهم وآرائهم نفي رؤية الله بالأبصار في الآخرة وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها والله تعالى منزه أن يضاف اليه شر أوظلم. واتفقوا على أن المؤمن إن ارتكب كبيرة ومات قبل أن يتوب منها خلد في النار، ولهم في ذلك براهين قلما يثبت أمامها نقض

٢ وأما كنيته فأبو عمرو

اشْتَاقَ إلى الإسْلَامِ وَيحِبُّ أنْ يُسْلِمَ عَلَى يَدَيْهِ . فَطَلَبَ إلَيْهِ عِيسَى أَنْ يَغْدُوَ عَلَيْهِ بَيْنَ القُوَّادِ وَرُؤَسَاءِ الأَجْنَادِ لِيَكُونَ إسْلَامُهُ مَشْهُودًا . قَالُوا : ثُمَّ حَضَرَ مَعَهُ المَائِدَةَ فِي المَسَاءِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيُزَمْزِمُ[١] عَلَى عَادَةِ المَجُوسِ . فَلَمَّا كَلَّمَهُ عِيسَى فِي ذَلِكَ . قَالَ : كَرِهْتُ أَنْ أَبِيتَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ !! . ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ فَأَعْلَنَ إسْلَامَهُ ، وَتَسَمَّى (عَبْدَ اللهِ) وَاكْتَنَى (أَبَا مُحَمَّدٍ)

وَزَعَمُوا كَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِبَيْتِ نَارٍ بَعْدَ إسْلَامِهِ فَتَمَثَّلَ قَوْلَ الأَحْوَصِ[٢] :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ
حَذَرَ العِدَى وَبِهِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ
إنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإنَّنِي
قَسَماً إلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمْيَلُ

---

١ زعموا أن زمزمة المجوس أن يتفاهموا بالألفاظ تخرج من خياشيمهم فلا تكاد تفهم لها معنى ٢ الاحوص : لقب لشاعر أموى يسمى عبد الله بن محمد ، نال من النسيب حظاً ومن البلاغة نصيباً كما أن شعره قد حر اليه من الآلام غير قليل . كثير التشبيب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة وغيرها ، وهو وإن لم يتقرب من الملوك ولا حظى عندهم فقد كان مهيباً لدى أهل البصر بالشعر وتأثيره ، فطالما تغنى بشعره الفحول من المغنين ، وحسبه ذلك أن يكثر (معبد) من الغناء به

هٰذَا كُلُّ مَا تَحَدَّثَ بِهِ الْمُؤَرِّخُونَ فِي دِينِ الرَّجُلِ وَعَقِيدَتِهِ رَوَيْنَاهُ إِلاَّ أَشْيَاءَ اغْتَمَزَهَا فِيهِ الْجَاحِظُ وَالْمُرْتَضِى وَلَيْسَ لَهَا فِي هٰذَا مَكَانٌ

وَمِمَّا قَدَّمْنَاهُ تُسْتَنْبَطُ أُمُورٌ :

الْأَوَّلُ — أَنَّ إِسْلَامَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ بَعْدَ ظُهُورِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَهِيَ الدَّوْلَةُ الَّتِي قَامَتْ بِأَعْيُنِ الْفُرْسِ وَحْدَهُمْ . فَهُمْ لِذَلِكَ أَطْمَعُ مَا يَكُونُونَ فِي الِاسْتِئْثَارِ بِسُلْطَانِهَا وَحُسْنِ الْمَكَانَةِ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَأُولِي الشَّوْكَةِ فِيهَا ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ذَكِيَّ الْقَلْبِ نَبِيلَ النَّفْسِ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ حَظٌّ وَمِنَ السِّيَاسَةِ نَصِيبٌ

الثَّانِي — أَنَّ إِسْلَامَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ لَمْ يَكُنْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ خَالِصًا لِلَّهِ . وَإِلاَّ فَمَا قَوْلُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ : كَرِهْتُ أَنْ أَبِيتَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ؟ ! وَهَلْ كَانَ مِنَ الْجَهْلِ بِالْإِسْلَامِ وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ بِحَيْثُ يَعْلَمُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّ إِسْلَامَ الرَّجُلِ لَا يَصِحُّ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ إِذَا أَعْلَنَهُ إِلَى النَّاسِ ! وَهَلَّا أَشْعَرَ قَلْبَهُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطُمَأْنِينَةَ الْيَقِينِ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ أَعْلَنَ ذَلِكَ وَجَهَرَ بِهِ ! وَأَيُّ مَعْنًى لِتَمَثُّلِهِ شِعْرَ الْأَحْوَصِ حِينَ مَرَّ بِبَيْتِ النَّارِ ، إِلاَّ أَنَّ بِهِ عَلَى دِينِهِ الْقَدِيمِ وَجْدًا وَإِلَى نِحْلَتِهِ الْأُولَى حَنِينًا

الثَّالِثُ — أَنَّهُمْ يَرْوُونَ عَنْهُ مُحَاوَرَاتٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ كَمُطِيعِ بْنِ إِيَاسٍ ١ وَيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ ٢ وَحَمَّادِ عَجْرَدَ ٣ مَمْلُوءَةً بِالْمُجُونِ وَاللَّغْوِ اللَّذَيْنِ لَا يَصْدُرَانِ عَنْ قَلْبٍ خَاشِعٍ أَوْ نَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ إِلَى اللهِ . وَكُلُّ هٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِسْلَامَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ لَمْ يَكُنْ كَإِسْلَامِ الزُّهَّادِ وَالنُّسَّاكِ ، وَإِنَّمَا كَانَ كَإِسْلَامِ بَعْضِ الْأُدَبَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ يَصْطَنِعُونَ رِضَى الْحُكَّامِ وَيَتَّقُونَ

....

١ مطيع بن إياس من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وليس من فحول الشعراء في تلك ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة مليح النادرة ماجناً متهما في دينه بالزندقة ، نادم الوليد بن يزيد والمنصور ومن بينهما وفيه يقول بعض معاصريه : (كنت ترى رجلا يصبر عليه العاقل اذا راه ولا يصحبه أحد إلا افتضح به) وفيه يقال أيضاً : (كان اذا حضر ملكك وإن غاب شاقك واذا عرفت بصحبته فضحك) . وله مع يحيى بن زياد وحماد كثير المجون وغزير الهجو والاخبار في ذلك مستفيضة ٢ يحيى بن زياد الحارثي في المجون والزندقة والخلاعة هو ومطيع سواسية . مر مطيع بن اياس على حماد عجرد ويحيى بن زياد وهما في الحديث فقال لهما : فيم تتحادثان ؟ فقالا : في قذف المحصنات . فقال : أو في الارض محصنة فتقذفاها

٣ حماد عجرد : هو كصاحبيه مطيع ويحيى غير أنه أشعر منهما . وقد عني الأدباء في الدولة العباسية بمهاجاته بشار بن برد كما عنوا في الدولة الاموية بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وكانت له مكانة لا تنال حتى أسقطه بشار بما كان بينهما . ويذكرون وفاته سنة ١٦١

كرْهَ الْعامَّةِ بِما يَنْتَحِلونَ مِنْ نِحْلَةٍ وَمَا يُظْهِرُونَ مِنْ دِينٍ وَلَهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ مَيْلٌ مَعَ الْهَوَى وَمُتَابَعَةٌ لِظَاهِرِ الرَّأْيِ وَانْقِيَادٌ لِلشَّهَوَاتِ : فَقَلَّمَا يُوَافِقُ نَفْسًا صَالِحَةً أَوْ قَلْبًا خَاشِعًا

أثر الانتقال الاجتماعى فى العقائد

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ بِغَرِيبٍ . فَإِنَّ عَصْرًا كَالْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ قَدْ رَاجَتْ فِيهِ آرَاءُ الْفَلَاسِفَةِ وَمَقَالَاتُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَأَهْوَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ كَثِيرًا مَا يُخَرِّجُ نَفَرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ يُظْهِرُونَ الدِّينَ وَيَجْهَرُونَ بِهِ ، وَلَٰكِنَّهُمْ لَا يَلْتَزِمُونَ التَّوَرُّعَ وَالْخُشُوعَ . وَالْبُرْهَانُ عَلَى ذَٰلِكَ فِي عَصْرِنَا يَسِيرٌ فَقَدْ كُنَّا فِي الْعَصْرِ الْمَاضِي وَلَيْسَ مِنَّا إِلَّا حَرِيصٌ عَلَى الْأَوْضَاعِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَرَى التَّقْصِيرَ فِيهَا نَقْصًا وَالْإِنْحِرَافَ عَنْهَا سُبَّةً وَعَارًا . فَلَمَّا اتَّصَلَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْغَرْبِ الْأَسْبَابُ وَالْأَوَاصِرُ وَنَقَلْنَا عَنِ الْإِفْرِنْجَةِ شَيْئًا مِنْ عُلُومِهِمْ وَفَلْسَفَتِهِمْ نَشَأَ فِينَا نَشْءٌ حُرٌّ فِي الدِّينِ (كَمَا يَقُولُونَ لَا يَلْتَزِمُونَ أَطْوَارَهُ وَلَا يَحْرِصُونَ عَلَى آدَابِهِ

وَلَسْنَا فِي سَبِيلِ مِثْلِ هَٰذَا الرَّأْيِ وَالشَّكَاةِ مِنْهُ . وَإِنَّمَا نَحْنُ نُقِيمُ الْبُرْهَانَ عَلَى أَنَّ أَعْصُرَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ حَالٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ إِلَى حَالٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى أَشْيَاءَ يُنْكِرُهَا الْجُمْهُورُ وَتُخَالِفُهُ

مَا لَهُ مِنْ عَادَاتٍ مَوْرُوثَةٍ وَآدَابٍ مُسْتَحْسَنَةٍ وَعَقَائِدَ مُحْتَفَظٍ بِهَا

وَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِهَذَا الْجُمْهُورِ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ سَيِّئَةً فِي نَفْسِهَا مَرْذُولَةً فِي طَبِيعَتِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ قُوَّتِهِ الْفِطْرِيَّةِ وَحِرْصِهِ عَلَى تُرَاثِهِ الْقَدِيمِ عَاصِمٌ يَقِيهِ شَرَّهَا وَيَرُدُّ عَنْهُ عَادِيَةَ مَا فِيهَا مِنْ سُوءٍ

وَلَمْ يَكُنْ عَصْرُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ إِلَّا عَصْرَ انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . فَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَكْثُرَ فِيهِ الْمُخَالِفُونَ لِلْجُمْهُورِ الْمُنْكِرُونَ لِعَادَاتِهِ وَآدَابِهِ وَعَقَائِدِهِ . إِلَّا أَنَّ الدِّينَ لَمْ يَزَلْ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ شَدِيدَ السُّلْطَانِ، حَسَنَ الْأَثَرِ، قَادِرًا عَلَى مُقَاوَمَةِ الْبِدْعَةِ وَرَدِّ الْمُحْدَثَاتِ ، فَتَغَلَّبَ بَعْضَ التَّغَلُّبِ عَلَى تِلْكَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ الَّتِي نَجَمَتْ مِنْ رَوَاجِ الْفَلْسَفَةِ الْوَثَنِيَّةِ وَآرَاءِ الْمَجُوسِ وَأَهْوَاءِ الصَّابِئَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ . وَمَعَ أَنَّ مَذَاهِبَ الزَّنَادِقَةِ وَأَضْرَابِهِمْ كَانَتْ سَيِّئَةَ الْمَغَبَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَجِدُ مِنْ مُؤَرِّخِيهِمْ وَأَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ شِدَّتَهُ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَأَخْذَهُ فِيهَا بِالشُّبْهَةِ ، وَرَأَى أَنَّ فِي الدِّينِ وَقُوَّتِهِ وَفِي سُطُوعِ نُورِهِ وَجَلَاءِ بُرْهَانِهِ مَا يَكْفِي لِرَدِّ بِدَعِ الْمُبْتَدِعَةِ . وَإِذَا فَنَسْتَطِيعُ الْحُكْمَ بِأَنَّ

ابْنَ الْمُقَفَّعِ قَدْ كَانَ مُسْلِمًا فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ وَرُبَّمَا بَدَرَتْ مِنْهُ بَوَادِرُ لَا تَدُلُّ عَلَى اطْمِئْنَانِ الْقَلْبِ وَاسْتِشْعَارِهِ حَلَاوَةَ الْإِسْلَامِ

« فَأَمَّا الْجَزْمُ بِذَاتِ نَفْسِهِ وَالْإِيقَانُ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَخُوضَ فِيهِمَا . بَلْ يَنْبَغِي أَنْ نَتْرُكَهُمَا لِلَّهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِمَا . وَعَلَيْنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ عَلَى أَنَّ الْفُرْسَ إِنَّمَا كَانُوا يَنْتَحِلُونَ الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُونَهُ تَوَسُّلًا إِلَى رِضَى الْمُلُوكِ وَابْتِغَاءَ الْمَكَانَةِ لَدَيْهِمْ ، وَحِرْصًا عَلَى أَنْ يَسْتَرِدُّوا لِأَنْفُسِهِمْ عَهْدَ الْمَجْدِ وَالسَّطْوَةِ ، وَيُعِيدُوا بَهْجَةَ أَيَّامِ الْأَكَاسِرَةِ . بَلْ كَثِيرًا مَا كَانُوا يَنْتَحِلُونَ رَأْيَ الْخَلِيفَةِ وَيُضْمِرُونَ غَيْرَهُ : كَمَا يَتَحَدَّثُ الْمُؤَرِّخُونَ عَنِ الْبَرَامِكَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا شِيعَةً لِعَلِيٍّ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ يُظْهِرُونَ الدِّينَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَيَقُولُونَ بِمَقَالَةِ الْكَيْسَانِيَةِ [1] ، وَكَذَلِكَ تَحَدَّثُوا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَأَخِيهِ الْفَضْلِ وَزِيرَيِ الْمَأْمُونِ

....

[1] الكيسانية : أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ، يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة

فَلَيْسَ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ قَدْ سَمَا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْ هٰذَا حِينَ آنَسَ مِنْ نَفْسِهِ النُّبْلَ وَالْفَضْلَ وَحُسْنَ الْفِطْنَةِ وَجُودَةَ الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَرَ مَا يُقَصِّرُ بِهِ عَنْ مُنَاصَاةِ كِبَارِ الرِّجَالِ وَسَاسَةِ الْمُلْكِ إِلَّا دِينَهُ ، فَآثَرَ الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَاخْتَارَهُ إِلَىٰ مُبْتَغَاهُ سَبِيلًا

شرعة أديبي الدولتين

وَمِمَّا قَدَّمْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ عَنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ يَظْهَرُ الْفَرْقُ جَلِيًّا وَاضِحًا بَيْنَ أَدِيبَيِ الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ . فَقَدْ كَانَ الْأَوَّلُ لَا يُعْنَىٰ بِأَكْثَرَ مِنْ رِوَايَةِ الشِّعْرِ وَالْخُطَبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِمَا مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَأَنْسَابِهَا ، وَلَا يَحْرِصُ عَلَىٰ غَيْرِ الْحِذْقِ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ وَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ ، بَيْنَمَا الثَّانِي يَجْمَعُ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ مِقْدَارًا صَالِحًا ، ثُمَّ يُضِيفُ إِلَيْهِ مَا أَفَادَتْهُ الْحَضَارَةُ وَأَثَارَهُ الْعُمْرَانُ مِنْ عِلْمٍ وَمَا نُقِلَ عَنْ غَيْرِ الْعَرَبِ مِنْ حِكْمَةٍ وَفَلْسَفَةٍ . وَكَانَتْ تَظْهَرُ آثَارُ الْعِلْمَيْنِ فِي أَقْوَالِ الرَّجُلَيْنِ ،

والحج وغيرها وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت الى آخر ماعرف عنهم

فَلَسْتَ تَرَى فِي كَلَامِ الْعَبَّاسِيِّ نَظْمًا وَنَثْرًا مِنَ السَّذَاجَةِ الْفِطْرِيَّةِ وَالْبَدَاوَةِ مَا تَرَاهُ فِي كَلَامِ الْأُمَوِيِّ . بَلْ يَظْهَرُ مِثْلُ هٰذَا الْفَرْقِ مَعَ التَّأَمُّلِ بَيْنَ الْأَدِيبِ الْأُمَوِيِّ وَالْأَدِيبِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ

لِذٰلِكَ يَكْثُرُ الْقَوْلُ فِي تَرْجَمَةِ الْعَبَّاسِيِّ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ عَرَضَتْ لَهُ شُؤُونٌ ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالٌ لَمْ يَنَلْ مِثْلَهَا الثَّانِي ، فَالزَّنْدَقَةُ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي أَوَائِلِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ . وَكَذٰلِكَ التَّرَسُّلُ فِي الْأَسَالِيبِ وَالتَّبَسُّطُ فِي تَرْكِيبِ الْكَلَامِ . وَرُبَّمَا كَانَ الْقَوْلُ فِي الْعَبَّاسِيِّ النَّاشِئِ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ أَضْعَافَ الْقَوْلِ فِيمَنْ عَاشَ أَيَّامَ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ . فَلَيْسَتِ التَّرْجَمَةُ لِلْجَاحِظِ وَالنَّظَّامِ[1] كَالتَّرْجَمَةِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمُطِيعِ ابْنِ إِيَاسٍ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَيْنِ كَانَا فِي زَمَنٍ أَكْثَرَ حَضَارَةً وَعُمْرَانًا مِنْ زَمَنِ الْآخَرَيْنِ ، وَلِأَنَّ الْمَقَالَاتِ وَمَذَاهِبَ الْفَلَاسِفَةِ كَانَتْ أَكْثَرَ شُيُوعًا وَانْتِشَارًا

---

[1] النظام : كبير من معاصري الجاحظ واسمه إبراهيم بن سيار بن هانئ ، طالع كثيراً من كتب الفلاصفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة واتخذ له من ذلك مذهباً يعرف أهله بالنظامية

فِي أَيَّامِ الْجَاحِظِ وَالنَّظَّامِ مِنْهَا فِي أَيَّامِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمُطِيعٍ .
وَكَذَلِكَ الْحَالُ كُلَّمَا اخْتَلَفَتْ أَعْصُرُ الْأُدَبَاءِ غُلُوًّا وَهُبُوطًا
وَرُقِيًّا وَسُقُوطًا .

سيرة ابن المقفع

تُحَدِّثُنَا كُتُبُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَرْضَى النَّاسِ
أَخْلَاقًا وَأَكْرَمِهِمْ خِلَالًا وَأَحْسَنِهِمْ شِيمَةً وَأَرَقِّهِمْ شَمَائِلَ .
فَإِنَّ مَنْ تَصْدُرُ عَنْهُ الْيَتِيمَةُ وَأَدَبُ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ خَلِيقٌ أَنْ
يَكُونَ طَاهِرَ النَّفْسِ مِنَ الْغَيِّ بَرِيءَ الْقَلْبِ مِنَ الرِّجْسِ : قَدْ
عَرَفَ الدُّنْيَا وَابْتَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَلَمْ تُزْعِجْهُ
صُرُوفُهَا وَلَمْ تُبْطِرْهُ نَعْمَاؤُهَا . وَيُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ وَأَخْبَارُ الرُّوَاةِ
أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّعَابَةِ وَالْمُجُونِ مَكَّنَهُ مِنْ
صُحْبَةِ مُطِيعٍ وَيَحْيَى وَحَمَّادٍ . وَبَيْنَ هٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ مِنَ
التَّضَارُبِ وَالتَّنَاقُضِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ . غَيْرَ أَنَّ مِمَّا
لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الْعِلْمَ وَحْدَهُ قَلَّمَا يُؤَثِّرُ فِي الْأَخْلَاقِ فَيُصْلِحُ
مِنْهَا فَاسِدًا أَوْ يُقِيمُ مُنْآدًا ، وَإِنَّمَا النَّافِعُ فِي ذَلِكَ هُوَ الدِّينُ
الَّذِي يُشْعِرُ الْقَلْبَ خَشْيَةَ اللهِ وَالرَّهْبَةَ مِنْهُ ، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِ طَاعَتَهُ
وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ . وَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مِنَ الَّذِينَ

بحَيْثُ قدَّمْنا لَكَ . فَلَيْسَ بِدْعًا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْمُجُونِ حَظٌّ أَوْ أَنْ يَضْرِبَ فِي اللَّهْوِ بِسَهْمٍ.

أَمَّا كُتُبُهُ الْمَمْلُوءَةُ بِالْحِكْمَةِ الْمُفْعَمَةُ بِالْآدَابِ فَلَنْ تَعْدُوَ أَنْ تَكُونَ نَتِيجَةً مِنْ نَتَائِجِ عِلْمِهِ الْجَمِّ وَأَدَبِهِ الْغَضِّ وَفَضْلِهِ الْكَثِيرِ.

حرصه على الوفاء

عَلَى أَنَّا مُلْزَمُونَ أَنْ نَعْتَرِفَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ بِحَظٍّ مَوْفُورٍ مِنْ فَضِيلَةِ الْوَفَاءِ لِلصَّدِيقِ وَالنُّصْحِ لِلرَّئِيسِ . وَحَسْبُكَ بُرْهَانًا عَلَى ذَٰلِكَ مُؤَاسَاتُهُ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ ، فَقَدْ أَخْفَاهُ [1] فِي بَيْتِهِ سَنَةً . فَلَمَّا عَلِمَ السُّلْطَانُ بِمَكَانِهِ مِنْهُ بَعَثَ إِلَيْهِ الشُّرْطَةَ فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ : أَيُّكُمَا عَبْدُ الْحَمِيدِ ؟ فَقَالَ كُلٌّ : أَنَا هُوَ ، وَلَجَّ فِي الطَّلَبِ حَتَّى تَبَيَّنَ السُّلْطَانُ طَلِبَتَهُ فَأَنْفَذَ فِيهِ أَمْرَهُ .

مقتله

وَحَسْبُكَ كَذَٰلِكَ بُرْهَانًا عَلَى ذَٰلِكَ حَادِثَةٌ كَانَتِ الْمُودِيَةَ بِحَيَاتِهِ وَالذَّاهِبَةَ بِنَفْسِهِ . فَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مُتَّصِلًا بِعَبْدِ اللهِ ابْنِ عَلِيٍّ أَيَّامَ خُرُوجِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ . فَلَمَّا فُلَّتْ شَبَاتُهُ

---

١ تلك احدى الروايتين فى موت عبد الحميد

وَاسْتَأْمَنَ إِلَى المَنْصُورِ كَتَبَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَقْدَ الأمَانِ وَشَدَّدَ فِيهِ وَغَلَّظَ الأَيْمَانَ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ : فَطَلَّقَ نِسَاءَهُ وَأَعْتَقَ عَبِيدَهُ وَأَحَلَّ النَّاسَ مِنْ بَيْعَتِهِ إِنْ نَكَثَ عَهْدَهُ لِعَمِّهِ عَبْدِ اللهِ أَوْ غَدَرَ بِهِ . فَأَحْفَظَ ذَلِكَ المَنْصُورَ وَأَسَرَّهَا فِي نَفْسِهِ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ . قَالَ المُؤَرِّخُونَ : فَأَوْحَى المَنْصُورُ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَامِلِهِ عَلَى البَصْرَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ إِحَنٌ [١]

وَقِيلَ بَلِ اغْتَالَهُ سُفْيَانُ فَلَمَّا رُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى المَنْصُورِ رَضِيَهُ وَاحْتَالَ فِي إِهْدَارِ دَمِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَصَرْفِ الثَّائِرِينَ عَمَّا كَانُوا يَبْتَغُونَ [٢]

---

١ ذلك لان ابن المقفع كان كثير الاستخفاف بسفيان وكان أنف سفيان كبيراً فاذا دخل عليه ابن المقفع استخف به وهزأ قائلا : السلام عليكما . يعنى بذلك سفيان وأنفه . قال له يوماً على مسمع من كثير ساخراً : ما تقول يا سفيان فى شخص مات وخلف زوجا وزوجة . وقال سفيان يوما : ما ندمت على سكوت قط . فقال له ابن المقفع : الخرس زين لك فكيف تندم عليه فلذلك وأمثاله كان يقول سفيان : والله لاقطعنه ارباً ارباً وعينه تنظر

٢ اغتاله سفيان سراً فى داره بعد ثلاثين من عمره وسأل عنه سليمان وعيسى فقيل : انه دخل دار سفيان سليما ولم يخرج فخاصماه الى المنصور وأحضراه بين يديه مقيداً وحضر الشهود

هٰذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ حَيَاةِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ مَمْلُوءَةٌ بِالْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ تُحَدِّثُ بِجَلِيلِ خَطَرِهِ وَنَبَاهَةِ شَأْنِهِ وَتُنْبِئُ بِأَنَّ حَيَاةَ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ مَهْمَا يَكْثُرْ فِيهَا الْخَيْرُ لَا تَخْلُو مِنْ هَفْوَةٍ أَوْ كَبْوَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَعْدُ أَنْ تَكُونَ حَيَاةَ إِنْسَانٍ ضَعِيفٍ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ الْعِصْمَةَ وَلَا يَقْدِرُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عَلَى كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ ؟

محمد المرصفي

القاهرة فى ١ اكتوبر سنة ١٩١٢م
اثنتى عشر وتسعمائة وألف

الذين شاهدوه دخل داره ولم يخرج . وأقاموا الشهادة . فقال لهم المنصور : أنا أنظر فى هذا الامر . ثم قال لهم : أرأيتم أن قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت (وأشار الى باب خلفه) وخاطبكم ماترونى صانعا بكم ؟ أأقتلكم بسفيان ؟ فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب سليمان عن ذكره وعلم أنه قتل بعلمه

مقدمة الكتاب

قَدَّمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَحْوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ . ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ[1] لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ ، صِيَانَةً لِغَرَضِهِ فِيهِ مِنَ الْعَوَامِّ ، وَضَنًّا بِمَا ضَمَّنَهُ عَنِ الطَّغَامِ[2] ، وَتَنْزِيهًا لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِهَا ، وَمَحَاسِنِهَا وَعُيُونِهَا[3] . إِذْ هِيَ لِلْفَيْلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ[4] ، وَلِخَاطِرِهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَلِمُحِبِّيهَا تَثْقِيفٌ[5] ، وَلِطَالِبِيهَا تَشْرِيفٌ . وَذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَذَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ بْنُ قُبَاذَ[6] بْنِ فَيْرُوزَ مَلِكُ الْفُرْسِ بَرْزَوَيْهِ رَأْسَ الْأَطِبَّاءِ إِلَى

---

١ البراهمة : قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل وسيأتى ماهو أوضح فى أول باب الأسد والثور ٢ الضن بالفتح والكسر : البخل . والطغام بالفتح : الأوغاد والارذال الواحد فيه والجمع سواء ٣ عيونها : خيارها ٤ المندوحة والمنتدح : السعة والفسحة ٥ التثقيف : التقويم والتهذيب ٦ هو أبو كسرى

بِلَادِ ٱلْهِنْدِ، لِأَجْلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ؛ وَمَا كَانَ مِنْ تَلَطُّفِ بَرْزَوَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى ٱلْهِنْدِ، حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرًّا مِنْ خِزَانَةِ ٱلْمَلِكِ لَيْلًا، مَعَ مَا وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ. وَقَدْ ذَكَرَ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ بَرْزَوَيْهِ إِلَى مَمْلَكَةِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ؛ وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَلْزَمُ مُطَالِعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ، وَٱلْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ، وَٱلنَّظَرِ إِلَى بَاطِنِ كَلَامِهِ؛ وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى الغَايَةِ مِنْهُ. وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرْزَوَيْهِ وَقِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ جَهْرًا. وَقَدْ ذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُرْجَمْهَرُ[١] بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ بَرْزَوَيْهِ ٱلْمُتَطَبِّبِ. وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآنِ مَوْلِدِهِ، إِلَى أَنْ بَلَغَ التَّأْدِيبَ وَأَحَبَّ ٱلْحِكْمَةَ وَٱعْتَبَرَ[٢] فِي أَقْسَامِهَا، وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ وَالثَّوْرِ ٱلَّذِي هُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ ٱلْفَارِسِيُّ: كَانَ السَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ

---

١ وزير كسرى ٢ اعتبر: نظر. والحكمة هى ما يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هى فى الوجود بمقدار ما يستطيع الانسان

أَجْلِهِ وَضَعَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ الرُّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ ، سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ[١] ، وَيُوَاقِعُ مَنْ وَاقَعَهُ ، وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ ، مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ ، وَهُمُ الطَّبَقَةُ ٱلْأُولَى ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ[٢] وَقَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ[٣] ، وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ ؛ فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ[٤] ، وَتَمَزَّقُوا حَزَائِقَ[٥] ؛ فَتَوَجَّهَ بِٱلْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ ، فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ ٱلْهِنْدِ ، لِيَدْعُوَهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَالدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ . وَكَانَ عَلَى ٱلْهِنْدِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ ، وَقُوَّةٍ وَمِرَاسٍ[٦] ، يُقَالُ لَهُ فُورٌ . فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحَارَبَتِهِ ، وَٱسْتَعَدَّ لِمُجَاذَبَتِهِ[٧] ؛ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ[٨] ، وَجَدَّ فِي التَّأَلُّبِ[٩] عَلَيْهِ ؛

---

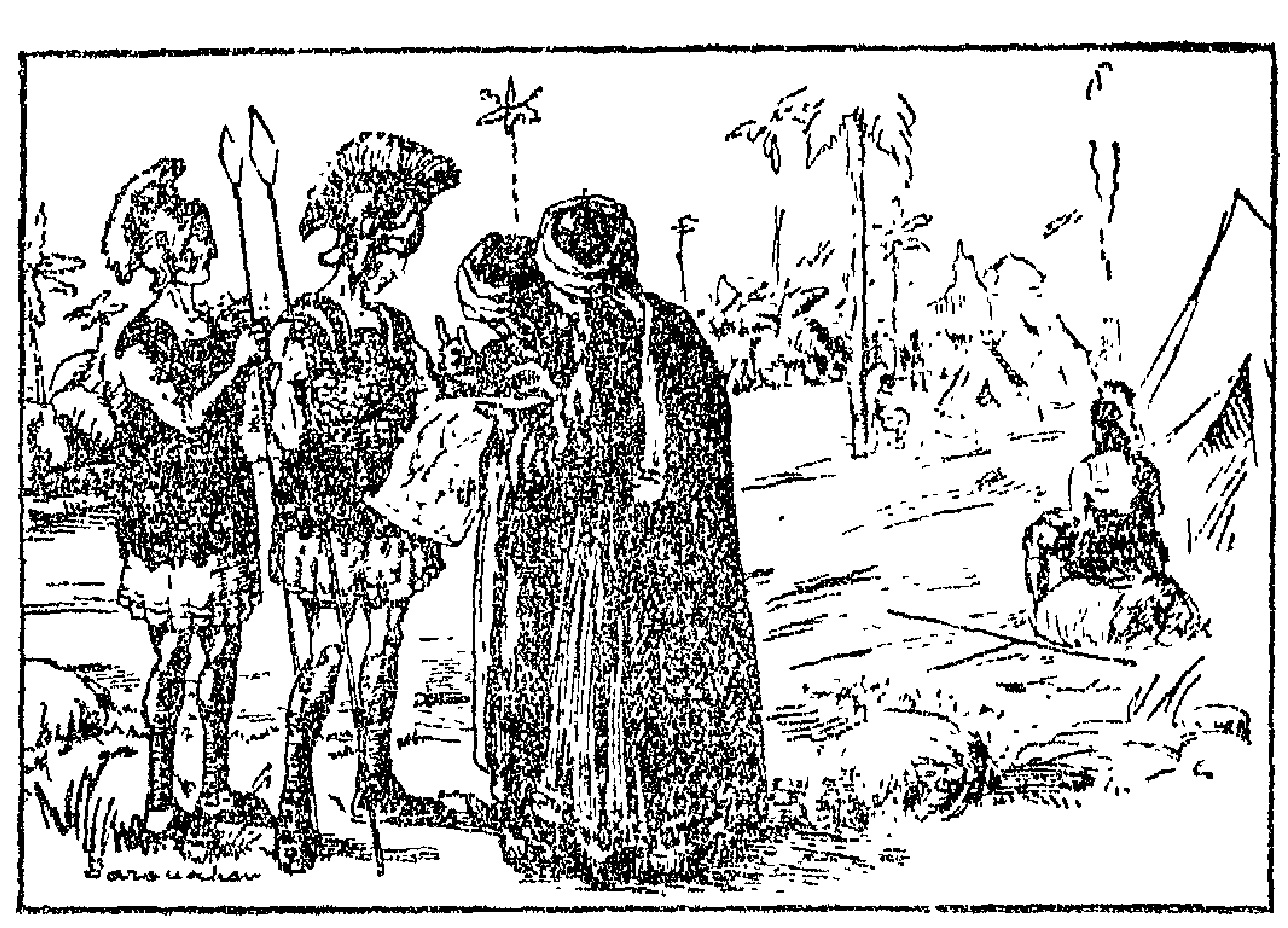
١ خاصمه ٢ غلبهم ٣ عاداه ٤ طرائق : جمع طريقة بمعنى رجال أشراف أو معالق فرقة ٥ حزائق جمع حزيقة : الجماعة ، وهى كالحزقة : القطعة من كل شيء ٦ المراس : الشدة ٧ يريد : استعد لمنازعته ، وأصل المجاذبة : التنازع في الجذب ٨ يريد : من الأطراف ماتفرق من قواه ٩ التألب : التجمع

وَجَمَعَ لَهُ الْعُدَّةَ[1]، فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ، مِنَ الْفِيَلَةِ[2] الْمُعَدَّةِ لِلْحُرُوبِ، وَالسِّبَاعِ الْمُضَرَّاةِ[3] بِالْوُثُوبِ، مَعَ الْخُيُولِ الْمُسْرَجَةِ، وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ، وَالْحِرَابِ[4] اللَّوَامِعِ. فَلَمَّا قَرُبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ، وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْخَيْلِ، الَّتِي كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ[5]، مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَقَالِيمِ، تَخَوَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ بِهِ إِنْ عَجَّلَ الْمُبَارَزَةَ. وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حِيَلٍ وَمَكَايِدَ، مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ. فَرَأَى إِعْمَالَ الْحِيلَةِ وَالتَّمَهُّلَ، وَاحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ[6]، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ لِاسْتِنْبَاطِ الْحِيلَةِ، وَالتَّدْبِيرِ لِأَمْرِهِ، وَكَيْفَ يَسْعَى لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِ[7]. فَاسْتَدْعَى بِالْمُنَجِّمِينَ، وَأَمَرَهُمْ بِالِاخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ فِيهِ سَعَادَةٌ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ. فَاشْتَغَلُوا بِذَلِكَ.

---

١ العدة بالضم: ما يعد من مال أو سلاح ٢ الفيلة كعنبة جمع فيل
٣ من قولهم ضراه به: أغراه ٤ جمع حربه ٥ القطع: جزء من الليل
يريد أن الجيوش لكثرتها وكثافتها تشبه ظلام الليل ٦ الخندق: حفير
حول اسوار المدن أو أمام الجيوش (معرب) ٧ الاسراع

١



ذو القرنين بين المنجمين يختارون له الوقت الصالح

وَكَانَ ذُوالْقَرْنَيْنِ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصُّنَّاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَّاعِهَا بِالْحِذْقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، فَأَنْتَجَتْ لَهُ هِمَّتُهُ ، وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ ، أَنْ يُقَدِّمَ إِلَى الصُّنَّاعِ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةً ، عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي ، إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَافُهَا بِالنِّفْطِ وَالْكِبْرِيتِ ، وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَقِي الْجَمْعَانِ تُضْرَمُ فِيهَا النِّيرَانُ ، فَإِنَّ الْفِيَلَةَ إِذَا لَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَى الْفُرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَّتْ هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ إِلَى الصُّنَّاعِ

٢



جيش فور الهندي　　　خيالة الاسكندر وفي الخيل النحاسية

بالتَّشْمِيرِ وَالِانْكِمَاشِ[١] وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي ذٰلِكَ وَعَجَّلُوا وَقَرُبَ أيضًا وَقْتُ اخْتِيَارِ الْمُنَجِّمِينَ

فأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَالْإِذْعَانِ[٢] لِدَوْلَتِهِ فَأَجَابَ جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ ، سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ[٣] ، وَقَدَّمَ فُورٌ الْفِيلَةَ أَمَامَهُ وَدَفَعَتِ الرِّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَتَمَاثِيلَ الْفُرْسَانِ ، فَأَقْبَلَتِ الْفِيَلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا

---

١ الاسراع　٢ الانقياد والخضوع　٣ الاهبة : العدة التي اعتدها للاقاة مثله

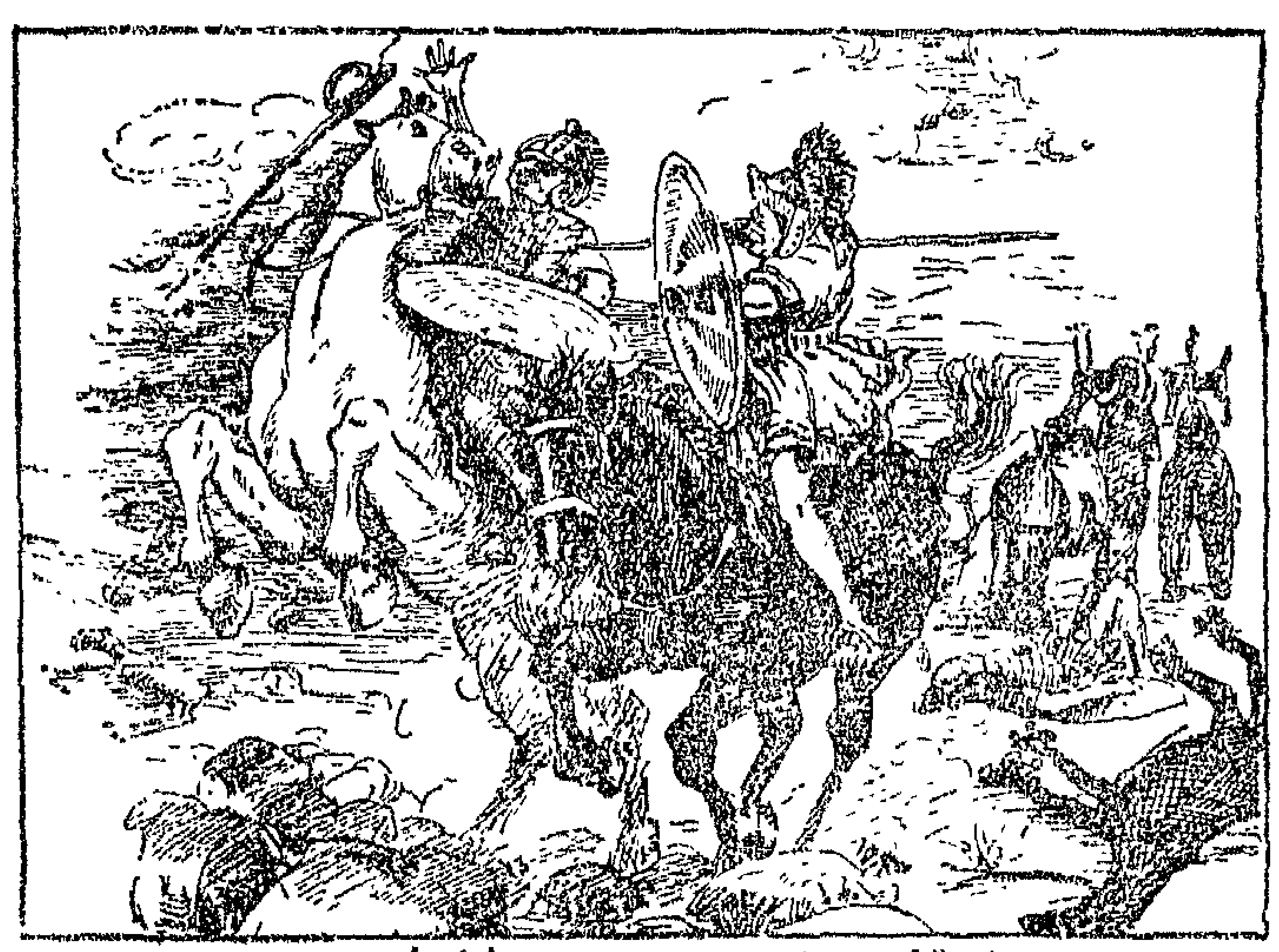
فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا ، وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ[1] وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ[2] فُورٌ وَجَمْعُهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَنْدَرِ ، وَأَثْخَنُوا[3] فِيهِمِ الْجِرَاحَ . وَصَاحَ الْإِسْكَنْدَرُ : يَا مَلِكَ الْهِنْدِ اُبْرُزْ إِلَيْنَا ، وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ ، وَلَا تَحْمِلْهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بِعُدَّتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتْلِفَةِ ، وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْحِفَةِ[4] بَلْ يَقِيهِمْ بِمَالِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ . فَابْرُزْ إِلَيَّ وَدَعِ الْجُنْدَ ، فَأَيُّنَا قَهَرَ صَاحِبَهُ فَهُوَ الْأَسْعَدُ . فَلَمَّا سَمِعَ فُورٌ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ ، دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِمُلَاقَاتِهِ طَمَعًا فِيهِ ، وَظَنَّ ذَلِكَ فُرْصَةً

فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْإِسْكَنْدَرُ ، فَتَجَاوَلَا عَلَى ظَهْرَيْ فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً ، وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ . فَلَمَّا أَعْيَا[5] الْإِسْكَنْدَرَ أَمْرُهُ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةً ، أَوْقَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي عَسْكَرِهِ صَيْحَةً

---

١ أي لا تقف ولا تلتفت الى أى شىء ٢ تشتت وتفرق
٣ أكثروا ، من الاثخان فى الشيء وهو المبالغة فيه والاكثار
٤ من أجحف الدهر بالناس : استأصلهم ٥ أعيا : أعجز

٣



ذو القرنين وفور الهندي يتصارعان على ظهري فرسيهما

عَظِيمَةً أُرْتَجَّتْ لَهَا ٱلْأَرْضُ وَالْعَسَاكِرُ ، فَالْتَفَتَ فُورٌ عِنْدَمَا سَمِعَ ٱلزَّعْقَةَ ، وَظَنَّهَا مَكِيدَةً فِي عَسْكَرِهِ ، فَعَاجَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَالَتْهُ عَنْ سَرْجِهِ وَتَبِعَهُ بِأُخْرَى ، فَوَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ .
فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْهِنْدُ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ ، حَمَلُوا عَلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا أَحَبُّوا مَعَهُ ٱلْمَوْتَ ، فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْإِحْسَانَ ، وَمَنَحَهُ ٱللهُ أَكْنَافَهُمْ[١] ، فَٱسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ . وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ حَتَّى ٱسْتَوْثَقَ[٢] لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَٱتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ

١ يريد مكنه منهم ٢ اجتمع

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذٰلِكَ الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ ، وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ لَهُ . فَمَّا بَعُدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ ، تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَّفَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : لَيْسَ يَصْلُحُ لِلسِّيَاسَةِ ، وَلَا تَرْضَى الْخَاصَّةُ وَلَا الْعَامَّةُ أَنْ يُمَلِّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَذِلُّهُمْ وَيَسْتَقِلُّهُمْ . وَاجْتَمَعُوا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ ؛ فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ ، وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ خَلَّفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ[١] لَهُ الْأَمْرُ وَاسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكُ ، طَغَى وَبَغَى ، وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ ؛ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذٰلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا . فَهَابَتْهُ الرَّعِيَّةُ . فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّطْوَةِ ، عَبِثَ[٢] بِالرَّعِيَّةِ ، وَاسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِمْ . وَكَانَ لَا يَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ازْدَادَ عُتُوًّا[٣] . فَمَكَثَ عَلَى ذٰلِكَ بُرْهَةً[٤] مِنْ دَهْرِهِ . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ

١ استوسق له الامر : أمكنه ٢ يريد أفسد أحوال الرعية
٣ العتو : الاستكبار والجور وخروج الانسان عن الحد ٤ البرهة : الزمن الطويل وربما جاز فيها ما تفهمه العامة من أنها الوقت القصير

الْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ ، يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ ، فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَرَدِّهِ إِلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، فَجَمَعَ لِذَلِكَ تَلَامِيذَهُ ، وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ ؟ إِعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلُزُومِ الشَّرِّ ، وَرَدَاءَةِ السِّيرَةِ ، وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ ، وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ[1] أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ ، وَلُزُومِ الْعَدْلِ وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَ وُقُوعُ الْمَكْرُوهِ بِنَا ، وَبُلُوغُ الْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا ، إِذْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ ، وَفِي الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ . وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ ، وَلَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ وَقُبْحِ الطَّرِيقَةِ . وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا . وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ . وَإِنْ أَحَسَّ مِنَّا مُخَالَفَتَهُ وَإِنْكَارَنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارُنَا[2] . وَقَدْ

---

١ من قولهم رضت الدابة أروضها : مهدتها وذللتها ، ويريد نوطن أنفسنا ٢ هلاكنا

تَعلَمُونَ إنَّ مُجاوَرَةَ السَّبُعِ وَالكَلْبِ وَالحَيَّةِ وَالثَّوْرِ عَلى طِيبِ الوَطَنِ وَنَضارَةِ[1] العَيْشِ ، لَغَدْرٌ[2] بِالنَّفْسِ ، وَإنَّ الفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إلى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوازِلِ المَكْرُوهِ وَلَواحِقِ المَحْذُورِ ؛ وَيَدْفَعِ المَخُوفَ لِاسْتِجْلابِ المَحْبُوبِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ لِتِلْمِيذِهِ يَقُولُ : إنَّ مُجاوِرَ رِجالِ السُّوءِ وَمُصاحِبَهُمْ كَراكِبِ البَحْرِ : إنْ سَلِمَ مِنَ الغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ المَخاوِفِ ، فَإذا هُوَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوارِدَ الهَلَكاتِ ، وَمَصادِرَ المَخُوفاتِ ، عُدَّ مِنَ الحَمِيرِ الَّتِي لا نَفْسَ لَها ، لِأَنَّ الحَيَواناتِ البَهِيمِيَّةَ خُصَّتْ في طَبائِعِها بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النَّفْعَ ، وَتَتَوَقَّى المَكْرُوهَ : وَذٰلِكَ أَنَّنا لَمْ نَرَها تُورِدُ أَنْفُسَها مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكَتُها ؛ وَأَنَّها مَتى أَشْرَفَتْ عَلى مَوْرِدٍ مُهْلِكٍ لَها مَالَتْ بِطَبائِعِها الَّتِي رُكِّبَتْ فِيها — شُحًّا[3] بِأَنْفُسِها وَصِيانَةً لَها — إلى النُّفُورِ وَالتَّباعُدِ عَنْهُ . وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذا الأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أُسْرَتِي وَمَكانُ سِرِّي ، وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي ؛ وَبِكُمْ

---

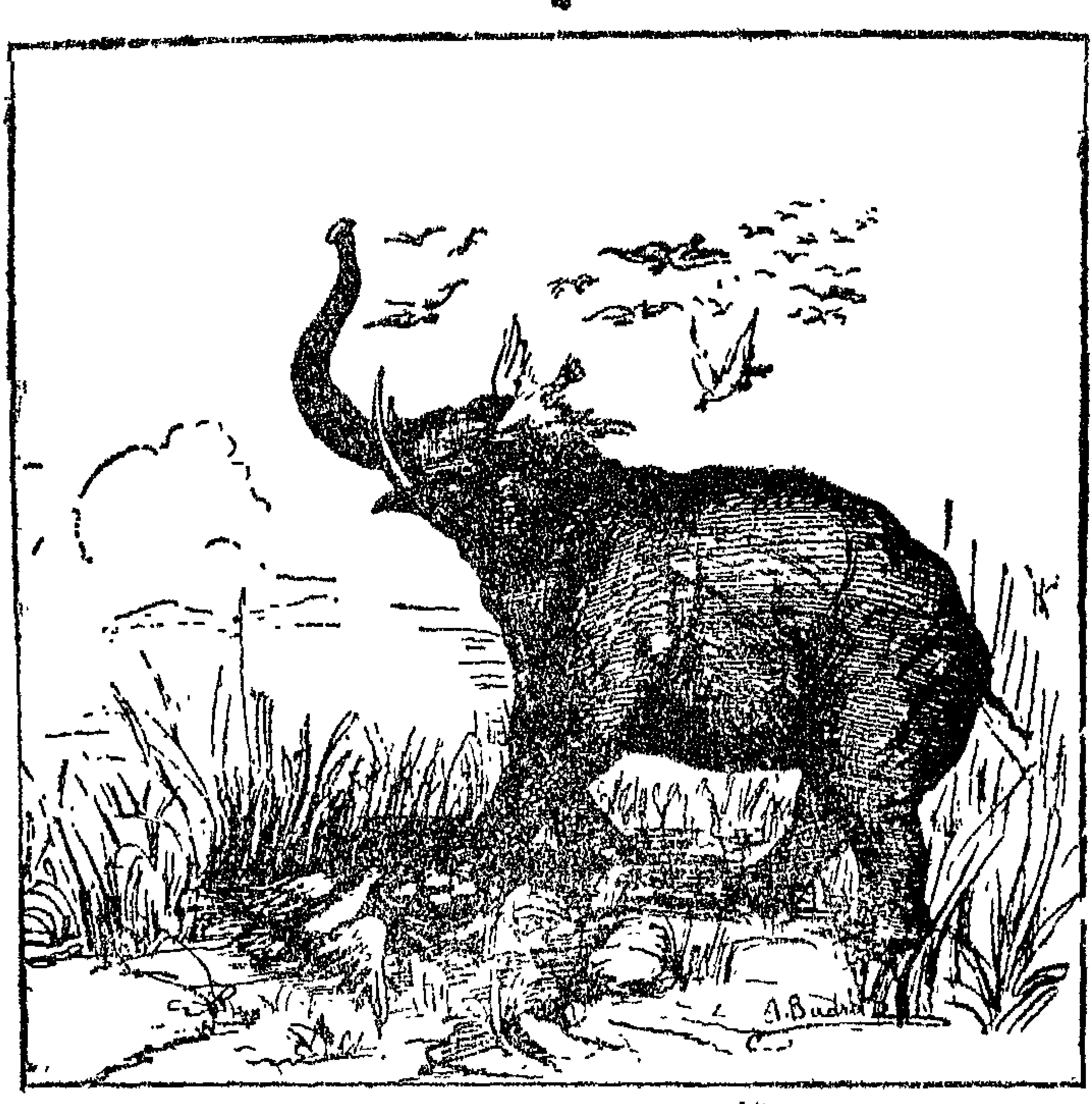
١ طيبه ٢ اللام فى لغدر تسمى لام التعليق ولذا وجب كسر همزة إن السابقة (وتعلمون) حينئذ لم تعمل الا فى المحل لتعلقها عن العمل ٣ الشح مثلثة : الضن والبخل

أعتضِدُ ، وَعَلَيْكُمْ أعتَمِدُ. فإنَّ الوحيدَ في نفسِهِ ، وَالمنفرِدَ برأيِهِ حيثُ كانَ فهُوَ ضائعٌ وَلا ناصِرَ لَهُ. على أنَّ العاقِلَ قد يبلغُ بحيلتِهِ ما لا يبلُغُ بالخيلِ وَالجنُودِ. وَالمثَلُ في ذلكَ أنَّ قُبَّرَةً[1] اتَّخذَتْ أُدْحِيَّةً[2] وباضَتْ فيها على طريقِ الفيلِ ، وَكانَ للفيلِ مشرَبٌ يتردَّدُ إليْهِ . فمرَّ ذاتَ يومٍ على عادَتِهِ ليرِدَ موْرِدَهُ ، فوَطِئ عُشَّ القُبَّرةِ ، وَهشَّمَ بيضَها ، وَقتلَ فِراخَها. فلمّا نظرَتْ ما ساءَها ، علمَتْ أنَّ الَّذي نالَها مِنَ الفيلِ لا مِنْ غيرِهِ . فطارَتْ فوقعَتْ على رأسِهِ باكيَةً ، ثُمَّ قالَتْ : أيُّها المَلِكُ لِمَ هشَّمْتَ بيضي ؟ وقتلْتَ فِراخي وأنا في جوارِكَ ؟ أفعلْتَ هذا استصغارًا منْكَ لأمْري ، وَاحتقارًا لشأْني ؟ قالَ : هُوَ الَّذي حمَلَني على ذلِكَ. فتركَتْهُ وَانصرفَتْ إلى جماعةِ الطَّيْرِ ، فشكَتْ إليْها ما نالَها مِنَ الفيلِ. فقُلْنَ لَها : وَما عسَى أنْ نبلُغَ منْهُ ، وَنحنُ طُيورٌ ؟ فقالَتْ للعقاعِقِ[3] وَالغرْبانِ : أُحِبُّ منْكُنَّ أنْ تصِرْنَ معي إليْهِ فتفقأْنَ عينَيْهِ ، فإنّي أحتالُ لَهُ بعدَ ذلِكَ بحيلةٍ أُخْرَى

---

[1] القبرة على وزن سكرة : نوع من العصافير [2] الأدحية بضم الهمزة وتكسر : مبيض النعامة في الرمل ، قال الجوهري : لأنها تدحوها برجلها أي تفحصها ثم أطلقت هنا على مبيض القبرة [3] جمع عقعق وهو طير أبلق بسواد وبياض

٤

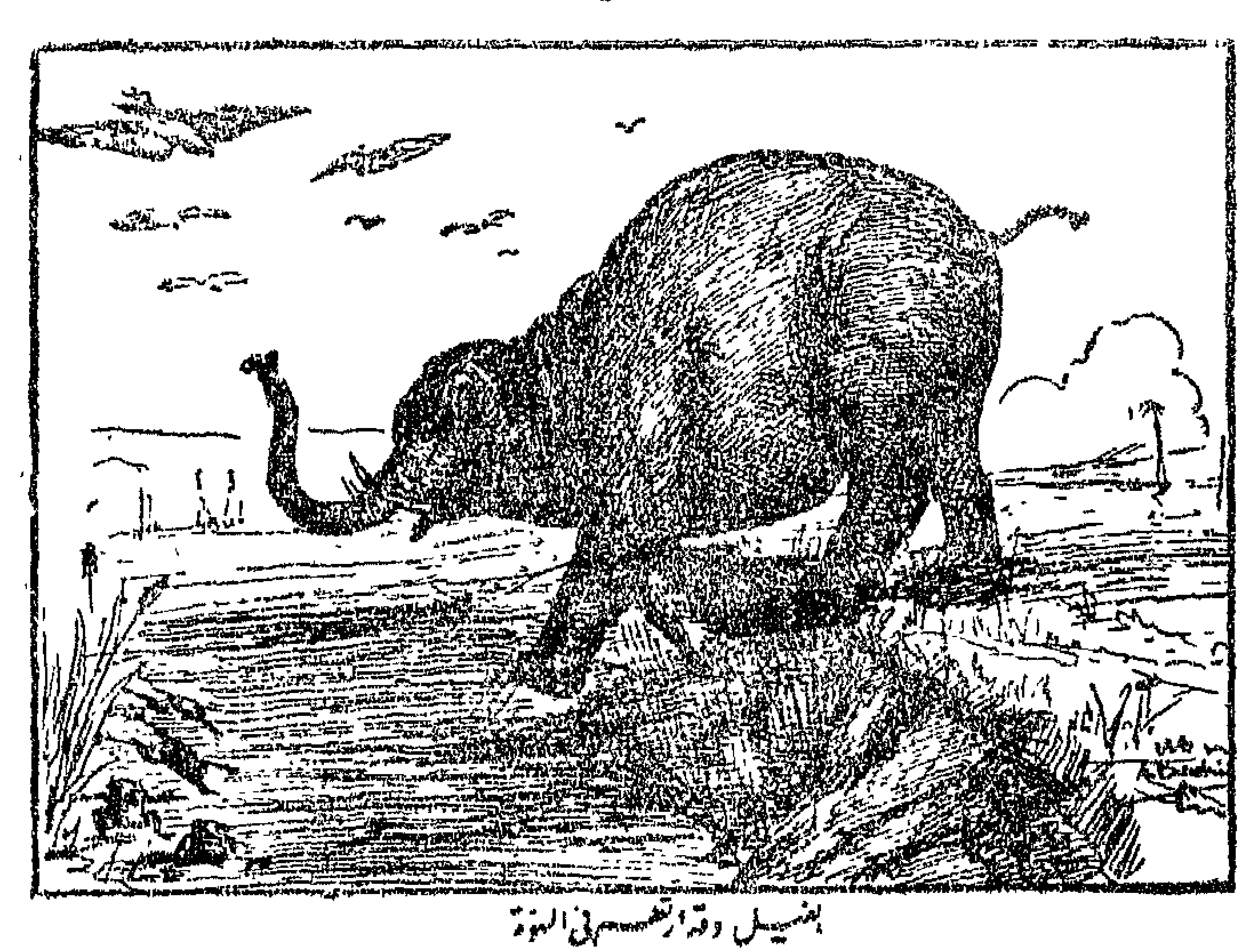


الفيل وقد اجتمع عليه الطير ينقرن عينه

فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذٰلِكَ ، وَذَهَبْنَ إِلَى الْفِيلِ ، وَلَمْ يَزَلْنَ يَنْقُرْنَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهَا . وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ إِلَّا مَا يَقُمُّهُ مِنْ مَوْضِعِهِ [1] . فَلَمَّا عَلِمَتْ ذٰلِكَ مِنْهُ ، جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ كَثِيرَةٌ ، فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . قَالَتِ الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتُنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ ؟

---

١ قم الشيء كنصر : كنسه ، وقمت الشاة وغيرها : أكلت ما على الارض



الفيل وقد ارتطم في الهوة

وَأَيْنَ نَبلُغُ مِنهُ ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ مِنكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلى وَهْدَةٍ[1] قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَنقَقْنَ فِيهَا وَتَضْجَجْنَ . فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ فِي المَاءِ فَيَهْوِيَ فِيهَا . فَأَجَبْنَهَا إِلى ذَٰلِكَ وَاجْتَمَعْنَ فِي الْهَاوِيَةِ . فَسَمِعَ الْفِيلُ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ فَارْتَطَمَ[2] فِيهَا

وَجَاءَتِ الْقُبَّرَةُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاغِي الْمُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ، الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُثَّتِكَ وَصِغَرِ هِمَّتِكَ ؟

---

١ الوهدة : المنخفض من الارض ومثلها الهوة ٢ وقع

فَلْيُشِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنكُمْ بِمَا يَسْنَحُ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ
قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا الفَيْلَسُوفُ الفَاضِلُ ، وَالحَكِيمُ العَادِلُ ،
أَنتَ المُقَدَّمُ فِينَا ، وَالفَاضِلُ عَلَيْنَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ
مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ ، وَفَهْمِنَا عِنْدَ فَهْمِكَ ؟ غَيْرَ أَنَّنَا
نَعْلَمُ أَنَّ السِّبَاحَةَ فِي المَاءِ مَعَ التِّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ[١] ، وَالذَّنْبُ فِيهِ
لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ . وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السُّمَّ مِنْ نَابِ
الحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ .
وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ . وَهٰذَا
المَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ النَّوَائِبُ ، وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ التَّجَارِبُ . وَلَسْنَا
نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَنْفُسِنَا سَطْوَتَهُ ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ
مِنْ سَوْرَتِهِ[٢] وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ .
فَقَالَ الحَكِيمُ بَيْدَبَا : لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ . لٰكِنَّ ذَا
الرَّأْيِ الحَازِمِ لَا يَدَعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي
المَنْزِلَةِ . وَالرَّأْيُ الفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الخَاصَّةِ ، وَلَا
يُنْتَفَعُ بِهِ فِي العَامَّةِ . وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ ،
وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ ، وَالإِشْفَاقُ
عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا ، وَعَزَمْتُ عَزْمًا ،

١ يريد : الالقاء بالنفس الى التهلكة ٢ سطوته واعتدائه

وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ . فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ . وَصَرَفَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا اخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَقْتُ أَلْقَى عَلَيْهِ مُسُوحَهُ [١] ، وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ ؛ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ ، وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ ، وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُ ؛ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ فَدَخَلَ الْآذِنُ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ ؛ وَقَالَ لَهُ : بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا ؛ ذَكَرَ : أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً . فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَفَّرَ [٢] وَسَجَدَ لَهُ ، وَاسْتَوَى قَائِمًا ، وَسَكَتَ . وَفَكَّرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُوتِهِ وَقَالَ : إِنَّ هٰذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ : إِمَّا لِالْتِمَاسِ شَيْءٍ يُصْلِحُ بِهِ حَالَهُ ، أَوْ لِأَمْرٍ لَحِقَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ فِي مَمْلَكَتِهَا ، فَإِنَّ لِلْحُكَمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ ، لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءُ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ ، وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ

---

[١] جمع مسح بالكسر : وهو الكساء من الشعر [٢] ... والكفر من معانيه تعظيم الفارسي لملكه . والتكفير من معانيه أيضاً إيماء الذ[مي] برأسه

وَجَدْتُ الْعِلْمَ وَالْحَيَاءَ إِلْفَيْنِ مُتَآلِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ ، مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوجَدِ الْآخَرُ ، كَالْمُتَصَافِيَيْنِ إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَطِبْ صَاحِبُهُ نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُ تَأَسُّفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيُكْرِمْهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَيَصُنْهُمْ عَنِ الْمَوَاقِفِ الْوَاهِنَةِ[١] ، وَيُنَزِّهْهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذْلَةِ ، كَانَ مِمَّنْ حُرِمَ عَقْلَهُ ، وَخَسِرَ دُنْيَاهُ ، وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ ، وَعُدَّ مِنَ الْجُهَّالِ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى بَيْدَبَا ، وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا بَيْدَبَا سَاكِتًا لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ ، وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ[٢] ، فَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَسْكَتَهُ هَيْبَةٌ سَاوَرَتْهُ[٣] أَوْ حَيْرَةٌ أَدْرَكَتْهُ ، وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وُقُوفِكَ ، وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِبَيْدَبَا أَنْ يَطْرُقَنَا[٤] عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرٍ حَرَّكَهُ لِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَهَلَّا[٥] نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ ؟ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ ، وَتَقَدَّمَ فِي

---

١ الواهنة : الضعيفة ، والمراد المنحطة ٢ هي الطلبة ٣ غلبته وأخذت برأسه ٤ يحضر لدينا ٥ هلا . كلمة تحضيض مركبة من هل ولا ، فان دخلت على الماضي كانت للوم على ترك الفعل ، كما اذا قال المعلم لتلميذه المهمل : هلا ذاكرت ، واذا دخلت على المضارع كانت للبحث على الفعل

الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . وَإِنْ كَانَتْ بُغْيَتُهُ غَرَضًا مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا أَحَبَّ . وَإِنْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمُلْكِ ، وَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَنْقَادُوا إِلَيْهِ ، نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقُوبَتِهِ . عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ فِي بَابِ مَسْأَلَةِ الْمُلُوكِ. وَإِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ يَقْصِدُ فِيهِ أَنِّي أَصْرِفُ عِنَايَتِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ ؛ فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَالْجُهَّالَ يُشِيرُونَ بِضِدِّهِ . وَأَنَا قَدْ فَسَحْتُ[1] لَكَ فِي الْكَلَامِ. فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذَلِكَ مِنَ الْمَلِكِ أُفْرِخَ عَنْهُ رَوْعُهُ وَسُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ[2] ، وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ ، وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى طُولِ الْأَمَدِ ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَنَحَنِي فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَذِكْرًا بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَا لَهُ مِنْهُ ، وَقَالَ : قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، وَحَمَلَنِي عَلَى الْمُخَاطَرَةِ لِكَلَامِهِ ، وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ،

---

١ فسحت لك : وسعت من قولهم فسح له المكان : فرج ووسع
٢ ذهب خوفه ، زال ما كان قد نزل به من الخوف

نَصِيحَةٌ اخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذٰلِكَ أَنِّي لَمْ أُقَصِّرْ عَنْ غَايَةٍ فِيمَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى الْحُكَمَاءِ . فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلاَمِي وَوَعَاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَمَا يَرَاهُ ؛ وَإِنْ هُوَ أَلْقَاهُ فَقَدْ بَلَّغْتُ مَا يَلْزَمُنِي ، وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي . قَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَإِنَّنِي مُصْغٍ إِلَيْكَ ، وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وَسَامِعٌ مِنْكَ ، حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ ، وَأُجَازِيَكَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ . قَالَ بَيْدَبَا : إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ الَّتِي اُخْتُصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ[١] مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ جِمَاعُ مَا فِي الْعَالَمِ[٢] : وَهِيَ الْحِكْمَةُ ، وَالْعِفَّةُ[٣] ، وَالْعَقْلُ ، وَالْعَدْلُ[٤] . وَالْعِلْمُ[٥] وَالْأَدَبُ[٦]

١ اختصه بالشيء : خصه به فاختص، لازم ومتعدفيجوز اذن فتح التاء وضمها ٢ جماع الشيء بالكسر: جمعه ، وأما جماع على وزن رمان فهو اخلاط الناس من قبائل شتى ٣ العفة : هي فضيلة الحس الشهواني ، وتظهر في الانسان اذا صرف شهواته بحسب الرأي أعني ان يوافق التمييز الصحيح فيصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته . والعفة وسط بين رذيلتين : هما الشره وهو الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي : والخمود في الشهوات وهو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة ٤ العدل : مصدر بمعنى العدالة ، وهي فضيلة للنفس يختار بها صاحبها الانصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانصاف والانتصاف من غيره ٥ العلم عند الحكماء : حصول صورة الشيء في العقل ٦ الأدب : معرفة مايحترز به من جميع أنواع الخطأ

وَالرَّوِيَّةُ[1] دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ . وَالْحِلْمُ[2] وَالصَّبْرُ[3] وَالْوَقَارُ[4] دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَقْلِ. وَالْحَيَاءُ[5] وَالْكَرَمُ[6] وَالصِّيَانَةُ[7] وَالْأَنَفَةُ[8] دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ . وَالصِّدْقُ[9] وَالْإِحْسَانُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ . وَهٰذِهِ هِيَ الْمَحَاسِنُ ، وَأَضْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِئُ . فَمَتَى كَمَلَتْ هٰذِهِ فِي وَاحِدٍ[10] ، لَمْ تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءِ الْحَظِّ مِنْ دُنْيَاهُ ، وَلَا إِلَى نَقْصٍ فِي عُقْبَاهُ[11] ، وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ بِبَقَائِهِ وَلَمْ يُحْزِنْهُ مَا تَجْرِي بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ . وَلَمْ يَدْهَشْ

---

١ إعمال الفكر والتدبير ٢ الحلم : هو الطمأنينة عند سورة الغضب ٣ الصبر : مقاومة النفس للهوى حتى لاتنقاد للشكوى
٤ الوقار : التأنى فى التوجه نحو المطالب ٥ الحياء : انقباض النفس من شىء وتركه حذراً من الذم والسب الصادق ،
٦ الكرم : انفاق المال الكثير بسهولة من النفس فى الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغى ٧ الصيانة : حفظ النفس من مثل المعايب ٨ الأنفة : الترفع عن الدنايا ٩ الصدق هنا : قول الحق فى مواطن الهلاك ١٠ كملت من باب نصر أفصح منها من باب كرم ، وأما أردأ لغاتها فأن تكون من باب علم
١١ آخرته

عِنْدَ مَكْرُوهٍ. فَالْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى عَلَى إِنْفَاقٍ، وَذَخِيرَةٌ لَا يَضُرُّ بِهَا الْإِمْلَاقُ[1]. وَحُلَّةٌ لَا تَخْلَقُ جِدَّتُهَا[2]، وَلَذَّةٌ لَا تُصْرَمُ مُدَّتُهَا. وَلَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مُقَامِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنِ ابْتِدَائِهِ بِالْكَلَامِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ. وَلَعَمْرِي[3] إِنَّ الْمُلُوكَ لَأَهْلٌ أَنْ يُهَابُوا لَا سِيَّمَا مَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي جَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: الْزَمِ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً، وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ.

وَحُكِيَ: أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمَّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ. فَقَالَ لَهُمْ: لِيَتَكَلَّمْ كُلٌّ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَفْضَلُ خَلَّةِ[4] الْعِلْمِ السُّكُوتُ. وَقَالَ الثَّانِي: إِنَّ مِنْ

---

١ الاملاق مصدر أملق الرجل: أنفق ماله حتى افتقر، وأصله من الملق بالتسكين وهو التليين، لأن الفقر يذل الانسان ويلينه، ويريد ذخيرة لا تنفد ٢ الجدة بالكسر فالتشديد: ضد البلى. تخلق: تبلى، يعني حلة لا تزال على بهجة الجديد ٣ اللام في لعمري لتأكيد الابتداء، وعمري مبتدأ والخبر محذوف وجوباً تقديره (قسمي أو ما أقسم به) ومعنى العمر بالفتح: البقاء، فاذا قلت لعمر الله مثلا كان المراد: أحلف بدوام الله وبقائه، وفيها لغة أخرى وهي ابدال لام التوكيد راء مفتوحة أيضا. وهنا يجوز كسر همزة ان وفتحها اذ لم يصرح بفعل القسم ٤ الخلة

أَنْفعِ الأَشْيَاءِ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ .
وَقَالَ الثَّالِثُ : أَنْفَعُ الأَشْيَاءِ لِلإِنْسَانِ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ .
وَقَالَ الرَّابِعُ : أَرْوَحُ الأُمُورِ[1] لِلإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلمَقَادِيرِ .

وَاجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الأَقَالِيمِ : مِنَ الصِّينِ وَالهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ . وَقَالُوا : يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنْهُ عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ[2] فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ ، وَإِن كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ[3] . وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ، وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتُهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ ، وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا . وَالسُّكُوتُ عِنْدَ المُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الهَذَرِ[4] الَّذِي لَا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ . وَأَفْضَلُ[5] مَا اسْتَظَلَّ بِهِ الإِنْسَانُ لِسَانُهُ . غَيْرَ أَنَّ المَلِكَ أَطَالَ

هنا بالفتح ومعناها الخصلة ، وأما الخلة بالكسر فهى نوع من النبات .
وأما بالضم فهى الالفة والصادقة [1] يريد أكثر الاشياء راحة
[2] الغابر : الماضى [3] يقال أوبقه : حبسه أو أهلكه [4] الهذيان وسقط الكلام [5] وفى نسخة وأعضل ما استضل به الانسان لسانه

اللهُ مُدَّتَهُ لَمَّا فَسَحَ لي في الكَلامِ وَأَوْسَعَ لي فيهِ ، كانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَرَةُ ذَلِكَ لَهُ دُونِي ، وَأَنْ أَخُصَّهُ بِالفَائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ العُقْبَى هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي كَلامِي لَهُ ، وَإِنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَأَكُونُ أَنَا قَدْ قَضَيْتُ فَرْضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ :

أَيُّهَا المَلِكُ! إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الجَبَابِرَةِ الَّذِينَ أَسَّسُوا المُلْكَ قَبْلَكَ ، وَشَيَّدُوا دُونَكَ ، وَبَنَوُا القِلاعَ وَالحُصُونَ ، وَمَهَّدُوا البِلادَ ، وَقَادُوا الجُيُوشَ ، وَاسْتَجَاشُوا العُدَّةَ [1] ، وَطَالَتْ لَهُمُ المُدَّةُ ، وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ السِّلاحِ وَالكُرَاعِ [2] ، وَعَاشُوا الدُّهُورَ فِي الغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ [3] . فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ مِنَ اكْتِسَابِ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَلا قَطَعَهُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الشُّكْرِ ، وَلا اسْتِعْمَالِ الإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَّلُوهُ [4] ، وَالإِرْفَاقِ بِمَنْ وَلُوهُ ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ ، مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غِرَّةِ المُلْكِ [5] وَسَكْرَةِ الاقْتِدَارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا

---

١ يقال استجاش الجيش : جمعه واستجاش فلانا : استثاره وطلب منه جيشا ومددا يتقوى به ٢ الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل ، وقيل الخيل والسلاح . ٣ الغبطة : بالكسر وهي هنا حسن الحال . ٤ من قولهم خوله الله الشيء تخويلا : ملكه اياه ٥ الغرة بالكسر : اسم من الاغترار

الملِكُ — السَّعِيدُ جَدُّهُ ، الطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ — قَدْ وَرِثْتَ أَرْضَهُمْ ، وَدِيَارَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، وَمَنَازِلَهُمْ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتَهُمْ . فَأَقَمْتَ فِيما خُوِّلْتَ مِنَ الْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ ؛ فَلَمْ تَقُمْ فِي ذَلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . بَلْ طَغَيْتَ ، وَبَغَيْتَ ، وَعَتَوْتَ ، وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَأَسَأْتَ السِّيرَةَ ، وَعَظُمَتْ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ . وَكَانَ الأَوْلَى وَالأَشْبَهَ بِكَ[١] أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلافِكَ ، وَتَتَّبِعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ ، وَتَقْفُوَ[٢] مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ ، وَتُقْلِعَ[٣] عَمَّا عَارُهُ لازِمٌ لَكَ ، وَشَيْنُهُ وَاقِعٌ بِكَ . وَتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ ، وَتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ الْخَيْرِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ ، وَيُعْقِبُكَ الْجَمِيلَ فَخْرُهُ ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى السَّلامَةِ ، وَأَدْوَمَ عَلَى الاسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُغْتَرَّ مَنِ اسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ الْبَطَرَ وَالأُمْنِيَّةَ ، وَالْحَازِمَ اللَّبِيبَ مَنْ سَاسَ الْمُلْكَ بِالْمُدَارَاةِ وَالرِّفْقِ . فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلا يَثْقُلَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ . فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَذَا ابْتِغَاءَ عَرَضٍ[٤] تُجَازِينِي بِهِ ، وَلا الْتِمَاسَ مَعْرُوفٍ

---

١ من أشبه الولد أباه : اذا شاركه فى صفة من صفاته ٢ تتبع
٣ تكف وتنزع ٤ العرض محركة : المتاع ، أو حطام الدنيا ، أو المال ، أو الغنيمة

تُكافِئُني فِيهِ . وَلَكِنّي أَتَيْتُكَ نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقالَتِهِ وَقَضَى مُناصَحَتَهُ ، أَوْغَرَ صَدْرَ الْمَلِكِ[١] ، فَأَغْلَظَ لَهُ[٢] في الجَوابِ اسْتِصغارًا لِأَمْرِهِ . وَقالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلامٍ ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَقْبِلُني بِمِثْلِهِ ، وَلا يُقْدِمُ عَلى ما أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ ، وَضَعْفِ مُنَّتِكَ[٣] ، وَعَجْزِ قُوَّتِكَ ؟ وَلَقَدْ أَكْثَرْتُ إِعْجابي مِنْ إِقْدامِكَ عَلَى وَتَسَلُّطِكَ[٤] بِلِسانِكَ ، فِيما جاوَزْتَ فِيهِ حَدَّكَ . وَما أَجِدُ شَيْئًا في تَأْديبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكيلِ بِكَ[٥] فَذٰلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَساهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ ما رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذا أَوْسَعُوا لَهُمْ في مَجالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقتَلَ وَيُصْلَبَ

فَلَمّا مَضَوْا بِهِ فِيما أَمَرَ ، فَكَّرَ فِيما أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ[٦] .

---

١ أوغر قلبه : ملأه غيظا ٢ أي عنفه ٣ قوتك
٤ أي التطاول . وهو من السلاطة . والسليط : طويل اللسان حاده ، أو اللسن الفصيح ولكنها هنا للذم ٥ يريد : أن أجعلك عبرة ونكالا لغيرك
٦ رجع عما قد عزم عليه

٦



دبشليم مغضبا وقد أمر بسجن بيدبا

ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذِهِ، وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ ، وَاعْتَصَمُوا بِجَزَائِرِ الْبِحَارِ[1] . فَمَكَثَ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ[2] لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي سَهِدَ الْمَلِكُ سُهْدًا شَدِيدًا[3] ، فَطَالَ سُهْدُهُ ، وَمَدَّ إِلَى الْفَلَكِ

---

١ اعتصم بالشيء امتنع به وتحصن ٢ كان هنا تامة بمعنى حدث ٣ يريد أرق وسهر وأقض عليه المضجع فلم ينم

بَصَرَهُ ، وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ[1] الْفَلَكِ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ ، فَأَغْرَقَ الْفِكْرَ فِيهِ[2] ، فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْفَلَكِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ[3] . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْدَبَا . وَتَفَكَّرَ فِيمَا كَلَّمَهُ بِهِ ، فَارْعَوَى[4] لِذَلِكَ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ بِهَذَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَضَيَّعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ ، وَحَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ سُرْعَةُ الْغَضَبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي الْمُلُوكِ : الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ الْأَشْيَاءِ مَقْتًا[5] ، وَالْبُخْلُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ[6] . وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِرَهُ . وَالْعُنْفُ فِي الْمُحَاوَرَةِ ، فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا . وَإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ مُبَلِّغًا[7] ، فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ ، وَكَافَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ بِهِ

---

١ استدارة ٢ يريد بالغ وأمعن ٣ المسألة بمعنى السؤال
٤ ارتدع ورجع عن عزمه ٥ بغضا ٦ يريد : ميسرته وغناه ٧ من البلاغات وهي الوشايات كأنه جمع بلاغة . يقال : لا يفلح أهل البلاغات والفعل بلّغ بالتشديد أو بلغ بمعنى وصل

٧



بيدبا في سجنه وقد صدر العفو عنه

ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ[1] قَالَ لَهُ: يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي؟ وَعَجَّزْتَ رَأْيِي فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا[2]. قَالَ لَهُ بَيْدَبَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ، وَالصَّادِقُ الرَّفِيقُ، إِنَّمَا نَبَّأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ، وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ. قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ، وَلَا تَدَعْ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ. فَجَعَلَ بَيْدَبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ

١ وقف وشخص بين يديه، والفعل كنصر وكرم ٢ سابقا

وَالمَلِكُ يُصْغِي إِلَيْهِ . وَجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئاً يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ [١] . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى بَيْدَبَا وَأَمَرَهُ بِالجُلُوسِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا إِنِّي قَدِ اسْتَعْذَبْتُ كَلاَمَكَ ، وَحَسُنَ مَوْقِعُهُ فِي قَلْبِي ، وَأَنَا نَاظِرٌ فِي الَّذِي أَشَرْتَ بِهِ ، وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقُيُودِهِ فَحُلَّتْ ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ . فَقَالَ بَيْدَبَا : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نُهْيَةً [٢] لِمِثْلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ . وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْفِنِي مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي غَيْرُ مُضْطَلِعٍ بِتَقْوِيمِهِ إِلاَّ بِكَ ، فَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ فَبَعَثَ بِرَدِّهِ . وَقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ ، فَوَجَدْتُهُ لاَ يَقُومُ إِلاَّ بِكَ ، وَلاَ يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ ، وَلاَ يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ . فَلاَ تُخَالِفْنِي فِيهِ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذٰلِكَ

---

[١] النكت هنا أن تضرب الارض بقضيب فتؤثر فيها وهو مما يفعله المفكر المهموم [٢] النهية بالضم : اسم من النهي ، ودون بمعنى أقل .

٨



بيدبا يطاف به في المدينة وقد استوزر بعد العفو عنه

وَكَانَ عَادَةَ مُلُوكِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَوْزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجًا وَيَرْكَبَ فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذٰلِكَ . فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ فَجَلَسَ بِمَجْلِسِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، يَأْخُذُ لِلدَّنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَوَضَعَ سُنَنَ الْعَدْلِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ . وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِتَلَامِيذِهِ فَجَاءُوهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ اللهُ

لَهُ مِنْ جَدِيدٍ رَأْيَ الْمَلِكِ فِي بَيْدَبَا ، وَشَكَرُوا اللّٰهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ ، وَاتَّخَذُوا ذٰلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعَيِّدُونَ فِيهِ . فَهُوَ إِلَىٰ الْيَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَىٰ فِكْرَهُ مِنَ اشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ فَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ السِّيَاسَةِ وَنَشِطَ لَهَا [1] . فَعَمِلَ كُتُبًا فِيهَا دَقَائِقُ الْحِيَلِ . وَمَضَىٰ الْمَلِكُ عَلَىٰ مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ . فَرَغِبَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ ، وَانْقَادَتْ لَهُ الْأُمُورُ عَلَىٰ اسْتِوَائِهَا ، وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ فَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا ، وَقَالَ لَهُمْ : لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نُفُوسِكُمْ وَقْتَ دُخُولِي عَلَىٰ الْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ : إِنَّ بَيْدَبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ ، وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ ، إِذْ عَزَمَ عَلَىٰ الدُّخُولِ عَلَىٰ هٰذَا الْجَبَّارِ الطَّاغِي . فَقَدْ عَلِمْتُمْ نَتِيجَةَ رَأْيِي ، وَصِحَّةَ فِكْرِي . وَإِنِّي لَمْ آتِهِ جَهْلًا بِهِ ، لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ الْحُكَمَاءِ قَبْلِي تَقُولُ : إِنَّ الْمُلُوكَ لَهَا

[1] خفّ وأسرع اليها

سَوْرَةً كَسَوْرَةِ[1] الشَّرَابِ . فَالْمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ السَّوْرَةِ إِلَّا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ ، وَأَدَبِ الْحُكَمَاءِ . وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ . وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِأَلْسِنَتِهَا ، وَتَأْدِيبُهَا بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارِ الْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ اللَّازِمَةِ لَهُمْ ، لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْاعْوِجَاجِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ . فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ فَرْضاً وَاجِباً عَلَى الْحُكَمَاءِ لِمُلُوكِهِم ، لِيُوقِظُوهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ ، كَالطَّبِيبِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا ، أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ ، وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْدَبَا فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ الطَّاغِي ، فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ كَلَامُهُ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ ، قَالُوا : كَانَ الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جِوَارِهِ أَوْلَى بِهِ . وَالْانْزِعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ[2] . فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَاءِ بَعْدِي عُذْراً . فَحَمَلْتُهَا عَلَى

---

[1] السورة للخمرة : حدتها وفورتها [2] الانزعاج : الانقلاع ويريد منه الارتحال

التَّغْرِيرِ أَوِ الظَّفَرِ بِمَا أُرِيدُهُ [١] . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُمْ [٢] مُعَايِنُوهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ [٣] فِي مَالِهِ ، أَوْ وَكْسٍ فِي دِينِهِ [٤] . وَمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ الرَّغَائِبَ . وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ [٦] . فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ ، وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ إِلَى مِقْدَارِ عَقْلِهِ ، وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهْمُهُ . قَالُوا : — أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ ، وَاللَّبِيبُ الْعَاقِلُ — وَالَّذِي [٧] وَهَبَ لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ ، مَا خَطَرَ هَذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ ، وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا ، وَبِكَ شَرَفُنَا ، وَعَلَى يَدِكَ انْتِعَاشُنَا [٨] . وَلَكِنْ سَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ بَيْدَبَا وَيَقُومُ بِهِ .

---

١ التغرير : تعريض النفس للهلكة . ويريد : اما أن تقبر واما أن تظفر ٢ كان : حدث ٣ الوضيعة : الخسارة ٤ الوكس : النقص وفعله من باب ضرب يتعدى ويلزم ٥ أى أطاقه ٦ أنواعها ٧ الواو للقسم والذى مقسم به ٨ أى لا ينهض ولا يعلو ذكرنا الا على يديك

ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ المُلْكُ، وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ فِي أُمُورِ الأَعْدَاءِ [1] بِمَا قَدْ كَفَاهُ بِذَلِكَ بَيْدَبَا، صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي الكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ [2] أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَتُذْكَرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ.

فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيْدَبَا. فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا بَيْدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ الهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا، وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ الحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي، فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ، وَيُنْبِئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَمِنْهَا مَا وَضَعَهُ المُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا، وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا، وَمِنْهَا مَا وَضَعَهُ حُكَمَاؤُهَا. وَأَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أُولَئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ، وَلَا يُوجَدُ فِي خَزَائِنِي كِتَابٌ أُذْكَرُ بِهِ بَعْدِي، وَأُنْسَبُ إِلَيْهِ، كَمَا ذُكِرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ. وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا

---

[1] يريد: أن بيدبا قد كفى الملك متاعب الملك والتدبير في أحواله أي خطر بباله

تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ : يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبَهَا ، وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمُلْكِ ، وَأُرِيدُ أَنْ يَبْقَى لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَابِرِ[1] الدُّهُورِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا[2] وَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّهُ — عَلَا نَجْمُكَ ، وَغَابَ نَحْسُكَ ، وَدَامَتْ أَيَّامُكَ — إِنَّ الَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ الْقَرِيحَةِ[3] ، وَوُفُورِ الْعَقْلِ حَرَّكَهُ إِلَى عَالِي الْأُمُورِ ، وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهِمَّتُهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ مَنْزِلَةً ، وَأَبْعَدِهَا غَايَةً — وَأَدَامَ اللهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ — فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي. قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ ، وَقَدِ اخْتَبَرْتُ مِنْكَ

---

١ الغابر من الاضداد فيطلق على الماضي والباقي ، وهو المقصود

٢ خر : انكب على الارض . وساجداً : حال مؤكدة . ومثله في القرآن الكريم يخرون للاذقان سجداً   ٣ الجودة بالفتح والضم

ذَلِكَ ، وَاُخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتُعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ ، وَتُجْهِدَ فِيهِ نَفْسَكَ ، بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلْيَكُنْ مُشْتَمِلاً عَلَى الْجِدِّ[1] ، وَالْهَزْلِ ، وَاللَّهْوِ[2] ، وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلْسَفَةِ[3] . فَكَفَّرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ ، وَقَالَ : قَدْ أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَجَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَجَلاً[4] . قَالَ : وَكَمْ هُوَ الأَجَلُ؟ قَالَ : سَنَةٌ . قَالَ : قَدْ أَجَّلْتُكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ . فَبَقِيَ بَيْدَبَا مُفَكِّرًا فِي الأَخْذِ فِيهِ ، وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِيءُ بِهَا فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرٍ فِيهِ فَخْرِي وَفَخْرُكُمْ ، وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الأَمْرِ . ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَالْغَرَضَ الَّذِي قَصَدَ

---

١ الجد : أن يراد باللفظ معناه الحقيقي أو المجازي وهو ضد الهزل ٢ هو الذي يتلذذ به الانسان ثم تنقضي لذته ٣ الفلسفة : ترادف الحكمة اصطلاحا، يونانية وتأويلها : محبة الحكمة ، وقد يراد بالفلسفة : التأنق في المسائل العلمية والتفنن فيها وربما كان هذا المراد من ذكرها بعد لفظ الحكمة ٤ جعل بمعنى اتخذ . والاجل : الموعد ٥ يقال ندبه الى الامر وللأمر : دعاه ورشحه للقيام به وبابه نصر

فيه ، فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فيهِ[1] . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِاسْتِفْرَاغِ الْعَقْلِ ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ . وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ[2] لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا . وَإِنَّمَا تَسْلُكُ اللُّجَّةَ بِمُدَبِّرِهَا الَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرَتِهَا[3] . وَمَتَى شُحِنَتْ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ . وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ ، فَخَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ الَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ الْهِنْدُ شَيْئًا ، وَمِنَ الْقُوتِ مَا يَقُومُ بِهِ وَبِتِلْمِيذِهِ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ[4] وَرَدَّا عَلَيْهِمَا الْبَابَ . ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتِلْمِيذُهُ يَكْتُبُ وَيُرَجِّعُ هُوَ فِيهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ ، وَرَتَّبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ

---

١ يريد فلم يخطر لهم شيء مما يريده ٢ الملاحون الذين بيدهم سياسة السفينة وتدبيرها ٣ الامرة بالكسر : الولاية

٤ المقصورة : أقل من الدار ولا تسع كثيرين

بَابًا[١] : كُلُّ بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ . وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْأَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا ، لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ مِنَ الْهِدَايَةِ[٢] . وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا ، وَسَمَّاهُ (كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ) ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لَهْوًا لِلْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ ، وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ[٣] . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَآخِرَتِهِ وَأُولَاهُ ، وَيَحُضُّهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ ، وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانَبَتُهُ خَيْرًا لَهُ . ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَسْمِ سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي بِرَسْمِ الْحِكْمَةِ ، فَصَارَ الْحَيَوَانُ لَهْوًا وَمَا يَنْطِقُ بِهِ حِكَمًا وَأَدَبًا

فَلَمَّا ابْتَدَأَ بَيْدَبَا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ وَصْفَ الصَّدِيقِ وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّدِيقَانِ ، وَكَيْفَ تُقْطَعُ الْمَوَدَّةُ الثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي النَّمِيمَةِ . وَأَمَرَ تِلْمِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ

---

١ بعض النسخ تعد الابواب خمسة عشر جاعلة باب الفحص عن أمر دمنة بابا مستقلا ولكن المعروف أن أبوابه الاصلية اثناعشر بابا فقط والباقي دخيل وفي البحث الجليل المنشور في أول الكتاب للمؤرخ الجليل جورجي بك زيدان مايرسل الضوء المنير على هذا الموضوع ٢ الحظ النصيب
٣ الرياضة : التدريب والتمرين

عَلَى لِسَانِ بَيْدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ قَدْ شَرَطَهُ فِي أَنْ يَجْعَلَهُ لَهْوًا وَحِكْمَةً ، فَذَكَرَ بَيْدَبَا : أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ النَّقَلَةِ أَفْسَدَهَا ، وَجُهِلَتْ حِكْمَتُهَا . فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتِلْمِيذُهُ يُعْمِلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا سَأَلَهُ الْمَلِكُ ، حَتَّى فَتَقَ لَهُمَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِيمَتَيْنِ . فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ . وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ . فَأَصْغَتِ الْحُكَمَاءُ إِلَى حِكَمِهِ ، وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهْوَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الَّذِي وُضِعَ لَهُمْ ، وَمَالَتْ إِلَيْهِ الْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ ، وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذَلِكَ ، وَاتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ الَّذِي وُضِعَ لَهُ ، لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّحَفُّظِ مِنْ أَهْلِ السِّعَايَةِ [1] ، وَالتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ ، لِيَجُرَّ بِذَلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ . فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ فِي الْمَقْصُورَةِ حَتَّى اسْتَتَمَّا عَمَلَ الْكِتَابِ

---

١ السعاية : الوشاية

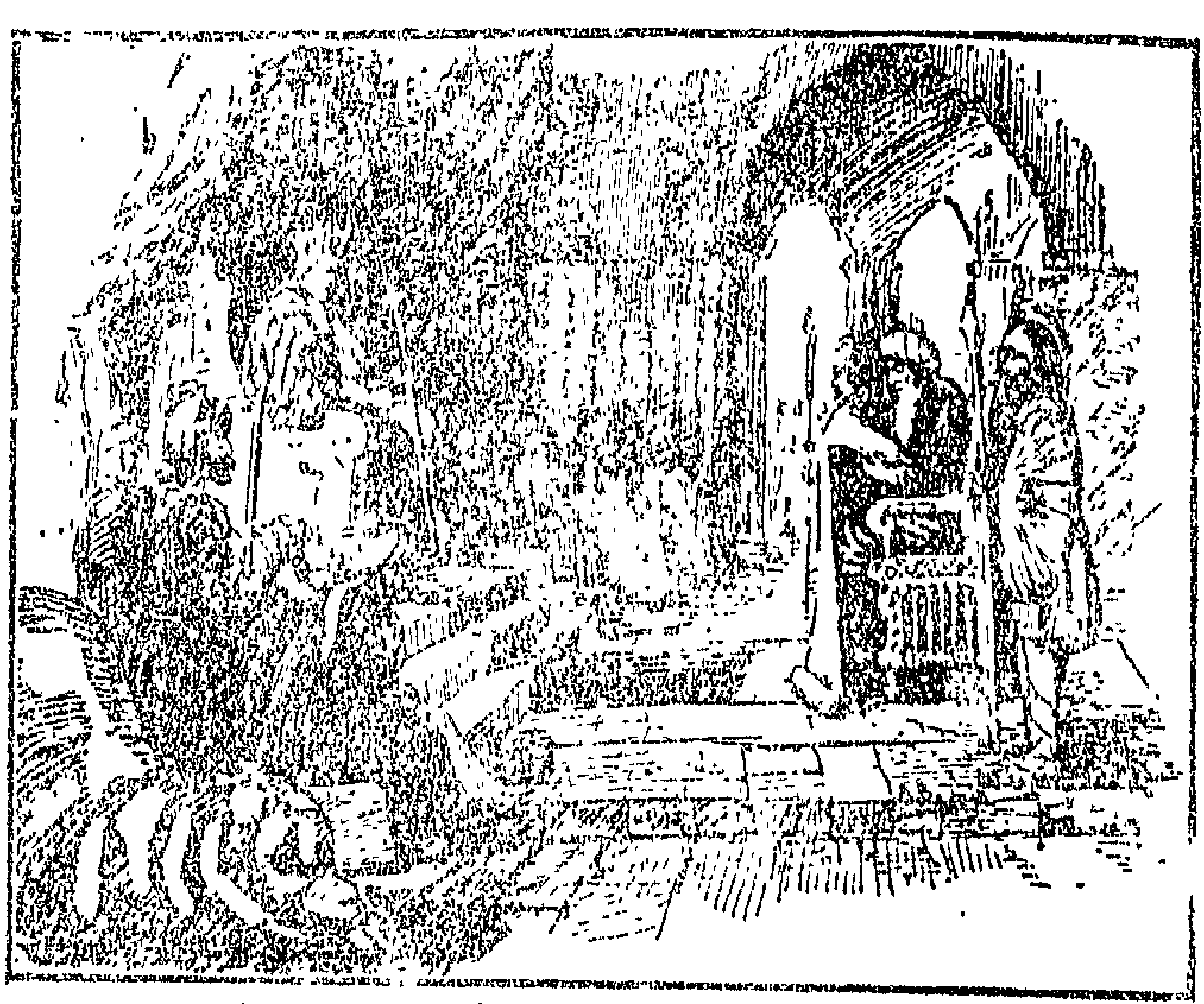
فِي مُدَّةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا تَمَّ الْحَوْلُ ١ أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا : إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ ، فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هٰذَا الْكِتَابَ بِحَضْرَتِهِمْ . فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ ، وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ نَادَوْا فِي أَقَاصِي الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ ، وَكَرَاسِيُّ لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ .

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ : وَهِيَ الْمُسُوحُ السُّودُ ، وَحَمَلَ الْكِتَابَ تِلْمِيذُهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وَقَامَ الْمَلِكُ شَاكِرًا . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ، وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا ارْفَعْ رَأْسَكَ ، فَإِنَّ هٰذَا يَوْمُ هَنَاءَةٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ ، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ

---

١ الحول : العام

٩



بَيْدَبا يقرأ هذا الكتاب بين يدي دبشليم في جمع من رؤساء بلاده

فِيهِ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ . فَازْدَادَ المَلِكُ مِنْهُ تَعَجُّبًا وَسُرُورًا .
فَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي نَفْسِي [١] ، وَهَذَا الَّذِي
كُنْتُ أَطْلُبُ . فَاطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ . فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا
بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ الجَدِّ . وَقَالَ : أَيُّهَا المَلِكُ ، أَمَّا المَالُ فَلَا
حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَأَمَّا الكُسْوَةُ فَلَا أَخْتَارُ عَلَى لِبَاسِي هَذَا

---

١ أي ما تجاوزت الذي أريد وقد وافق

شَيْئًا ، وَلَسْتُ أُخْلِي الْمَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا مَا حَاجَتُكَ ؟ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : يَأْمُرُ الْمَلِكُ أَنْ يُدَوَّنَ كِتَابِي هَذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُتُبَهُمْ وَيَأْمُرَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ . فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ . فَالْمَلِكُ يَأْمُرُ أَلَّا يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِ الْحِكْمَةِ . ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ ، وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ

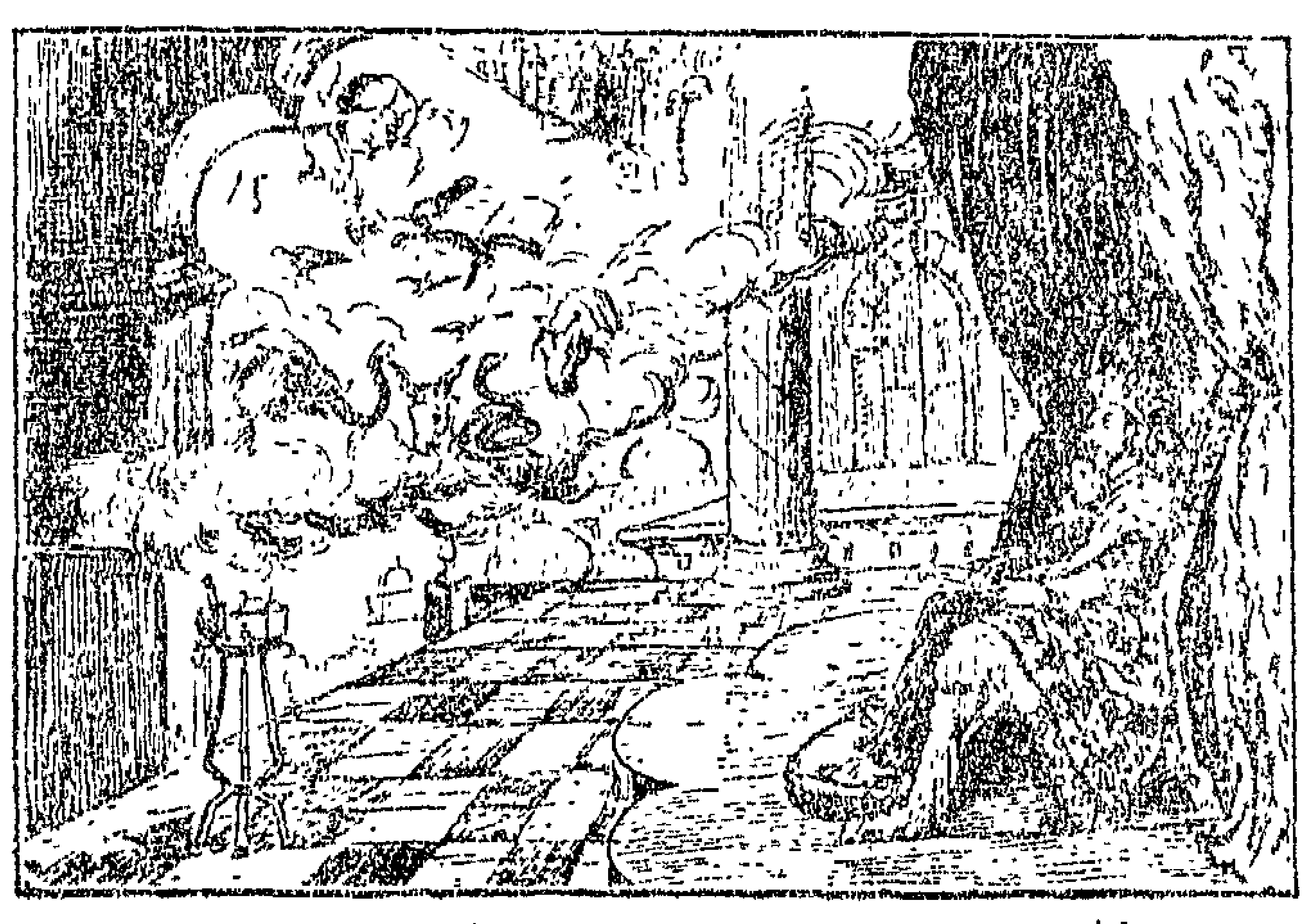
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ ، وَكَانَ مُسْتَأْثِرًا بِالْكُتُبِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ ، وَقَعَ لَهُ خَبَرُ الْكِتَابِ ، فَلَمْ يَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى بَعَثَ بَرْزَوَيْهِ الطَّبِيبَ ، وَتَلَطَّفَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَأَقَرَّهُ فِي خَزَائِنِ فَارِسَ

بعثة برزويه إلى بلاد الهند

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، وَرَزَقَهُمْ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَايِشِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَيُدْرِكُونَ بِهِ اسْتِنْقَاذَ[١] أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَأَفْضَلُ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ الدِّعَامَةُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَالَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ ، وَلَا إِحْرَازِ نَفْعٍ[٢] ، وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِهِ . وَكَذَلِكَ طَالِبُ الْآخِرَةِ الْمُجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ ، الْمُنْجِي بِهِ رُوحَهُ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ إِلَّا بِالْعَقْلِ ، الَّذِي هُوَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ سَعَادَةٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ غِنًى عَنِ الْعَقْلِ . وَالْعَقْلُ مُكْتَسَبٌ بِالتَّجَارِبِ وَالْأَدَبِ . وَلَهُ غَرِيزَةٌ مَكْنُونَةٌ فِي الْإِنْسَانِ ، كَامِنَةٌ كَالنَّارِ فِي الْحَجَرِ : لَا تَظْهَرُ وَلَا يُرَى ضَوْؤُهَا حَتَّى يَقْدَحَهَا قَادِحٌ مِنَ النَّاسِ[٣] . فَإِذَا قُدِحَتْ

[١] تخليص [٢] يقال : أحرزت المال حصلت عليه [٣] القادح : الذي يحك الزند ليخرج الشرر

١٠



كسرى أنوشروان في خلوته يفكر في أمر هذا الكتاب وقد تمثلت له صورة وما تحته

ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا . وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ كَامِنٌ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ الْأَدَبُ ، وَتُقَوِّيَهُ التَّجَارِبُ . وَمَنْ رُزِقَ الْعَقْلَ وَمُنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأُعِينَ عَلَى صِدْقِ قَرِيحَتِهِ بِالْأَدَبِ ، حَرَصَ عَلَى سَعْدِ جَدِّهِ[1] ، وَأَدْرَكَ فِي الدُّنْيَا أَمَلَهُ ، وَحَازَ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَ الصَّالِحِينَ . وَقَدْ رَزَقَ اللهُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنُوشِرْوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَهُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ أَجْزَلَهُ ، وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصْوَبَهَا ، وَمِنَ الْأَفْعَالِ أَسَدَّهَا[2] ، وَمِنَ

[1] الجد بالكسر والفتح : الحظ   [2] يريد : أكثرها صوابا

الْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ أَنْفَعَهُ ، وَبَلَّغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ الْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ حَتَّى كَانَ فِيمَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابٍ بِالْهِنْدِ ، عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ ، وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ ، وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعِلْمِهَا ، وَمَعْرِفَةِ النَّجَاةِ مِنْ هَوْلِهَا . فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ بُزُرْجَمِهْرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بَصِيرٍ بِالْفَارِسِيَّةِ ، مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِ ، وَيَكُونُ بَلِيغًا فِي اللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا ، حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ ، مُبَادِرًا فِي طَلَبِهِ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ ، وَالْبَحْثِ عَنْ كُتُبِ الْفَلْسَفَةِ . فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ ، كَامِلِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ مَعْرُوفٍ بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ ، مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : بَرْزَوَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَرْزَوَيْهِ إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابٍ بِالْهِنْدِ ، مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ . وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرَحِّلُكَ إِلَى

أَرْضِ الهِنْدِ ، فَتَلَطَّفْ بِعَقْلِكَ ، وَحُسْنِ أَدَبِكَ ، وَنَافِذِ رَأْيِكَ ، لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ ، وَمِنْ قِبَلِ عُلَمَائِهِمْ ؛ فَتَسْتَفِيدَ بِذَلِكَ وَتُفِيدَنَا . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ ، فَاحْمِلْهُ مَعَكَ ، وَخُذْ مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَعَجِّلْ ذَلِكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَإِنْ أَكْثَرْتَ فِيهِ النَّفَقَةَ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِي مَبْذُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ . وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُنَجِّمِينَ فَاخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ ، وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا ؛ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا : كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بَرْزَوَيْهِ بِلَادَ الهِنْدِ ، طَافَ بِبَابِ الْمَلِكِ وَمَجَالِسِ السُّوقَةِ [1] ، وَسَأَلَ عَنْ خَوَاصِّ الْمَلِكِ ، وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ . فَجَعَلَ يَغْشَاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ [2] وَيَتَلَقَّاهُمْ بِالتَّحِيَّةِ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ : قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ الْعُلُومِ

---

١ السوقة بالضم : من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقيل سموا كذلك لان الملك يسوقهم الى ما شاء ، ومنه قول جبلة بن الايهم : ألا يفضل فى هذا الدين ملك على سوقة ، فقيل له : إن الملك والسوقة عندنا سواء

٢ أى يزورهم ويطرق دورهم

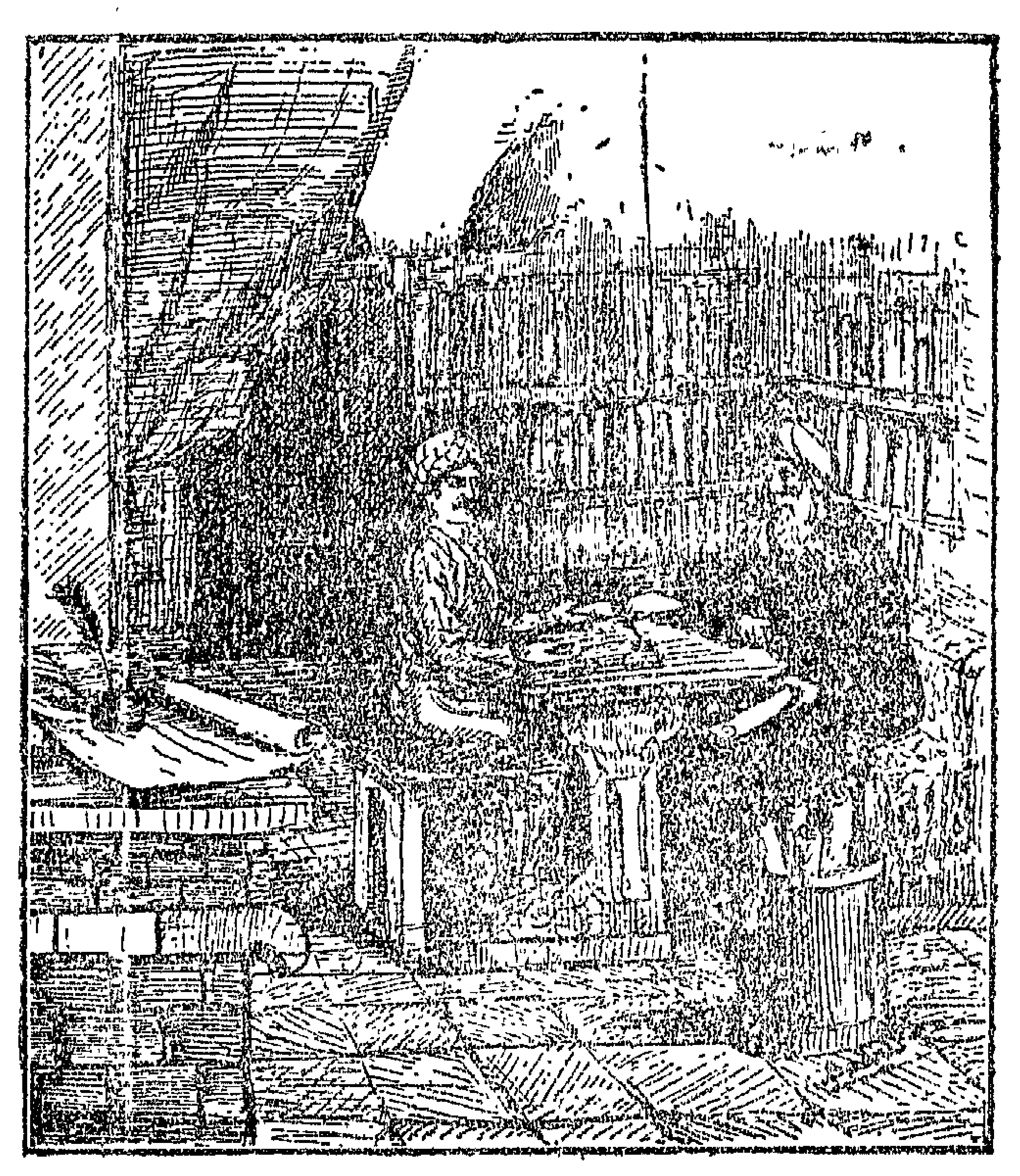
وَالْأَدَبِ ، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مُعَاوَنَتِهِمْ فِي ذَلِكَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا ، يَتَأَدَّبُ عَنْ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا . وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَسْتُرُ بُغْيَتَهُ وَحَاجَتَهُ . وَاتَّخَذَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ كَثِيرِينَ : مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ . وَكَانَ قَدِ اتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا قَدِ اخْتَارَهُ لِسِرِّهِ ، وَمَا يُحِبُّ مُشَاوَرَتَهُ فِيهِ ، لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لَهُ مِنْ صِحَّةِ إِخَائِهِ ، وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَا أَهَمَّهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ مِنْهُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِكَيْ يَبْلُوَهُ وَيَخْبُرَهُ ، وَيَنْظُرَ : هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُمَا جَالِسَانِ : يَا أَخِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ ، فَاعْلَمْ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ ، وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي . وَالْعَاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا جِئْتَ لَهُ ، وَإِيَّاهُ تُرِيدُ ، وَأَنَّكَ تَكْتُمُ

أَمْرًا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ ، فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدِ ٱسْتَبَانَ مَا تُخْفِيهِ عَلَيَّ . فَأَمَّا [1] إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ بِهِ ، وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرٌ لَكَ سَرِيرَتَكَ ، وَمُعْلِمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ لَهَا . فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا لِتَسْلُبَنَا كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ ، فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتَسُرَّ بِهَا مَلِكَكَ . وَكَانَ قُدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمُوَاظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ ، وَالتَّحَفُّظِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ ٱلْكَلَامُ مَعَ طُولِ

---

[1] أما حرف : شرط وتفصيل وتوكيد قالوا : ويجب أن يربط جوابها بالفاء . وأما قوله تعالى : (أما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) فعلى هذا التقدير ، أي فيقال لهم أكفرتم . ويفصل بينها وبين الفاء بواحد من ستة أمور : المبتدأ نحو فأما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، والخبر نحو أما في الدار فزيد ، وجملة الشرط نحو فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، والرابع اسم منصوب نحو فأما اليتيم فلا تقهر ، الخامس اسم معمول لمحذوف يفسره ما بعد الفاء نحو أما المبهم فوضحه والسادس ظرف لمعمول لاما وذلك لان فيها معنى الفعل الذي نابت عنه نحو أما اليوم فاني ذاهب

١١



برزويه يحادث خازن كتب الملك في بيته

مُكْثِكَ عِنْدَنَا ، بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ ، ازْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ ، وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرَ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْصَنُ[١] مِنْكَ عَقْلًا ، وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبَرُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَلَا أَكْتَمُ لِسِرِّهِ

١ أثبت

مِنْكَ ، وَلَا سِيَّمَا فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَّتَهُمْ . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ : الْأُولَى الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّالِثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرِّي لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ صَدِيقَهُ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِقَ اللِّسَانِ[١] . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا . وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا ، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ[٢] . وَالثَّامِنَةُ إِنْ كَانَ بِالْمَحْفِلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُسْأَلُ عَنْهُ . فَمَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِيَ الْخَيْرَ إِلَى نَفْسِهِ . وَهَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيكَ ، وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . فَاللهُ تَعَالَى يَحْفَظُكَ ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ . فَمُصَادَقَتُكَ إِيَّايَ وَإِنْ كَانَتْ لِتَسْلُبَنِي كَنْزِي وَفَخْرِي وَعِلْمِي ، تَجْعَلُكَ أَهْلًا لِأَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ ، وَتُشَفَّعَ بِطَلِبَتِكَ[٣] ، وَتُعْطَى سُؤْلَكَ[٤] . فَقَالَ لَهُ بَرْزَوَيْهِ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ

---

١ متودداً متلطفا ٢ التبعة بفتح فكسر ما يطلب من ظلامة ونحوها والعاقبة ٣ من شفعت الشيء بالشيء : ضممته اليه ؛ والطلبة : المطلوب ٤ المسئول

هَيَّأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا ، وَشَعَّبْتُ لَهُ شُعُوبًا ، وأَنْشَأْتُ لَهُ أُصُولًا وطُرُقًا ، فَلَمَّا انتهيْتَ الى مَا بَدَأْتَنِى بِهِ . مِنِ اطِّلَاعِكَ عَلَى أَمْرِى وَالَّذِى قَدِمْتُ لَهُ ، وَأَلْقَيْتَهُ عَلَىَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ ، وَرَغْبَتِكَ فِيمَا أَلْقَيْتَ مِنَ الْقَوْلِ ، اكْتَفَيْتُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْخِطَابِ مَعَكَ ، وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ أُمُورِى بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ وَاقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِيجَازِ ، وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّاىَ بِحَاجَتِى مَا دَلَّنِى عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أُلْقِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ ، وَالسِّرَّ إِذَا اسْتُودِعَ إِلَى اللَّبِيبِ الْحَافِظِ ، فَقَدْ حُصِّنَ وَبُلِغَ بِهِ نِهَايَةُ أَمَلِ صَاحِبِهِ ، كَمَا يُحَصَّنُ الشَّىْءُ النَّفِيسُ فِى الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ . قَالَ لَهُ الْمِنْدِىُّ : لَا شَىْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَدَّخِرَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا : فَإِنَّ حِفْظَ السِّرِّ رَأْسُ الْأَدَبِ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكَتُومِ فَقَدِ احْتُرِزَ مِنَ التَّضْيِيعِ ، مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِهِ ، وَلَا يَتِمُّ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا ، فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ

وَيُكَابِرَ عَنْهُ ، كَالْغَيْمِ إذا كَانَ مُتَقَطِّعًا فِي السَّمَاءِ فقَالَ قَائِلٌ : هٰذَا غَيْمٌ مُنْقَطِعٌ ، لَايَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ . وأنا قَدْ يُدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَخِلْطَتِكَ ١ سُرُورٌ لَايَعْدِلُهُ شَيْءٌ . وَهٰذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَاتُكْتَمُ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ وَيَظْهَرَ ، حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ . فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِي هَلَاكًا لَاأَقْدِرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ ، لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌّ غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ هٰذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ! وَإِذَا حَمَلَتْنِي الْمَوَدَّةُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ ، لَمْ يَرُدَّ عِقَابَهُ عَنِّي شَيْءٌ . قَالَ بَرْزَوَيْهِ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى الْفَوْزِ . وَهٰذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخَرْتُهُ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي ، وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ ، بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنَا أَرْجُو أَلَّا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ وَأَنَا ظَاعِنٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ . وَمَا أَقَمْتُ فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا.

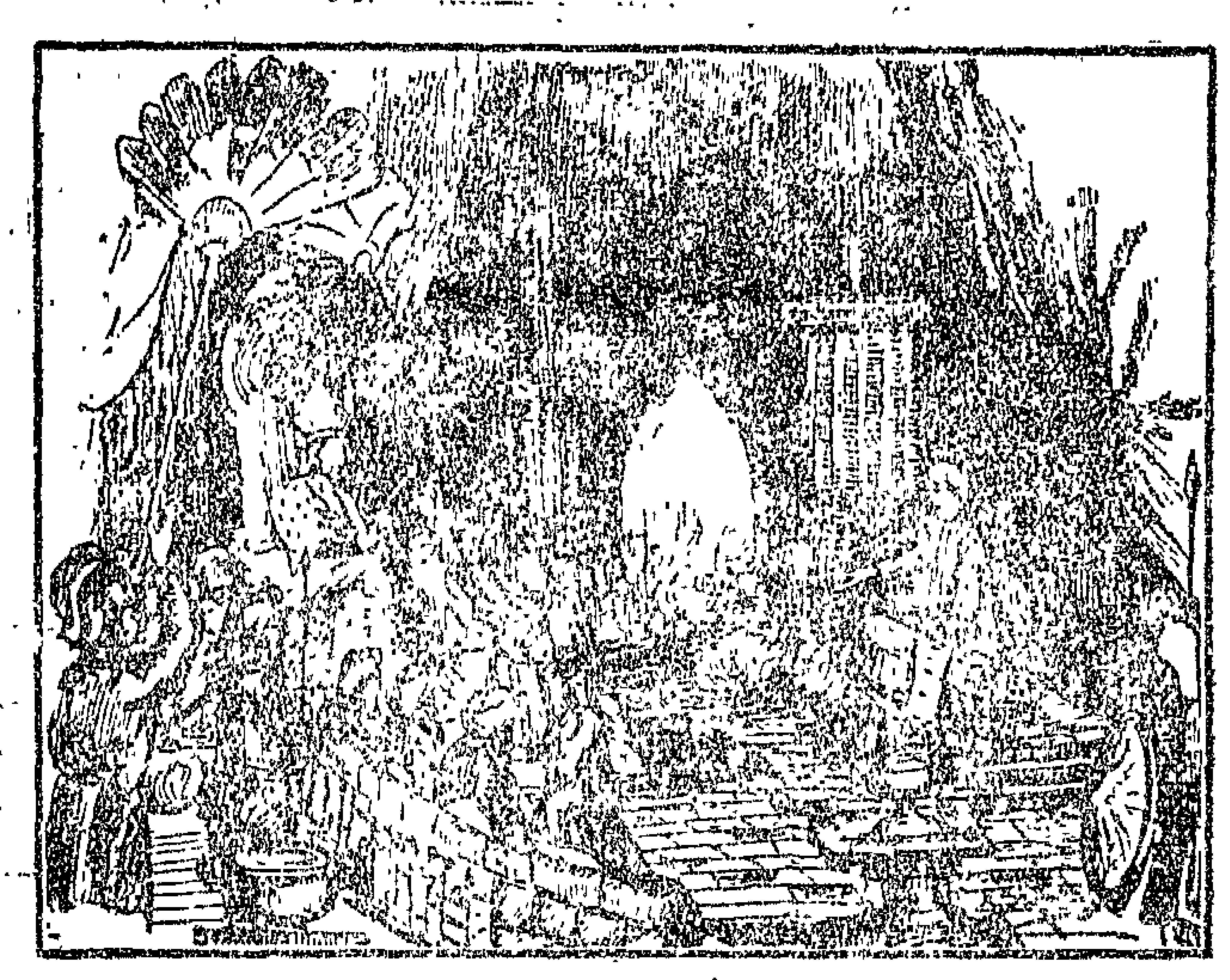
١ عشرتك



برزويه مكب على نسخ هذا الكتاب

فَتَعَاهَدَا عَلَى هٰذَا جَمِيعًا . وَكَانَ الْهِنْدِيُّ خَازِنَ الْمَلِكِ ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذٰلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ ، فَأَكَبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ ، وَنَقْلِهِ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ . وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ ، وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا . وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ وَجِلٌ وَفَزِعٌ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ ، خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يُصَادِفَهُ فِي خِزَانَتِهِ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ انْتِسَاخِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ : مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ ، كَتَبَ إِلَى أَنُوشِرْوَانَ يُعْلِمُهُ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سُرَّ بِذٰلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا . ثُمَّ تَخَوَّفَ

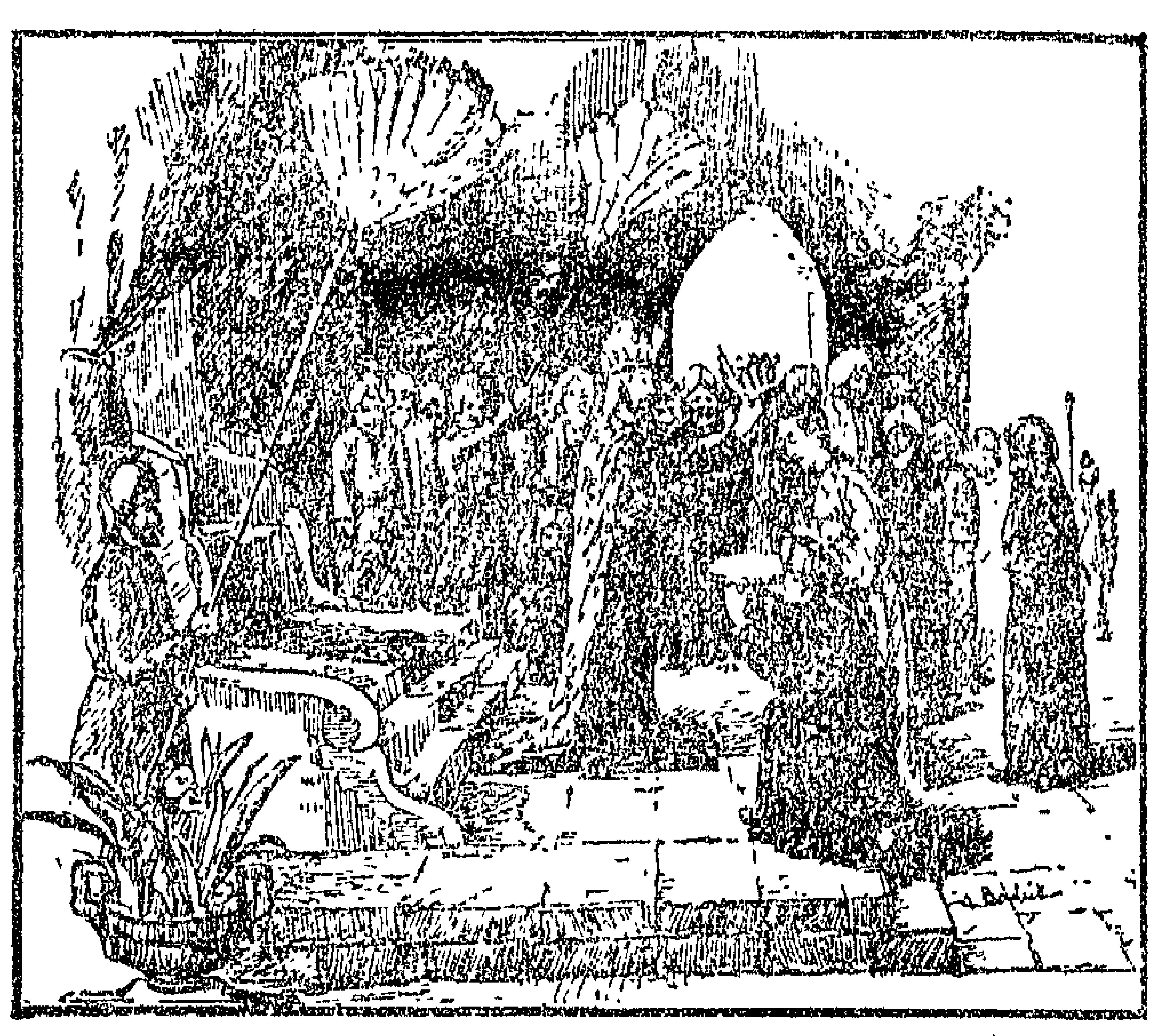
١٣



برزويه بين يدي كسرى يقرأ هذا الكتاب على أهل فارس

مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنَغِّصَ عَلَيْهِ فَرْحَهُ، فَكَتَبَ إِلَى بَرْزَوَيْهِ:
يَأْمُرُهُ بِتَعْجِيلِ الْقُدُومِ. فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى.
فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا قَدْ مَسَّهُ مِنَ الشُّحُوبِ وَالتَّعَبِ قَالَ لَهُ: أَيُّهَا
الْعَبْدُ النَّاصِحُ الَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ مَا قَدْ غَرَسَ، أَبْشِرْ وَقَرَّ عَيْنًا،
فَإِنِّي مُشَرِّفُكَ وَبَالِغٌ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ. وَأَمَرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ
سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ
إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَمَرَ بَرْزَوَيْهِ بِالْحُضُورِ
فَحَضَرَ وَمَعَهُ الْكُتُبُ، فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ

١٤



كسرى يلبس برزويه التاج بين أعيان مملكته

الْمَمْلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا ، وَشَكَرُوا اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ ، وَمَدَحُوا بَرْزَوَيْهِ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُفْتَحَ لِبَرْزَوَيْهِ خَزَائِنُ اللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ أَوْ كُسْوَةٍ . وَقَالَ : يَا بَرْزَوَيْهِ إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِي هٰذَا ، وَتَلْبَسَ تَاجًا ، وَتَتَرَأَّسَ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْرَافِ . فَسَجَدَ بَرْزَوَيْهِ لِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ ، وَطَلَبَ

مِنَ اللهِ ، وَقَالَ : أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ . فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْمَالِ بِمَا رَزَقَنِي اللهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْجَدِّ ، الْعَظِيمِ الْمُلْكِ ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ . لٰكِنْ لَمَّا كَلَّفَنِي الْمَلِكُ ذٰلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ ، فَأَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ ، فَآخُذُ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخْتًا [١] مِنْ طَرَائِفِ خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبَضَ بَرْزَوَيْهِ مَا اخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ : — أَكْرَمَ اللهُ الْمَلِكَ ، وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ أَبَدًا لَابُدَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا رِضَاءُ الْمَلِكِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيتُهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هٰذَا الْبَيْتِ ، فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هٰذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ ، أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا ، وَالشَّاقَّ هَيِّنًا ، وَالنَّصَبَ وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً ، لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ

---

[١] التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، ويطلق أيضا على السرير من خشب وغيره وقد استعمل غالبا في سرير الملك وهو فارسي معرب وأصله : تختة أي خشب . والمراد ما في التخت

لَكُمْ فِيهِ رِضَاءٌ وَقُرْبَةٌ عِنْدَكُمْ [١]، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسْعِفُنِي بِهَا، وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي، فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ. قَالَ أَنُوشِرْوَانُ: قُلْ، فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ، فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ، وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا، وَلَمْ نَرُدَّ طَلِبَتَكَ، فَكَيْفَ مَا سِوَى ذٰلِكَ، فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ [٢]، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْذُولَةٌ لَكَ. قَالَ بَرْزَوَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَاسْكِمَاشِي [٣] فِي طَاعَتِكَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَذْلُ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ [٤]، وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا، وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ، وَلٰكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدَ إِلَى مُجَازَاتِي، وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ، حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ، فَجَزَاهُ اللّٰهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ. قَالَ أَنُوشِرْوَانُ: اُذْكُرْ حَاجَتَكَ فَعَلَيَّ مَا يَسُرُّكَ. فَقَالَ بَرْزَوَيْهِ: حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ — أَعْلَاهُ اللّٰهُ تَعَالَى — وَزِيرَهُ بُزُرْجَمِهْرَ بْنَ الْبَخْتَكَانِ، وَيُقْسِمَ

---

١ أصل القربة ما يتقرب به الى الله من البر وعمل الصالحات

٢ يريد: لا تستحي ٣ اسراعي فيها بجد ٤ المهجة بالضم: النفس

عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِلَ فِكْرَهُ ، وَيَجْمَعَ رَأْيَهُ وَيُجْهِدَ طَاقَتَهُ ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيفِ كَلَامٍ مُتْقَنٍ مُحْكَمٍ ، وَيَجْعَلَهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي.وَيَصِفُ حَالِي ، وَلَا يَدَعَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذٰلِكَ أَقْصَىٰ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرَهُ إِذَا اسْتَتَمَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ ، حَيْثُمَا قُرِئَ هٰذَا الْكِتَابُ .

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ ، وَمَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ الذِّكْرِ ، وَاسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ ، قَالَ كِسْرَىٰ : حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ يَا بَرْزَوَيْهِ ، إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ ، فَمَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ ، وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا ! وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ[1] عِنْدَكَ عَظِيمًا . ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمِهْرَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَةَ بَرْزَوَيْهِ لَنَا ، وَتَجَشُّمَهُ[2] الْمَخَاوِفَ وَالْمَهَالِكَ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَّا ، وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسُرُّنَا ، وَمَا أَتَى بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَمَا أَفَادَنَا اللّٰهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ

---

١ القدر والشرف ٢ من قولهم : تجشم الأمر : تكلفه على مشقة

الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَخْرُهُ، وما عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مِمَّا كَانَ مِنْهُ، فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَآهُ هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ، وَالْكَرَامَةَ الْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي، وَلَا تَدَعْ شَيْئًا مِنَ الِاجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَغْتَهُ، وَإِنْ نَالَتْكَ فِيهِ مَشَقَّةٌ: وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا لِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ، وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بَرْزَوَيْهِ، وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ، وَتَنْسُبُهُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَسَبِهِ وَصِنَاعَتِهِ، وَتَذْكُرَ فِيهِ بَعْثَتَهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا، وَمَا أَفَدْنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْ هُنَالِكَ وَشَرُفْنَا بِهِ وَفُضِّلْنَا عَلَى غَيْرِنَا، وَكَيْفَ كَانَ حَالُ بَرْزَوَيْهِ وَقُدُومِهِ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ. فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْرِيظِ وَالْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ، وَبَالِغْ فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ الْمُبَالَغَةِ، وَاجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ اجْتِهَادًا يَسُرُّ بَرْزَوَيْهِ وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ. وَإِنَّ بَرْزَوَيْهِ أَهْلٌ لِذَلِكَ مِنِّي، وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضًا لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ. وَاجْتَهِدْ أَنْ يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى بَرْزَوَيْهِ أَفْضَلَ مِنْ أَغْرَاضِ تِلْكَ

الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً [1] لِحَالِ هٰذَا الْعِلْمِ ، فَإِنَّكَ أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذٰلِكَ لِانْفِرَادِكَ بِهٰذَا الْكِتَابِ . وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ . فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْلِمْنِي لِأَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ ، فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَاجْتِهَادُكَ فِي مَحَبَّتِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذٰلِكَ فَخْرٌ . فَلَمَّا سَمِعَ بُزُرْجَمْهِرُ مَقَالَةَ الْمَلِكِ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا ، وَقَالَ :— أَدَامَ اللهُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَقَاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى — لَقَدْ شَرَّفْتَنِي بِذٰلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ . ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجَمْهِرُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْمُعَلِّمِ وَمُضِيَّهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ [2] وَالْأَدْوِيَةِ ، وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ ، وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَّقَهُ وَأَتَى بِهِ بِأَجْوَدِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْحِ : ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكَ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ . فَجَمَعَ أَنُوشِرْوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَدْخَلَهُمْ

---

[1] مشابهة [2] العقاقير : هي الادوية أو أصولها واحدها عقار بالفتح فالتشديد ومنه يقال (حديد جيد العقاقير أى كريم الطبع)

إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بُزُرْجِمْهَرَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ ، وَبَرْزَوَيْهِ قَائِمٌ إِلَى جَانِبِ بُزُرْجِمْهَرَ . وَابْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ . فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بُزُرْجِمْهَرُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ أَثْنَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ عَلَى بُزُرْجِمْهَرَ ، وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ ، وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكِسْوَةٍ وَحُلَى وَأَوَانٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كِسْوَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرْزَوَيْهِ ، وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ . وَأَقْبَلَ بَرْزَوَيْهِ عَلَى الْمَلِكِ . وَقَالَ : — أَدَامَ اللهُ لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعَادَةَ — فَقَدْ بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بُزُرْجِمْهَرَ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ [1] فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي .

[1] يريد الكتابة وهى وما فسر مصدر لكتبه

عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع

هَذَا كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ الَّذِي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحِيَلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَلِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ وَضْعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ خِلَالٌ . أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا فِي الْقَوْلِ ، وَشِعَابًا يَأْخُذُونَ مِنْهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا ، فَاخْتَارَهُ الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالسُّفَهَاءُ لِلَهْوِهِ ، وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ ، وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكْمَلَ الرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقُودًا ، اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْكَدْحِ [١] فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ

---

[١] الكدح بالفتح : السعي وراء الاعمال

مِنَ الْحِكْمَةِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الأَدَبِ .

وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هٰذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَمَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ ، وَأَضَافَهُ [1] إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ ، وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ الأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمْثَالاً . فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ مَا أُرِيدَ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ، وَلاَ أَيَّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلاَ أَيَّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هٰذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ غَايَتُهُ اسْتِتْمَامَ قِرَاءَتِهِ إِلَى آخِرِهِ دُونَ مَعْرِفَةِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ ، لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ . وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ الرَّوِيَّةِ فِيمَا يَقْرَؤُهُ كَانَ خَلِيقاً أَلاَّ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بِبَعْضِ الْمَفَاوِزِ ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَنْزٍ ، فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ وَوَرِقٍ [2] . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هٰذَا الْمَالِ قَلِيلاً قَلِيلاً طَالَ عَلَيَّ ، وَقَطَعَنِي الاشْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ عَنِ

---

١ يريد نسبه أيضاً ٢ العين : الذهب ، والورق بوزن كتف وتمر وجمل : الدراهم المضروبة وقد يحرك فيكون على وزن قمر

١٥



الطماع يأمر الحمالين بحمل ما في الكنز



الرجل يندم على ما جناه عليه طمعه

اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبْتُ مِنْهُ وَلَكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ ، وَلَا يَكُونُ قَدْ بَقِيَ وَرَائِي شَيْءٌ يُشْغِلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ ، وَأَكُونُ قَدِ اسْتَظْهَرْتُ [١] لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةِ بَدَنِي عَنِ الْكَدِّ بِيَسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا . ثُمَّ جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ ، فَجَعَلَ يُحَمِّلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَيَفُوزُ بِهِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ انْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ

---

١ يريد استعنت

لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلاَّ الْعَنَاءُ وَالتَّعَبُ ، لأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ . وَكَذٰلِكَ مَنْ قَرَأَ هٰذَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَافِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا بَدَا لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ . كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُدِّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ . وَكَانَ أَيْضًا كَالرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ عِلْمَ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَهُ عِلْمٌ بِالْفَصَاحَةِ ، فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ الْفَصِيحِ ، فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصِيحَ الْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ وَوُجُوهَهُ . فَانْصَرَفَ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ ، فَجَرَتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ : إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ ، وَالْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ . فَقَالَ : كَيْفَ أُخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحِيفَةَ الصَّفْرَاءَ ؟ ! وَهِيَ فِي مَنْزِلِي . فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ لَهُمْ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، وَزَادَهُ ذٰلِكَ قُرْبًا مِنَ الْجَهْلِ ، وَبُعْدًا مِنَ الْأَدَبِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هٰذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَايَةَ عِلْمِهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ ، لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وَيَجْعَلَهُ

١٦



الرجل الجاهل يتعجب من تخطئته بعد أن حفظ الصحيفة الصفراء

مِثالًا لا يَحِيدُ عَنْهُ . فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ كَانَ مَثَلُهُ كالرَّجُلِ الَّذِى زَعَمُوا أَنَّ سارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِى مَنْزِلِهِ . فَعَلِمَ بِهِ . فَقَالَ : وَاللهِ لَأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ ، وَلَا أَذْعَرُهُ ، وَلَا أُعْلِمُهُ أَنِّى قَدْ عَلِمْتُ بِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ ، فَنَغَّصْتُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وَطَالَ تَرَدُّدُهُ فِى جَمْعِهِ مَا يَجِدُهُ . فَغَلَبَ الرَّجُلَ النُّعَاسُ فَنَامَ . وَفَرَغَ اللِّصُّ مِمَّا أَرَادَ ، وَأَمْكَنَهُ الذَّهَابُ . وَاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ اللِّصَّ قَدْ أَخَذَ الْمَتَاعَ وَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ

١٧



الرجل شاعراً باللص وينتظر نتيجة فعلته



الرجل مذعوراً (بعد غفوته) لتمكن اللص من غايته

يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص ، إذ لم يستعمل في أمره ما يجب . فالعلم لا يتم إلا بالعمل . فهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به سمي جاهلاً . ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء[1] هجمت بها فيما هو

---

[1] الأهواء جمع هوى وهو ميل النفس الى ماتستلذه من الشهوات ، ويريد : وجدها قد زاغت عن الطريقة المثلى

أعرفُ بضررها فيه وأذاها من ذلك السالكِ في الطريقِ المَخُوفِ الذي قد جهله . ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جربه هو ، أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم بردىء الطعام والشراب وجيّده وخفيفه وثقيله ، ثم يحمله الشره [1] على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته . وأقل الناس عذرا في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه . وعرف فضل بعضه على بعض كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير ، والآخر أعمى ، ساقهما الأجل إلى حفرة فوقعا فيها كانا إذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة ، غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير ، إذ كانت له عينان يبصر بهما ، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف .

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره ونفعه به وحرمان نفسه منه ، ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها ، وليس لها في ذلك شيء من المنفعة . وكدودة القز التي تحكم صنعته

١ الشره : شدة الحرص في الاكل والشرب وغيرها .

وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ[١] . فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يُقْبِسَهُ[٢] ، فَإِنَّ خِلَالًا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيُقْبِسَهَا : مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْمَالُ ، وَمِنْهَا اتِّخَاذُ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ امْرَأً بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ ، وَيَكُونَ كَالْأَعْمَى الَّذِي يُعَيِّرُ الْأَعْمَى بِعَمَاهُ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ وَنِهَايَةٌ يَعْمَلُ بِهَا ، وَيَقِفُ عِنْدَهَا ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ يُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ بِهِ مَطِيَّتُهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ حَقِيقًا أَلَّا يُعَنِّيَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، وَمَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ،

---

١ دودة القز ويقال لها الدودة الهندية . قالوا انها تكون أولا بزراً كحب التين يخرج من الدود عند فصل الربيع أصغر من الذر وفى لونه ثم يجعل فى حق ويوضع فى الأماكن الدفئة حتى اذا ماخرج أطعم ورق التوت ولا يزال يكبر حتى يصير قدر الأصبع وينتقل من السواد الى البياض فى ستين يوماً على الأكثر ثم يأخذ فى النسج على نفسه بما يخرجه من فيه حتى ينفد ما فى جوفه منه ويكمل عليه ما يبنيه الى أن يصير فى قدر الجوزة ويصير محبوساً نحو عشرة أيام فان أريد الانتفاع بحريره ترك فى الشمس يوماً أو بعض يوم حتى يموت . وأما اذا أريد البزر حفظ من حرارة الشمس بعد النسج فينقب ويخرج من اللفافة فراش ذو أجنحة ثم تبزر الانثى البزر المذكور من قبل . ٢ أقبسه العلم وقبسه اياه مكسور العين فى المضارع : أعلمه اياه .

وَلاَ يَتأَسَّفَ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَكُونَ لِدُنْيَاهُ مُؤثِرًا عَلَى آخِرَتِهِ ؛ فإِنَّ مَنْ لَمْ يُعَلِّقْ قَلْبَهُ بِالغَايَاتِ قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا يَجْمُلاَنِ بِكُلِّ أَحَدٍ : أَحَدُهُمَا النُّسْكُ[1] ، وَالآخَرُ الْمَالُ الحَلاَلُ . وَلاَ يَلِيقُ بِالعَاقِلِ أَنْ يُؤَنِّبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ ، فَرُبَّمَا أَتَاحَ اللهُ لَهُ مَا يَهْنَأُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ : وَمِنْ أَمْثَالِ هٰذَا أَنَّ رَجُلاً كَانَ بِهِ فَاقَةٌ وَجُوعٌ وَعُرْيٌ ، فَأَلْجَأَهُ ذٰلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ أَقَارِبَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ يَعُودُ بِهِ عَلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ بِسَارِقٍ فِيهِ فَقَالَ : وَاللهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْهَدِ السَّارِقُ جَهْدَهُ . فَبَيْنَمَا السَّارِقُ يَجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَابِيَةٍ فِيهَا حِنْطَةٌ فَقَالَ السَّارِقُ : وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَائِي اللَّيْلَةَ بَاطِلاً ، وَلَعَلِّي لاَ أَصِلُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَلٰكِنْ سَأَحْمِلُ هٰذِهِ الحِنْطَةَ . ثُمَّ بَسَطَ قَمِيصَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الحِنْطَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَيَذْهَبُ هٰذَا بِالحِنْطَةِ ؟ وَلَيْسَ وَرَائِي سِوَاهَا ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيَّ مَعَ العُرْيِ ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ ، وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللهِ هَاتَانِ الخَلَّتَانِ عَلَى

---

[1] النسك مثلثة وبضمتين : العبادة

١٨



الفقير يقبض باللص — الفقير جذل مسرور بثوب اللص

أَحَدٍ إِلاَّ أَهْلَكْنَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ وَأَخَذَ هِرَاوَةً[1] كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلاَّ الْهَرَبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ قَمِيصَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ ، وَغَدَا الرَّجُلُ بِهِ كَاسِياً[2] . وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْكَنَ إِلَى مِثْلِ هٰذَا وَيَدَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالْعَمَلِ فِي مِثْلِ هٰذَا لِصَلاَحِ مَعَاشِهِ ، وَلاَ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ تُوَاتِيهِ الْمَقَادِيرُ وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ الْتِمَاسٍ مِنْهُ ، لِأَنَّ أُولٰئِكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ . وَالْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ فِيمَا

---

١ الهراوة بالكسر : العصا أو الضخمة ٢ الكاسي المكتسي ضد العريان وهو من نوادر اللغة .

يُصْلِحُ أَمْرَهُ ، وَيَنَالُ بِهِ مَا أَرَادَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حِرْصُهُ عَلَى مَا طَابَ كَسْبُهُ وَحَسُنَ نَفْعُهُ . وَلَا يَتَعَرَّضَ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءَ وَالشَّقَاءَ ، فَيَكُونَ كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُفْرِخُ الْفِرَاخَ فَتُؤْخَذُ وَتُذْبَحُ ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا ، وَتُقِيمَ بِمَكَانِهَا ، فَتُؤْخَذُ الثَّانِيَةُ مِنْ فِرَاخِهَا فَتُذْبَحُ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا يُوقَفُ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي الْأَشْيَاءِ حَدَّهَا أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ التَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا وَيُقَالُ : مَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فَحَيَاتُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ . وَيُقَالُ : فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الدُّنْيَا إِصْلَاحُهَا وَبَذْلُ جُهْدِهِ فِيهَا : مِنْهَا أَمْرُ مَعِيشَتِهِ . وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ . وَمِنْهَا مَا يُكْسِبُهُ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ بَعْدَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ عَمَلٌ : مِنْهَا التَّوَانِي . وَمِنْهَا تَضْيِيعُ الْفُرَصِ . وَمِنْهَا التَّصْدِيقُ لِكُلِّ مُخْبِرٍ . فَرُبَّ مُخْبِرٍ بِشَيْءٍ عَقَلَهُ وَلَا يَعْرِفُ اسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ . وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مُتَّهِمًا ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَدِيثًا ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الْخَطَإِ إِذَا ظَهَرَ لَهُ خَطَؤُهُ ، وَلَا يُقْدِمَ عَلَى أَمْرٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ ، وَتَتَّضِحَ لَهُ الْحَقِيقَةُ ، وَلَا يَكُونَ كَالرَّجُلِ الَّذِي

تحِيدُ عَنِ الطَّرِيقِ فَيَسْتَمِرَّ عَلَى الضَّلَالِ ، فَلَا يَزْدَادُ فِى السَّيْرِ إِلَّا جُهْدًا ، وَعَنِ الْقَصْدِ إِلَّا بُعْدًا . وَكَالرَّجُلِ الَّذِى تَقْذَى عَيْنُهُ فَلَا يَزَالُ يَحُكُّهَا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْحَكُّ سَبَبًا لِذَهَابِهَا . وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَيَأْخُذَ بِالْحَزْمِ ، وَيُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَلْتَمِسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ .

فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تَاجِرٌ ، وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَاسْتَأْجَرَا حَانُوتًا ، وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا فِيهِ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ ، فَأَضْمَرَ فِى نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ(١) ، وَمَكَرَ الْحِيلَةَ فِى ذَلِكَ(٢). وَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ آمَنْ أَنْ أَحْمِلَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِى ، أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزَمِى(٣) وَلَا أَعْرِفَهَا ، فَيَذْهَبَ عَنَائِى وَتَعَبِى بَاطِلًا ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَأَلْقَاهُ

(١) العدل بالكسر : الغرارة أى الجوالق والجمع عدول وأعدال
(٢) لعل مكر هنا ضمنت معنى أضمر
(٣) الرزمة بالكسر : ما جمع فى ثوب واحد وقيل قدر ثلث الغرارة أو ربعها من تمر ودقيق . ومن هنا يعرف أن صاحب المكر السيء إذا أقدم عليه كان له من نفسه شعور بأن النتيجة ربما عادت عليه بالوبال .

عَلَى الْعِدْلِ الَّذِى أَضْمَرَ أَخْذَهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ، فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ فَقَالَ وَاللهِ هٰذَا رِدَاءُ صَاحِبِي، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ، وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هَاهُنَا؛ وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ تَسْبِقُنِي إِلَى الْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخَذَ الرِّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلٍ مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ، وَأَقْفَلَ الْحَانُوتَ، وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمْلِهِ [1] فَصَارَ إِلَى الْحَانُوتِ فَالْتَمَسَ الْإِزَارَ فِي الظُّلْمَةِ، فَوَجَدَهُ عَلَى الْعِدْلِ؛ فَاحْتَمَلَ ذٰلِكَ الْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَالرَّجُلُ، وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمْلِهِ [2]، حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ تَعَبًا. فَلَمَّا أَصْبَحَ افْتَقَدَهُ [3]، فَإِذَا هُوَ بَعْضُ أَعْدَالِهِ، فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ [4]. ثُمَّ انْطَلَقَ نَحْوَ الْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ الْحَانُوتَ وَوَجَدَ الْعِدْلَ مَفْقُودًا، فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، وَقَالَ: وَاسَوْأَتَاهُ مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ائْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ

---

١ الجعل بالضم ومثله الجعيلة : الأجر الذى يأخذه الانسان على العمل ٢ يتراوحان أى يحمله هذا مرة وذاك أخرى ٣ أصبح دخل فى الصباح وفاعلها هو ٤ كذلك عاقبة الذين أساءوا النية .

خَلَّفَنِي فِيهِ . مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ ؟ وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهَمَتِهِ إِيَّايَ . وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . ثُمَّ أَتَى صَاحِبُهُ فَوَجَدَهُ مُغْتَمًّا . فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . فَقَالَ : إِنِّي قَدِ ٱفْتَقَدْتُ ٱلْأَعْدَالَ ، وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ ، وَلَا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ ، وَإِنِّي لَا أَشُكُّ فِي تُهَمَتِكَ إِيَّايَ . وَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ ، فَإِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسَانُ ، وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ ، وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا ، وَمَا عَادَ وَبَالُ الْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَٱحْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَٰلِكَ ؟ ! فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ : مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ اللِّصِّ وَالتَّاجِرِ . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَٰلِكَ ؟ !

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَالْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا ، فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ اللُّصُوصِ زَمَانًا . حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجِرُ عَنِ الْمَنْزِلِ ، فَتَغَفَّلَهُ اللِّصُّ ، وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا هَمَّ بِأَخْذِ الْخَابِيَةِ الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِيرُ [1] أَخَذَ الَّتِي فِيهَا الْحِنْطَةُ ،

[1] الخابية : الجب وأصلها الهمز لأنها من خبأت .

وَظَنَّهَا الَّتِي فِيهَا الذَّهَبُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ ، حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ ، فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ . قَالَ لَهُ الْخَائِنُ : مَا أَبْعَدْتَ الْمَثَلَ ، وَلَا تَجَاوَزْتَ الْقِيَاسَ . وَقَدِ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَئِي عَلَيْكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا هٰكَذَا . غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعْذِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثِّقَةِ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِنَا هٰذَا أَلَّا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَفُّحَ لِتَزَاوِيقِهِ . بَلْ يُشْرِفُ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ[1] ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْهُ ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ ، وَيُعْمِلَ فِيهَا رَوِيَّتَهُ ، وَيَكُونَ مِثْلَ أَصْغَرِ الْإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمْ الْمَالَ الْكَثِيرَ فَتَنَازَعُوهُ بَيْنَهُمْ : فَأَمَّا الْكَبِيرَانِ فَإِنَّهُمَا أَسْرَعَا فِي إِتْلَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ . وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخَوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا وَتَخَلِّيهِمَا مِنَ الْمَالِ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُشَاوِرُهَا . وَقَالَ : يَا نَفْسِي ، إِنَّمَا الْمَالُ

---

١ يقال أشرف عليه : أطل ولا يكون ذلك الا من عل . ولما كان المطل على الشيء يكون متحققاً منه استعملت هنا يشرف بمعنى يحقق ويدقق

بِطَلَبِهِ صَاحِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، لِبَقَاءِ حَالِهِ وَصَلَاحِ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَاسْتِغْنَائِهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَصَرْفِهِ فِي وَجْهِهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ، وَالإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالإِفْضَالِ عَلَى الإِخْوَانِ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حُقُوقِهِ كَانَ كَالَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا ، وَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ إِمْسَاكَهُ وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ لَمْ يَعْدَمِ الأَمْرَيْنِ جَمِيعًا : مِنْ دُنْيَا تَبْقَى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٍ يُضَافُ إِلَيْهِ . وَمَتَى قَصَدَ إِنْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الوُجُوهِ الَّتِي عَلِمْتَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُتْلِفَهُ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ . وَلَكِنَّ الرَّأْيَ أَنْ أُمْسِكَ[1] هٰذَا الْمَالَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ بِهِ ، وَيُغْنِيَ أَخَوَيَّ عَلَى يَدَيَّ ، فَإِنَّمَا هُوَ مَالُ أَبِي وَمَالُ أَبِيهِمَا ، وَإِنَّ أَوْلَى الإِنْفَاقِ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنْ بَعُدَتْ ، فَكَيْفَ بِأَخَوَيَّ ؟ ! فَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُمَا ، وَشَاطَرَهُمَا مَالَهُ .

وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى قَارِئِ هٰذَا الْكِتَابِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ ، وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ ، وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهُ الإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةِ بَهِيمَتَيْنِ ، أَوْ مُحَاوَرَةِ سَبُعٍ لِثَوْرٍ ،

---

[1] أمسك الشيء : حبسه والمراد وقفه على نفسه



{١} الصائد فرح بالصدفة   {٢} الصائد يندم على التهاون في شأنها

فَيَنْصَرِفَ بِذَلِكَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ . وَيَكُونَ مَثَلُهُ مَثَلَ الصَّيَّادِ الَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ [١] فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا، فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ ، وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ ، فَخَلَّاهَا [٢] وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَفَةَ [٣] . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ ، فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ ،

---

١ سفينة صغيرة ٢ تركها ٣ الصدفة : واحدة الصدف وهو غشاء الدر

وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ ، فَأَصَابَتْ حُوتًا صَغِيرًا ، وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا ، وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا ، فَتَرَكَهَا . فَاجْتَازَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا . وَكَذَلِكَ الْجُهَّالُ إِذَا أَغْفَلُوا أَمْرَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ ، وَأَخَذُوا بِظَاهِرِهِ . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي أَبْوَابِ الْهَزْلِ كَانَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَحَبًّا صَحِيحًا ، فَزَرَعَهَا وَسَقَاهَا ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا وَأَيْنَعَتْ تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ الزَّهَرِ وَقَطْعِ الشَّوْكِ ، فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةً ، وَأَجْمَلَ عَائِدَةً

وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ :

أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ ، لِيُسَارِعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ أَهْلُ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ ، فَتُسْتَمَالَ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، لِأَنَّهُ هُوَ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيَلِ الْحَيَوَانَاتِ

وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُنُوفِ الأَصْبَاغِ وَالأَلْوَانِ ، لِيَكُونَ أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ ، وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ النُّزْهَةِ فِي تِلْكَ الصُّوَرِ

وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ ، فَيَتَّخِذَهُ الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ ، فَيَكْثُرَ بِذَلِكَ انْتِسَاخُهُ ، وَلَا يَبْطُلَ ، فَيَخْلُقَ عَلَى مُرُورِ الأَيَّامِ [١] ، وَلِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمُصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا

وَالْغَرَضُ الرَّابِعُ وَهُوَ الأَقْصَى . وَذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالْفَيْلَسُوفِ خَاصَّةً .

(انقضى باب عرض الكتاب)

---

١ أى يقدر قدره ويصير حاذقاً بالنظر فيه

برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان

قَالَ بَرْزَوَيْهِ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى انْتِسَاخَ هَذَا الْكِتَابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ «وقد مضى ذكر ذلك من قبل» : إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَمَاءِ بُيُوتِ الزَّمَازِمَةِ [٢] وَكَانَ مَنْشَئِي فِي نِعْمَةٍ كَامِلَةٍ ، وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبَوَيَّ عَلَيْهِمَا ، وَكَانَا بِي أَشَدَّ احْتِفَاظاً مِنْ دُونِ إِخْوَتِي . حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَسْلَمَانِي إِلَى الْمُؤَدِّبِ ، فَلَمَّا حَذِقْتُ فِي

---

١ أما برزويه فهذا الباب جميعه فى تأريخ حياته وأما بزرجمهر فهو — كما قالوا — وزير كسرى أنوشروان العادل كان عقلا سديد الرأى ظهرت عليه سيما العقل وحصافة الرأى فاستوزره كسرى لذلك وجعل له المقام الاول حتى أصبح لا يبت فى أمر الا استشاره فيه ، ولبزرجمهر هذا تروى أقاويل كثيرة تنبىء عن قوة فهمه وسمو ادراكه

٢ المقاتلة والزمازمة طائفتان من المجوس وتنسب الأخيرة الى الزمزمة وهو الكتاب الذى زعم زرادشت أنه أوحى اليه به . وأقسام هذا الكتاب ثلاثة : قسم فى أخبار الامم الماضية وقسم فى حدثان المستقبل وقسم فى نواميسهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة وأن الصلوات فى الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجدات ودعوات . وعدد لهم زرادشت بيوت النيران التى كان منوشهر أخمدها ورتب لهم عيدين : النيروز فى الاعتدال الربيعى والمهرجان فى الاعتدال الخريفى

لِلْكِتَابَةِ شَكَرْتُ أَبَوَيَّ ، وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمُ الطِّبِّ ، لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ . وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا ازْدَدْتُ فِيهِ حِرْصًا وَلَهُ اتِّبَاعًا . فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ الْمَرْضَى ، وَعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ آمَرْتُهَا ، ثُمَّ خَيَّرْتُهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا النَّاسُ وَفِيهَا يَرْغَبُونَ ، وَلَهَا يَسْعَوْنَ ، فَقُلْتُ : أَيَّ هٰذِهِ الْخِلَالِ أَبْتَغِي فِي عَمَلِي ؟ وَأَيُّهَا أَحْرَى بِي ؟ فَأُدْرِكَ مِنْهَا حَاجَتِي (أَلْمَالُ ؟ أَمِ الذِّكْرُ ؟ أَمِ اللَّذَّاتُ ؟ أَمِ الْآخِرَةُ ؟) وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَطِبَّاءِ مَنْ وَاظَبَ عَلَى طِبِّهِ ، لَا يَبْتَغِي إِلَّا الْآخِرَةَ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَطْلُبَ الِاشْتِغَالَ بِالطِّبِّ ابْتِغَاءَ الْآخِرَةِ ، لِئَلَّا أَكُونَ كَالتَّاجِرِ الَّذِي بَاعَ يَاقُوتَةً ثَمِينَةً بِخَرَزَةٍ لَا تُسَاوِي شَيْئًا . مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ أَنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي يَبْتَغِي بِطِبِّهِ أَجْرَ الْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا . وَأَنَّ مَثَلَهُ مَثَلُ الزَّارِعِ الَّذِي يَعْمُرُ أَرْضَهُ ابْتِغَاءَ الزَّرْعِ ، لَا ابْتِغَاءَ الْعُشْبِ [1] ، ثُمَّ هِيَ لَا مَحَالَةَ [2] نَابِتٌ فِيهَا أَلْوَانُ الْعُشْبِ مَعَ يَانِعِ

---

١ العشب : الكلأ الرطب فى أول الربيع قالوا ولا يقال له حشيش حتى يهيج ويدخل فيه أحرار البقول وذكورها ٢ لامحالة : كلمة توضع موضع لابد ولا حيلة وهى مفعلة من الحول والقوة

الزَّرْعِ[١] . فَأَقْبَلْتُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرْضَى ابْتِغَاءَ أَجْرِ الآخِرَةِ .
فَلَمْ أَدَعْ مَرِيضًا أَرْجُو لَهُ الْبُرْءَ ، وَآخَرَ لا أَرْجُو لَهُ ذَلِكَ إِلاَّ[٢]
أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ بَعْضُ الْمَرَضِ ، إِلاَّ بَالَغْتُ فِي مُدَاوَاتِهِ
مَا أَمْكَنَنِي الْقِيَامُ عَلَيْهِ بِنَفْسِي ، وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ
عَلَيْهِ وَصَفْتُ لَهُ مَا يُصْلِحُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ الدَّوَاءِ مَا يُعَالَجُ بِهِ ،
وَلَمْ أُرِدْ مِمَّنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذَلِكَ جَزَاءً وَلاَ مُكَافَأَةً ، وَلَمْ أَغْبِطْ[٣]
أَحَدًا مِنْ نُظَرَائِي الَّذِينَ هُمْ دُونِي فِي الْعِلْمِ ، وَفَوْقِي فِي الْجَاهِ
وَالْمَالِ وَغَيْرِهِمَا ، مِمَّا لاَ يَعُودُ بِصَلاَحٍ وَلاَ حُسْنِ سِيرَةٍ قَوْلاً
وَلاَ عَمَلاً . وَلَمَّا تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى غِشْيَانِهِمْ[٤] ، وَتَمَنَّتْ مَنَازِلَهُمْ ،
أَثْبَتُّ لَهَا الْخُصُومَةَ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسِ[٥] أَمَا تَعْرِفِينَ[٦] نَفْعَكِ

---

١ يريد الزرع الناضج . ٢ الا هنا بمعنى الواو وهي عاطفة وليس لها معنى للاستثناء والتي تليها للقصر ٣ يقال غبط فلانا بما ناله غبطاً بالفتح وغبطة بالكسر وفعله كضرب وعلم : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه لما أعجبه منه وعظم عنده وهذا جائز وليس بحسد . فان تميت زوال ما عنده فهو الحسد ، وهناك فرق آخر في الاستعمال وهو أن غبط تتعدى إلى الثاني بالباء ، وأما حسد فتتعدى اليه بعلى ٤ غشيهم : نزل عليهم وحل دارهم ٥ نفس منادى مضاف الى ياء المتكلم ثم حذفت الياء وكسر ما قبلها دليلا عليها أو قلبت ألفاً وحذفت وفتح ماقبلها دليلا على الالف المحذوف ٦ أما هنا حرف عرض (وهو الطلب برفق ولين) بمعنى لولا وهي بهذا المعنى خاصة بالفعل ، وقيل الهمزة للاستفهام وما نافية

مِنْ ضُرِّكِ ! أَلاَ تَنْتَهِينَ عَنْ تَمَنِّى مَالاَ يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلاَّ قَلَّ انْتِفَاعُهُ
بِهِ ! وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتِ الْمُؤُونَةُ عَلَيْهِ ، وَعَظُمَتِ
الْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ . يَانَفْسِي[1] أَمَا تَذْكُرِينَ مَا بَعْدَ هٰذِهِ
الدَّارِ ! فَيُنْسِيكِ مَا تَشْرَهِينَ إِلَيْهِ مِنْهَا ، أَلاَ تَسْتَحْيِينَ مِنْ مُشَارَكَةِ
الْفُجَّارِ فِي حُبِّ هٰذِهِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ الَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ
شَيْءٌ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ ، وَلَيْسَ بِبَاقٍ عَلَيْهِ ، فَلاَ يَأْلَفُهَا إِلاَّ
الْمُغْتَرُّونَ الْجَاهِلُونَ : يَا نَفْسُ انْظُرِي فِي أَمْرِكِ ، وَانْصَرِفِي
عَنْ هٰذَا السَّفَهِ ، وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكِ وَسَعْيِكِ عَلَى تَقْدِيمِ الْخَيْرِ ،
وَإِيَّاكِ وَالشَّرَّ[2] . وَاذْكُرِي أَنَّ هٰذَا الْجَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفَاتٍ ،
وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلاَطًا فَاسِدَةً قَذِرَةً ، تَعْقِدُهَا الْحَيَاةُ ، وَالْحَيَاةُ
إِلَى نَفَادٍ ، كَالصَّنَمِ[3] الْمُفَصَّلَةِ أَعْضَاؤُهُ ، إِذَا رُكِّبَتْ وَوُضِعَتْ
يَجْمَعُهَا مِسْمَارٌ وَاحِدٌ وَيَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا أُخِذَ ذَلِكَ
الْمِسْمَارُ تَسَاقَطَتِ الْأَوْصَالُ . يَا نَفْسُ لاَ تَغْتَرِّي بِصُحْبَةِ أَحِبَّائِكِ

---

١ لم تحذف الياء وحينئذ يجوز سكونها وتحريكها بالفتح وهذان النوعان وما تقدمها أربعة يزاد عليها اثبات الياء بعد قلبها ألفاً فيكون المجموع خمسة أوجه تجوز فى كل منادى أضيف الى ياء المتكلم

٢ اياك : محذر ، والشر محذر منه . وفى اعراب مثل هذا التركيب أقوال أسهلها أنهما معمولان لعاملين واجب حذفهما وتقدير الجملة (اياك باعد واحذر الشر)

٣ الصنم تمثال على هيئة انسان أو حيوان

وَأَصْحَابِكِ وَلَا تَحْرِصِي عَلَى ذَلِكَ كُلَّ الْحِرْصِ ، فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ عَلَى[1] مَافِيهَا مِنَ السُّرُورِ كَثِيرَةُ الْمَؤُونَةِ ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ الْفِرَاقُ ، وَمَثَلُهَا مَثَلُ الْمِغْرَفَةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جِدَّتِهَا[2] لِسُخُونَةِ الْمَرَقِ ، فَإِذَا انْكَسَرَتْ صَارَتْ وَقُودًا : يَا نَفْسِ لَا يَحْمِلَنَّكِ أَهْلُكِ وَأَقَارِبُكِ عَلَى جَمْعِ مَا تَهْلِكِينَ فِيهِ إِرَادَةَ صِلَتِهِمْ ، فَإِذَا أَنْتِ[3] كَالدُّخْنَةِ الْأَرِجَةِ[4] الَّتِي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِهَا . يَا نَفْسِ لَا يَبْعُدْ عَلَيْكِ أَمْرُ الْآخِرَةِ ، فَتَمِيلِي إِلَى الْعَاجِلَةِ فِي اسْتِعْجَالِ الْقَلِيلِ ، وَبَيْعِ الْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ ، كَالتَّاجِرِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِلْءُ بَيْتٍ مِنَ الصَّنْدَلِ[5] ، فَقَالَ : إِنْ بِعْتُهُ وَزْنًا طَالَ عَلَيَّ ، فَبَاعَهُ جِزَافًا[6] بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ . وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ النَّاسِ

....

١ على هنا بمعنى مع ٢ الجدة بالكسر : ضد البلى وفعلها كضرب : صار جديداً ٣ اذا هنا حرف مفاجأة تختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج الى جواب ومعناها الحال وتقع رابطة بين الشرط والجواب اذا كانت الاداة اذا أو ان ٤ الدخنة بالضم : ذريرة يبخر بها البيوت : والارجة : ذات الرائحة الطيبة ٥ الصندل : شجر هندى طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب أخضر وعناقيد وأما الصندل الاحمر فهو مسحوق قشر هذا الشجر يستعمل لتلوين بعض المستحضرات وأما الاصفر فهو شجر يستخرج من قشره عطر هو المستعمل فى الطب كما أنه المراد فى هذا المقام ٦ الجزاف : بيع الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه

مُخْتَلِفَةً ، وَأَهْوَاءُهُمْ مُتَبَايِنَةً ، وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ رَادٌّ ، وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ وَلِقَوْلِهِ مُخَالِفٌ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلاً ، وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَّقْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ كُنْتُ فِي ذَلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ الَّذِي زَعَمُوا فِي شَأْنِهِ : أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ حَرَكَةِ أَقْدَامِهِمْ ، فَعَرَفَتْ امْرَأَتُهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : رُوَيْدًا [1] إِنِّي لَأَحْسَبُ اللُّصُوصَ عَلَوْا الْبَيْتَ ، فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ اللُّصُوصُ ، وَقُولِي : أَلَا [2] تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ، فَإِذَا نَهَيْتُكِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فَأَلِحِّي عَلَيَّ بِالسُّؤَالِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا ، وَأَنْصَتَتِ اللُّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا . فَقَالَ لَهَا

---

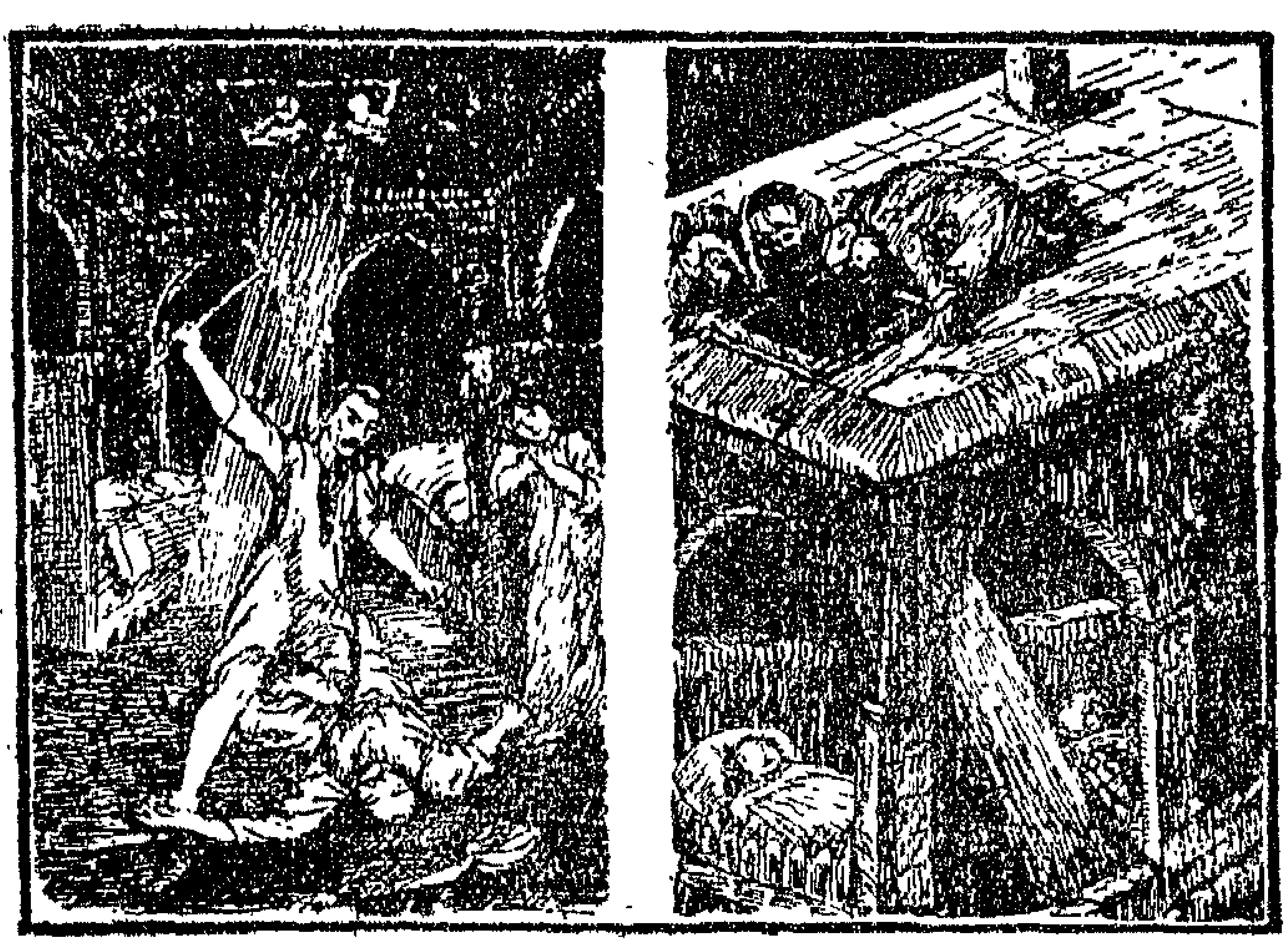
١ رويداً مصدر أرود مصغراً تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد تقول رويداً أى مهلا وهو المعنى هنا . وهو يستعمل فى أربعة أوجه اسم فعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ، فالاسم نحو رويداً عمراً بمعنى أمهله والصفة نحو ساروا سيراً رويداً والحال نحو سار القوم رويداً والمصدر نحو رويد عمرو بالاضافة وتلحقه كاف الخطاب فتتصرف فتقول رويدك ورويدكما الخ ٢ ألا هنا للعرض كالسابقة

الرَّجُلُ : أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ [١] قَدْ سَاقَكِ الْقَدَرُ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ كَثِيرٍ ، فَكُلِي وَاسْكُتِي ، وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهِينَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَعَمْرِي [٢] مَا بِقُرْبِنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أُخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ ! وَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ ! قَالَ : ذَلِكَ لِعِلْمٍ أَصَبْتُهُ فِي السَّرِقَةِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهِمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِيَّ . قَالَتْ : فَاذْكُرْ لِي ذَلِكَ . قَالَ : كُنْتُ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُقْمِرَةِ أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَعْلُوَ دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا ، فَأَنْتَهِيَ إِلَى الْكُوَّةِ [٣] الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوْءُ ، فَأَرْقِيَ بِهَذِهِ الرُّقْيَةِ وَهِيَ (شَوْلَمْ شَوْلَمْ) سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنِقَ الضَّوْءَ ، فَلَا يُحِسُّ وُقُوعِي أَحَدٌ ، فَلَا أَدَعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ . ثُمَّ أَرْقِي بِتِلْكَ الرُّقْيَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنِقُ الضَّوْءَ ،

---

١ المرأة بدل من لفظ أي لأنه جامد ٢ الفاء : فاء الفصيحة وهي الواقعة في جواب شرط مقدر فكأنها قالت اذا شئت أن تفصح عن حالك فوالله ماقربنا أحد يسمعنا واللام على ذلك للابتداء . وعمري مبتدأ خبره محذوف وجوبا تقديره قسمي ٣ الكوة الخرق في الحائط

٢٠



اللصوص يستمعون قول السري وهم على سطح المنزل — اللص وقد اعترف بخداعه

فَيَجْذِبُنِي فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَنَمْضِي سَالِمِينَ آمِنِينَ . فَلَمَّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذَلِكَ قَالُوا : قَدْ ظَفِرْنَا اللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ الْمَالِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا الْمُكْثَ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعَا . فَقَامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ الضَّوْءِ وَقَالَ : (شَوْلَمْ شَوْلَمْ) سَبْعَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ اعْتَنَقَ الضَّوْءَ لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ ، فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ مُنَكَّسًا ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِهِرَاوَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمُصَدِّقُ الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرُّ بِمَا لَا يَكُونُ أَبَدًا ، وَهَذِهِ ثَمَرَةُ رُقْيَتِكَ — فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ مِنْ تَصْدِيقِ مَا لَا يَكُونُ وَلَمْ آمَنْ إِنْ صَدَّقْتُهُ أَنْ

يُوقِعَنِي فِي مَهْلَكَةٍ ، عُدْتُ إِلَى طَلَبِ الأَدْيَانِ وَالتِمَاسِ الْعَدْلِ مِنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَوَابًا فِيمَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيهَا ، وَلَمْ أَرَ فِيمَا كَلَّمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَّبِعَهُ . فَقُلْتُ [١] لَمَّا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً آخُذُ مِنْهُ الرَّأْيَ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي الَّذِينَ وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ لَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى الثُّبُوتِ عَلَى دِينِ الآبَاءِ طَاقَةً ، بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ الأَدْيَانِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهَا [٢] وَالنَّظَرِ فِيهَا . فَهَجَسَ [٣] فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ الأَجَلِ وَسُرْعَةُ انْقِطَاعِ الدُّنْيَا وَاعْتِبَاطُ [٤] أَهْلِهَا وَتَخَرُّمُ الدَّهْرِ حَيَاتَهُمْ [٥] ، فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالتَّحَوُّلِ رَأَيْتُ أَلَّا أَتَعَرَّضَ لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ ، وَأَنْ أَقْتَصِرَ عَلَى عَمَلٍ تَشْهَدُ النَّفْسُ أَنَّهُ يُوَافِقُ كُلَّ الأَدْيَانِ ، فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ

---

١ قلت هنا يجوز أن تكون بمعنى أحببت من قول العرب قال به أحبه ، وحينئذ يكون المعنى (فأحببت) أن ألزم دين آبائي ، والباء محذوفة مع أن ألزم قياسا ، أو تكون قلت بمعنى (رأيت) وليس هنا حذف : والمعنى على كليهما مقبول ٢ السؤال ٣ بمعنى خطر
٤ الاعتباط : الموت ٥ أصل التخرم : القطع والاستئصال ويريد إهلاكهم

الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ وَطَرَحْتُ نَفْسِي عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالْغَضَبِ [١] وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغِيبَةِ [٢] وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَلاَّ أَبْغِيَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلاَ أُكَذِّبَ بِالْبَعْثِ ، وَلاَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ الثَّوَابِ وَلاَ الْعِقَابِ . وَزَايَلْتُ الْأَشْرَارَ بِقَلْبِي ، وَحَاوَلْتُ الْجُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ بِجُهْدِي ، وَرَأَيْتُ الصَّلاَحَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ [٣] صَاحِبٌ وَلاَ قَرِينٌ ، وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ — إِذَا وَفَّقَ اللهُ وَأَعَانَ — يَسِيرًا ، وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ ، وَيُشِيرُ بِالنُّصْحِ ، فِعْلَ [٤] الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ ، وَوَجَدْتُهُ لاَ يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ، بَلْ يَزْدَادُ جِدَّةً وَحُسْنًا ، وَوَجَدْتُهُ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْصِبَهُ ، وَلاَ مِنَ الْمَاءِ أَنْ يُغْرِقَهُ ، وَلاَ مِنَ النَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ ، وَلاَ مِنَ اللُّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ ، وَلاَ مِنَ السِّبَاعِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ أَنْ تُمَزِّقَهُ ، وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ السَّاهِيَ اللاَّهِيَ الْمُؤْثِرَ الْيَسِيرَ

---

١ الغضب : تغير يحصل عند تحرك الدم . ليحصل عنه التشفي للصدر ٢ الغيبة بالكسر : أن تذكر غيرك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أي قلت عليه ما لم يفعله

٣ الكاف ، زائدة والمعنى ليس شيء مثله فهي داخلة على الخبر المقدم وقد منع ظهور فتحته حركة الكاف ٤ فعل : يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف يقدر بقوله و (ذلك فعل) : وأما النصب فلأنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (يفعل فعل)

٢١



ثاقب اللؤلؤ يضرب بالصنج — صاحب اللؤلؤ وثاقبه يتنازعان

يَنالُهُ في يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ في غَدِهِ عَلَى الْكَثِيرِ الْباقِي نَعِيمُهُ ، يُصِيبُهُ ما أَصابَ التّاجِرَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ ، فَاسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلاً في الْيَوْمِ بِمِائَةِ دِينارٍ ، وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ ، وَإِذا في ناحِيَةِ الْبَيْتِ صَنْجٌ مَوْضُوعٌ . فَقالَ التّاجِرُ لِلصّانِعِ : هَلْ تُحْسِنُ أَنْ تَلْعَبَ بِالصَّنْجِ [١] ؟ قالَ : نَعَمْ ، وَكانَ بِلَعِبِهِ ماهِراً . فَقالَ التّاجِرُ : دُونَكَ وَالصَّنْجَ [٢] فَأَسْمِعْنا

---

١ الصنج بالفتح : صحيفة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى فتحدث صوتا يطرب منه سامعوه اذا كان للضارب به مهارة فيه

٢ دون : اسم فعل بمعنى خذ ، والواو زائدة

مرتبك به . فأخذ الرجلُ الصنجَ ، ولم يزل يُسمِعُ التاجرَ الضربَ الصحيحَ والصوتَ الرفيعَ ، والتاجرُ يُشيرُ بيده ورأسه طربًا ، حتى أمسى[1] . فلما حانَ الغروبُ قال الرجلُ للتاجرِ : مُرْ لي بالأجرةِ . فقال له التاجرُ : وهل عملتَ شيئًا تستحقُ به الأجرة ؟ فقال له : عملتُ ما أمرتني به ، وأنا أجيرك ، وما استعملتني عملتُ . ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقي جوهرُهُ غيرَ مثقوب . فلم أزدد في الدنيا وشهواتها نظرًا إلا ازددتُ فيها زهادة ، ومنها هربًا . ووجدتُ النسكَ هوَ الذي يمهدُ للمعادِ[2] ، كما يمهدُ الوالدُ لولدِه . ووجدته هوَ[3] البابَ المفتوحَ إلى النعيمِ المقيمِ . ووجدتُ الناسكَ قد تدبَّرَ فعلتهُ بالسكينةِ ، فشكرَ وتواضعَ ، وقنعَ فاستغنى ، ورضيَ ولم يهتمَّ ، وخلعَ الدنيا فنجا من الشرورِ ، ورفضَ الشهواتِ فصارَ طاهرًا ، واطّرحَ الحسدَ فوجبتْ له المحبةُ ، وسخَتْ نفسهُ بكلِّ شيءٍ ، واستعملَ العقلَ وأبصرَ العاقبةَ ، فأمِنَ الندامةَ ، ولم يخفِ الناسَ ، ولم

---

[1] أي دخل في المساء وعم الظلام [2] المعاد اعادة الاجسام في اليوم الآخر [3] هو : ضمير فصل ليس له محل من الاعراب ، والباب : المفعول الثاني لوجد.

يُدِبَّ إِلَيْهِمْ ، فَسَلِمَ مِنْهُمْ . فَلَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ النُّسْكِ نَظَرًا إِلاَّ ازْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً ، حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ . ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَلاَّ أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ النَّاسِكِ ، وَلَمْ آمَنْ — إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخَذْتُ فِي النُّسْكِ — أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَفَضْتُ أَعْمَالاً كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا [١] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيَكُونُ مَثَلِي فِي ذَلِكَ مَثَلَ الْكَلْبِ الَّذِي مَرَّ بِنَهَرٍ وَفِيهِ ضِلَعٌ ، فَرَأَى ظِلَّهَا [٢] فِي الْمَاءِ ، فَهَوَى لِيَأْخُذَهَا ، فَأَتْلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ ، وَلَمْ يَجِدْ فِي الْمَاءِ شَيْئًا . فَهِبْتُ النُّسْكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً ، وَخِفْتُ مِنَ الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ ، وَأَرَدْتُ الثُّبُوتَ عَلَى حَالَتِي الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أَسْبُرَ مَا أَخَافُ أَلاَّ أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ الأَذَى وَالضِّيقِ وَالْخُشُونَةِ فِي النُّسْكِ ، وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ الدُّنْيَا مِنَ الْبَلاَءِ . وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا إِلاَّ وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى الأَذَى وَمُوَلِّدٌ لِلْحُزْنِ . فَالدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ الَّذِي لاَ يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلاَّ ازْدَادَ عَطَشًا . وَهِيَ كَالْعَظْمِ الَّذِي يُصِيبُهُ الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ اللَّحْمِ ، فَلاَ يَزَالُ يَطْلُبُ ذَلِكَ اللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ . وَكَالْحِدَأَةِ [٣] الَّتِي تَظْفَرُ بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ،

---

١ منفعتها   ٢ لأن الضلع مؤنثة   ٣ الحدأة بكسر ففتح حي

فَلاَ تَزَالُ تَدُورُ وَتَدْأَبُ حَتَّى تَعْيَا وَتَتْعَبَ ، فَإِذَا تَعِبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا . وَكَالْكُوزِ مِنَ الْعَسَلِ الَّذِي فِي أَسْفَلِهِ السُّمُّ الَّذِي يَذَاقُ مِنْهُ حَلاَوَةٌ عَاجِلَةٌ ، وَآخِرُهُ مَوْتٌ ذُعَافٌ [1] وَكَأَحْلاَمِ النَّائِمِ [2] الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ .

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هٰذِهِ الأُمُورِ رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ النُّسْكِ ، وَهَزَّنِي الاشْتِيَاقُ إِلَيْهِ . ثُمَّ خَاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةٌ ، وَقَدْ لاَ تَثْبُتُ عَلَى أَمْرٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ كَقَاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْخَصْمُ الثَّانِي عَادَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَضَى عَلَيْهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الَّذِي أُكَابِدُهُ مِنِ احْتِمَالِ النُّسْكِ وَضِيقِهِ ، فَقُلْتُ مَا أَصْغَرَ هٰذِهِ الْمَشَقَّةَ فِي جَانِبِ رَوْحِ الأَبَدِ وَرَاحَتِهِ ! ثُمَّ نَظَرْتُ فِيمَا تَشْرَهُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فَقُلْتُ : مَا أَمَرَّ هٰذَا وَأَوْجَعَهُ ! وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الأَبَدِ

الطائر المعروف وتعد من أحسن الطير إلا فى المجاورة فانها لا تخطف فراخ ما جاورها من الطيور وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثة أفراخ ومدة حضانتها عشرون يوماً . وهى إما سوداء أو رمداء وتخطف فريستها خطفا وتمتاز من غيرها بقوتها فى الطيران ولم يكن ذلك لغيرها من الطيور

[1] قاتل [2] الاحلام جمع حلم وهو ما يراه النائم فى منامه خيراً كان أو شراً ، وربما فرقوا بينهما فجعلوا الحلم للشر والرؤيا للخير

وَأَهْوَالِهِ، وَكَيْفَ لاَ يَسْتَحْلِي الرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا حَلاَوَةٌ طَوِيلَةٌ؟! وَكَيْفَ لاَ تَمُرُّ عَلَيْهِ حَلاَوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ؟! وَقُلْتُ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِائَةَ سَنَةٍ لاَ يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلاَّ بُضِعَ مِنْهُ بِضْعَةٌ[1]، ثُمَّ أُعِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، غَيْرَ أَنَّهُ يُشْرَطُ لَهُ إِذَا اسْتَوْفَى السِّنِينَ الْمِائَةَ نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذًى، وَصَارَ إِلَى الأَمْنِ وَالسُّرُورِ كَانَ حَقِيقًا أَلاَّ يَرَى تِلْكَ السِّنِينَ شَيْئًا. وَكَيْفَ يَأْبَى الصَّبْرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلاَئِلَ يَعِيشُهَا فِي النُّسْكِ[2]، وَأَذَى تِلْكَ الأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْرًا كَثِيرًا؟! فَلْنَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَلاَءٌ وَعَذَابٌ. أَوَلَيْسَ الإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِ الدُّنْيَا مِنْ حِينِ يَكُونُ جَنِينًا إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ؟! فَإِذَا كَانَ طِفْلاً ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانًا: إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ، أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ، أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةٌ، مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْحَمْلِ وَاللَّفِّ وَالدَّهْنِ وَالْمَسْحِ. إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ تَقَلُّبًا، ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيعًا، فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ الرَّضَاعِ أَخَذَ فِي عَذَابِ الأَدَبِ[3]، فَأُذِيقَ مِنْهُ

---

١ بضع: قطع، والبضعة بالفتح وتكسر: القطعة من اللحم

٢ النسك مثلثة: العبادة، وبضمتين أيضاً   ٣ المراد من الأدب هنا التعليم

ألوانًا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة.
ثم له من الدواء والحمية والأسقام والأوجاع أوفى حظ.
فإذا أدرك كانت همته في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة
الطلب ، والسعي والكد والتعب . وهو مع ذلك يتقلب
مع أعدائه الباطنية اللازمة له : وهي الصفراء والسوداء والريح
والبلغم والدم[١] والسم المميت والحية اللادغة ، مع الخوف
من السباع ، والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح.
ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه . فلو لم يخف من هذه الأمور
شيئًا وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها ،
لوجب أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق
الدنيا ويتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق
الأهل والأقارب وكل مضنون به من الدنيا ، والإشراف
على الهول العظيم بعد الموت . فلو لم يفعل ذلك لكان
حقيقًا أن يعد عاجزًا مفرطًا محبًا للدناءة مستحقًا للوم . فمن
ذا الذي يعلم ولا يحتال لغد جهده في الحيلة ، ويرفض ما يشغله

....

١ الأخلاط الاربعة : كذا يذكر الطب القديم ويعني من ذلك :
الصفراء والسوداء والدم والبلغم ولكل تعريف خاص به ومركز من
جسم الانسان

وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا ، وَلَا سِيَّمَا [١] فِي هٰذَا الزَّمَانِ الشَّبِيهِ بِالصَّافِي وَهُوَ كَدِرٌ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ حَازِمًا ، عَظِيمَ الْمَقْدُرَةِ ، رَفِيعَ الْهِمَّةِ ، بَلِيغَ الْفَحْصِ ، عَدْلًا مُرْتَجًى صَدُوقًا شَكُورًا ، رَحْبَ الذِّرَاعِ [٢] مُفْتَقِدًا [٣] مُوَاظِبًا مُسْتَمِرًّا عَالِمًا بِالنَّاسِ وَالْأُمُورِ ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ ، شَدِيدًا عَلَى

....

١ أما لا سيما فلا نذكر منها هنا الأحكام المعروفة بكتاب المغارف بل نزيد عليها أنها قد يليها ظرف وشرط وجار ومجرور وفعل ، وكل هذه الانواع في قوة الجملة (غير الاخير) ولها حكم الجملة الواقعة بعد لا سيما . ولا يجوز حذف (لا) منها وذكر ثعلب وجوب ذكر الواو قبل لا ، ولكنها وردت بغيرها ، وكذلك لا يجوز أن يؤتى بعدها بواو فلا تقول : لا سيما والامر كذا ، وكذلك سمع تخفيف الياء .

ومثل لاسيما في جميع أحكامها : لامثلما وسواما ، وقيل يشبهها أيضا لا ترما ولو تر ما ، إلا أن هذين لا يليهما إلا الرفع ويتعين حينئذ أن تكون ما موصولة مفعولا لترى وأما (تر) فهو مجزوم (بلا) حذف منه الألف ، والمرفوع بعده خبر لمبتدا محذوف والجملة صلة ، وأما بعد لو فحذفت الألف شذوذاً مثال ذلك قام القوم لا تر ما زيد ، والتقدير لا تبصر - أيها المخاطب - الشخص الذى هو زيد ، فانه فى القيام أولى به منهم ولو كانت مكان (لا) لو كان التقدير (لو) تبصر الذى هو زيد لرأيته أولى بالقيام منهم ٢ أى واسع الخلق ، ويراد من الذراع أيضاً : النفس ٣ افتقد الشيء : طلبه فى غيبته ، والمراد أنه محافظ

الظَّلَمَةِ ، غَيْرَ جَبَانٍ وَلاَ خَفِيفِ الْقِيَادِ ، رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِيمَا يُحِبُّونَ وَالدَّفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ . فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمَانَ مُدْبِرًا بِكُلِّ مَكَانٍ . فَكَأَنَّ أُمُورَ الصِّدْقِ قَدْ نُزِعَتْ مِنَ النَّاسِ فَأَصْبَحَ مَا كَانَ عَزِيزًا فَقْدُهُ مَفْقُودًا ، وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا وُجُودُهُ . وَكَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ ذَابِلاً ! وَالشَّرَّ نَاضِرًا ! وَكَأَنَّ الْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ زَالَتْ سُبُلُهُ ! وَكَأَنَّ الْحَقَّ قَدْ وَلَّى كَسِيرًا[١] ! وَأَقْبَلَ الْبَاطِلُ تَابِعَهُ ! وَكَأَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَإِضَاعَةَ الْحُكْمِ أَصْبَحَ بِالْحُكَّامِ مُوَكَّلاً ، وَأَصْبَحَ الْمَظْلُومُ بِالْحَيْفِ مُقِرًّا ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلاً ! وَكَأَنَّ الْحِرْصَ أَصْبَحَ فَاغِرًا فَاهُ[٢] مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ مَا قَرُبَتْ مِنْهُ وَمَا بَعُدَ ! وَكَأَنَّ الرِّضَا أَصْبَحَ مَجْهُولاً ! وَكَأَنَّ الأَشْرَارَ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ صُعُودًا ! وَكَأَنَّ الأَخْيَارَ يُرِيدُونَ بَطْنَ الأَرْضِ ! وَأَصْبَحَتِ الْمُرُوءَةُ مَقْذُوفًا بِهَا مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ ، وَأَصْبَحَتِ الدَّنَاءَةُ مُكَرَّمَةً مُمَكَّنَةً ، وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ مُنْتَقِلاً عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ ! وَكَأَنَّ الدُّنْيَا جَذِلَةٌ مَسْرُورَةٌ ، تَقُولُ : قَدْ غُيِّبَتِ الْخَيْرَاتُ ، وَأُظْهِرَتِ السَّيِّئَاتُ . فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأُمُورِهَا وَأَنَّ الإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ، ثُمَّ هُوَ

---

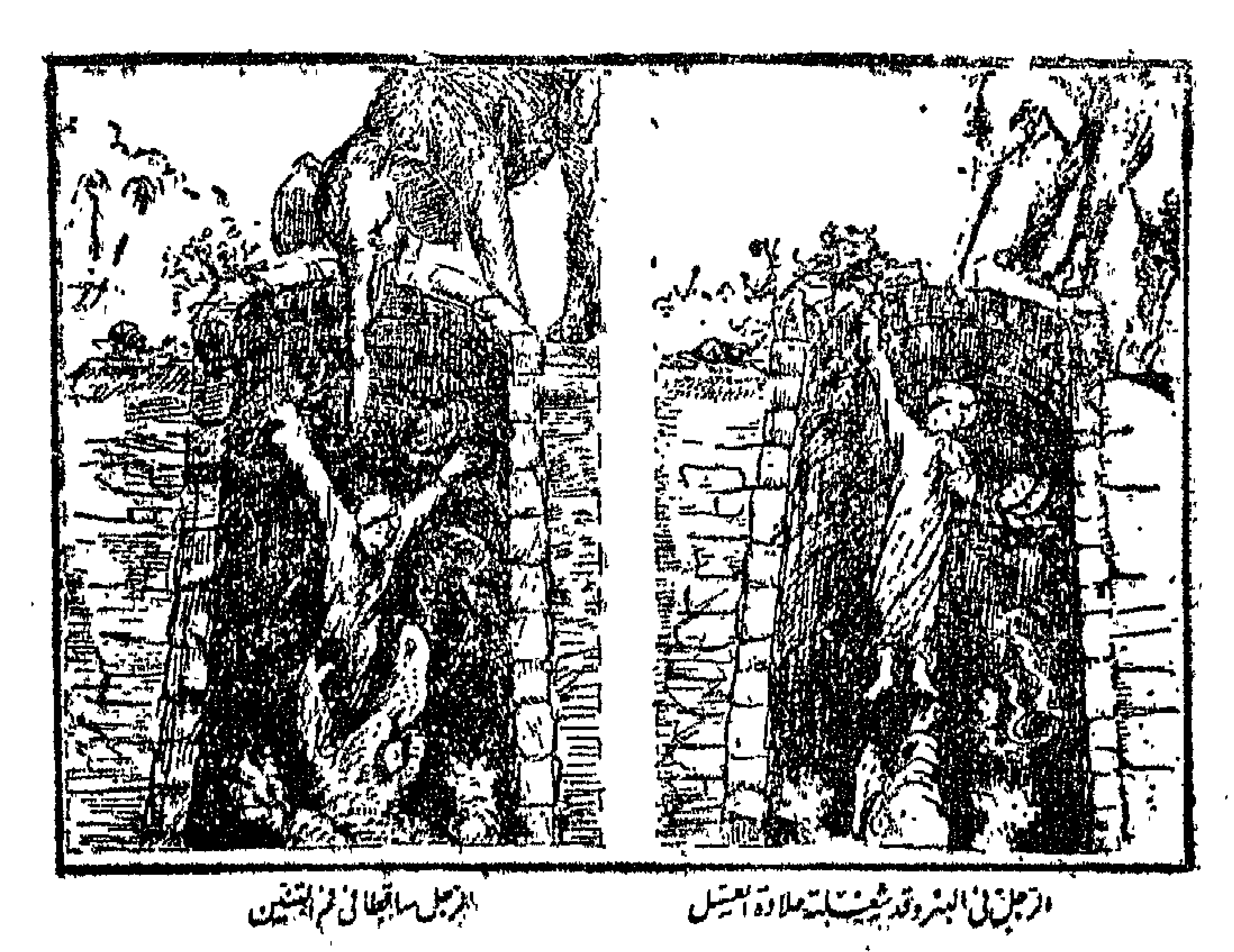
١ الكسير : المكسور ، والمراد المهزوم ٢ أي فاتحاً فمه

لاَ يَتقلَّبُ إلَّا فى الشُّرُورِ وَالْهُمُومِ ، عرَفْتُ أنَّهُ لَيْسَ إنسَانٌ ذُو عقْلٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ ثُمَّ لاَ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِى النَّجَاةِ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الْعَجَبِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا الإِنْسَانُ لاَ يَمْنَعُهُ عَنِ الاُحْتِيَالِ إلَّا لَذَّةٌ صَغِيرَةٌ حَقِيرَةٌ غَيْرُ كَبِيرَةٍ مِنَ الشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَاللَّمْسِ ، لَعَلَّهُ يُصِيبُ مِنْهَا الطَّفِيفَ ، أَوْ يَقْتَنِى مِنْهَا الْيَسِيرَ . فَإِذَا ذَلِكَ يَشْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ الاِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ النَّجَاةِ لَهَا

فَالْتَمَسْتُ لِلإِنْسَانِ مَثَلًا ، فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ هَائِجٍ إلَى بِئْرٍ ، فَتَدَلَّى فِيهَا ، وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا ، فَوَقَعَتْ رِجْلاَهُ عَلَى شَىْءٍ فِى طَىِّ الْبِئْرِ ، فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ ، قَدْ أَخْرَجْنَ رُءُوسَهُنَّ مِنْ أَحْجَارِهِنَّ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِى قَاعِ الْبِئْرِ تِنِّينٌ فَاتِحٌ فَاهُ[١] ، مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ فَرَفَعَ بَصَرَهُ

---

١ التنين من الحيوانات التى كثر فيها القال واختلف فى وجودها ، فمن المؤرخين من يقول : إنه حيوان خرافى وهمى ليس له صورة فى الوجود . ومنهم من ذكر له أوصافاً وقوة وضخامة ومسكنا . أما الأوصاف : فتارة يجعلونه أفعى هائلة وطوراً يجعلونه حيواناً ذا أرجل يسكن الصحارى أو يسكن الأنهار أو بلا أرجل ويقوى على السباحة وربما سبح أسراباً أسراباً ، ويقولون : إن له صفيراً حاداً وبطشاً يصرع الفيل الشديد ويلتذ بسماع الأنغام على أن مسافة الخلف واسعة لا طائل تحتها والمسألة هنا مسألة فرض وتمثيل



الرجل فى البئر وقد شغلته حلاوة العسل — الرجل ساقطاً فى فم التنين

إِلَى الْغُصْنَيْنِ ، فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرَذَانِ : أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ ، وَهُمَا يَقْرِضَانِ الْغُصْنَيْنِ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ ، وَالِاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ ، إِذْ[1] أَبْصَرَ قَرِيبًا مِنْهُ كُوَارَةً فِيهَا عَسَلُ نَحْلٍ[2] ، فَذَاقَ الْعَسَلَ ، فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ

---

١ اذ (هنا) عند ابن الشجرى زائدة للتوكيد وعند غيره حرف للمفاجأة (كابن مالك والشلوبين) وعند آخرين ظرف فمن قال انها ظرف أعربها بدلا وعلقها بمحذوف يدل عليه الكلام وقولهم اذ نحن اذ ذاك فعلى تقدير الخبر فى الموضعين أى اذ نحن متألمون واذ ذاك كائن

٢ الكوارة بالضم وتكسر وتشدد الواو : شىء يتخذ للنحل من القضبان أو الطين ضيق الرأس

يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ ، لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ ، وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التِّنِّينِ فَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا مَشْغُوفًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التِّنِّينِ فَهَلَكَ ، فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا ، وَمَخَافَاتٍ وَعَاهَاتٍ . وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ ، فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ [١] الْأَفَاعِي وَالسُّمِّ الْمُمِيتِ . وَشَبَّهْتُ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنَ انْقِطَاعِهِ . وَشَبَّهْتُ بِالْجُرَذَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجَلِ . وَشَبَّهْتُ بِالتِّنِّينِ الْمَصِيرَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ بِالْعَسَلِ هٰذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشَمُّ وَيَلْمِسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ ، فَحِينَئِذٍ صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَا بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَعْتُ إِصْلَاحَهُ مِنْ عَمَلِي ، لَعَلِّي أُصَادِفُ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى هُدَايَ ، وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي وَقِوَامًا لِأَمْرِي . فَأَقَمْتُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ ، وَانْتَسَخْتُ كُتُبًا كَثِيرَةً ، وَانْصَرَفْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَقَدْ نَسَخْتُ هٰذَا الْكِتَابَ (انقضى باب برزويه المتطبب)

---

١ الحمة بالضم: الابرة التي تضرب بها العقرب ونحوها أو تلدغ بها الحية أوغيرها

الاسد والثور وهو اول الكتاب

قَالَ دَبْشَلِيمُ [١] المَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ [٢] وَهُوَ رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ [٣]: اضْرِبْ لِي مَثَلاً لِمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْمُحْتَالُ حَتَّى يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ. قَالَ بَيْدَبَا: إِذَا ابْتُلِيَ الْمُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْمُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا أَنْ يَتَقَاطَعَا وَيَتَدَابَرَا [٤]: وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ

---

١ دبشليم : قيل انه ملك هندى من سلالة من قهرهم الاسكندر الاكبر حين زحف الى الهند ٣٢٦ قبل المسيح ٢ نشأ أثناء القرن الرابع قبل المسيح وألف هذا الكتاب . وقد ضبطته دائرة المعارف بكسر الباء . ومن هذا الكتاب يستدل على حصافة عقل الرجل ورباطة جأشه ٣ البراهمة ويقال لهم أيضاً البرهميون : هم أصحاب الرتبة الاولى من عبدة برهم الهنود وهو أكبر آلهتهم : يعتبرون الشمس التى هى ينبوع النور والحرارة الاله الوحيد وأول المعبودات فاستدل بذلك على أنهم فرع قديم من أهل العبادة القديمة المجوسية التى أصلحها زرادشت وهم أربعة أصناف : الكهنة . والعلماء . ثم الحربيون ومنهم الحكام وتقدم أيضاً أنهم يسمون بالمقاتلة ثم أهل الزراعة ، ثم الفعلة أى أصحاب الحرف . والبراهمة يعتقدون خلود النفس والتناسخ ويمارسون الوضوء والتقشفات وسائر الرياضات وقد مر أيضاً أنهم لا يجوزون على الله بعثة الرسل ٤ الالف فى يلبثا فاعل وأن والفعل بعدها يؤلان بمصدر

٢٣



الرجل يعظ بنيه ويلومهم على سوء تبذيرهم

رَجلٌ شَيْخٌ ، وَكَانَ لَهُ ثَلاثَةُ بَنِينَ ، فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُم[١] أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا اُحْتَرَفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ لِأَنفُسِهِمْ بِهَا خَيْرًا فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِم .

يعرب مجرورا بمن أو بفي محذوفة وقال أبو حيان (أن) فى مثل هذا التركيب بمعنى (حتى) والمعنى بذلك واضح جلى . ويجوز أن تكون حتى فى هذا التركيب محذوفة وظهرت (أن) بعد حذفها

١ أي بلغوا سن الرشد

وكانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ : يا بَنِيَّ[1] إنّ صاحِبَ الدُّنيا يطلُبُ ثلاثةَ أُمُورٍ ، لَنْ يُدْرِكَها إلا بأربعةِ أشياءَ : أمّا الثلاثةُ التي يطلبُ فالسَّعةُ في الرِّزْقِ ، والمَنْزِلَةُ في النّاسِ ، والزّادُ للآخرةِ : وأمّا الأربعةُ التي يحتاجُ إليها في دَرْكِ هذهِ الثلاثةِ فاكتسابُ المالِ مِنْ أحسنِ وَجْهٍ يكونُ ، ثُمّ حُسْنُ القِيامِ على ما اكتسبَ مِنْهُ ثُمّ استِثْمارُهُ ثُمّ إنفاقُهُ فيما يُصْلِحُ المعيشةَ ويُرْضي الأهلَ والإخوانَ ، فيعودُ عليهِ نفعُهُ في الآخرةِ . فمَنْ ضيَّعَ شيئًا مِنْ هٰذهِ الأحوالِ لَمْ يُدْرِكْ ما أرادَ مِنْ حاجتِهِ ، لأنّهُ إنْ لَمْ يكتسِبْ لَمْ يكُنْ لَهُ مِنْ مالٍ يَعيشُ بهِ . وإنْ هُوَ كانَ ذا مالٍ واكتسابٍ ثُمّ هُوَ لَمْ يُحْسِنِ القِيامَ عليهِ أوشكَ المالُ أنْ يَفْنى ويَبْقى مُعْدِمًا . وإنْ هُوَ وضعَهُ ولَمْ يستثمِرْهُ لَمْ تَمنعْهُ قِلّةُ الإنفاقِ مِنْ سُرْعةِ الذّهابِ كالكُحْلِ الّذي لا يُؤخَذُ مِنْهُ إلا غُبارُ المِيلِ[2] ، ثُمّ هُوَ مَعَ ذٰلكَ سريعٌ فَناؤُهُ . وإنْ أنفقَهُ في غيرِ وَجْهِهِ

---

١ بنيّ منادى أصله بنين لي حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والياء الاولى علامة النصب لانه ملحق بجمع المذكر السالم ، والياء الثانية المدغمة فيها الاولى في محل جر مضافًا إليه

٢ الميل بالكسر : الململ بضم الميمين وتسكين ما بينهما : هو الذي يكتحل به البصر . وقال الاصمعي : قول العامة : الميل ما تكحل به العين خطأ وإنما هو الململ

ووضعه في غير موضعه ، وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه ، كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه ، فإن لم يكن له مخرج ومفيض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ، ونز من نواح كثيرة ، وربما انبثق البثق العظيم [1] ، فذهب الماء ضياعا . ثم إن بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم ، وأخذوا به ، وعلموا أن فيه الخير ، وعولوا عليه . فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون ، فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير ، وكان معه عجلة يجرها ثوران ، يقال لأحدهما شتربة [2] ، وللآخر بندبة ، فوحل شتربة في ذلك المكان ، فعالجه الرجل وأصحابه ، حتى بلغ منهم الجهد ، فلم يقدروا على إخراجه . فذهب الرجل وخلف عنده رجلا يشارفه [3] لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور ، فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم [4] به واستوحش ، فترك الثور والتحق بصاحبه ، فأخبره أن الثور قد مات . وقال له : إن الإنسان إذا انقضت مدته

١ يريد انفجر   ٢ شتربة نائب فاعل يقال   ٣ يراقبه
٤ سئم

٢٤



الثور (شتربة) وقد ارتطم فى الوحل — شتربة وقد انفض الرجل عنه

وَحَانَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَهُوَ وَإِنِ اجْتَهَدَ فِي التَّوَقِّي مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ الْهَلَاكَ لَمْ يُغْنِ ذَٰلِكَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَرُبَّمَا عَادَ اجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ

٣ كَالَّذِي قِيلَ إِنَّ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً [١] فِيهَا خَوْفٌ مِنَ السِّبَاعِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ خَبِيرًا بِوَعْثِ [٢] تِلْكَ الْأَرْضِ وَخَوْفِهَا . فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِّ الذِّئَابِ وَأَضْرَاهَا [٣] . فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِينًا

---

١ المفازة : الصحراء المخوفة وسميت مفازة تفاؤلا   ٢ الوعث مثلثة : الطريق الوعر المسلك   ٣ أى أشدها حدة وافتراسا

وَشِمالاً لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الذِّئْبِ[1] . فَلَمْ يَرَ إِلاَّ
قَرْيَةً خَلْفَ وَادٍ ، فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَ الْقَرْيَةِ . فَلَمَّا أَتَى الْوَادِيَ
لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً ، وَرَأَى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ
فِي الْمَاءِ وَهُوَ لاَ يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ ، وَكَادَ يَغْرَقُ لَوْلاَ أَنْ بَصُرَ بِهِ
قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا لِإِخْرَاجِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ
عَلَى الْهَلاَكِ . فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
غَائِلَةِ الذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي[2] بَيْتًا مُفْرَدًا ، فَقَالَ :
أَدْخُلُ هٰذَا الْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ
اللُّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ ، وَهُمْ
يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذٰلِكَ خَافَ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ
حِيطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْيَاءِ إِذْ سَقَطَ
الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ . قَالَ التَّاجِرُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَغَنِي هٰذَا
الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّوْرُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَعَثَ ،
فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَإِ . فَلَمَّا سَمِنَ
وَأَمِنَ جَعَلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخُوَارِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجَمَةٌ[3]

١ يتوقى شره   ٢ عدوة الوادى بالضم والكسر : جانبه

٣ الأجمة : الشجر الكثير الملتف . ج أجم وأجمات جج آجام

٢٥



الاسد (ملك هذه الناحية) بين حاشيته

فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ [١] ، وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمَعَهُ سِبَاعٌ [٢] كَثِيرَةٌ وَذِئَابٌ [٣] وَبَنَاتُ آوَى [٤] وَثَعَالِبُ وَفُهُودٌ وَنُمُورٌ .

....

١ الاسد أكبر الحيوانات التى من فصيلة الهر وأقواها ، وللذكر منه لبدة طويلة كثيفة وذنبه ينتهي بخصلة من الشعر لا توجد فى ذنب النمر ولا فى أذناب غيره من الهررة المرقطة . ولونه المعتاد أسمر ولبدته تقرب الى السواد وقد يكون بعض الأسد أسود حالكا والبعض أسمر قاتما . أما أنثاه (اللبوة) فهى أصغر منه ولا لبدة لها وفى جبهته سعة وفى لبدته خشونة وفى شعر حاجبه طول

٢ السباع وكذلك الأسبع جمع سبع بفتح الاول وضم الثانى وفتحه وتسكينه : وهو المفترس من الحيوان مطلقاً ويقال من الطير أيضا ٣ الذئب : نوع من فصيلة الكلب البرى قوى حاسة الشم يؤثر الصيد الحى على الجيف والأقذار ٤ بنات آوى جمع لابن آوى

وَكَانَ هٰذَا الْأَسَدُ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذٍ بِرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُوَارَ الثَّوْرِ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثَوْرًا قَطُّ وَلَا سَمِعَ خُوَارَهُ ، خَامَرَهُ مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ ، وَكَرِهَ أَنْ يُشْعِرَ بِذٰلِكَ جُنْدَهُ . فَكَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّبَاعِ ابْنَا آوَى يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا (كَلِيلَةُ) وَلِلْآخَرِ (دِمْنَةُ) وَكَانَا ذَوَيْ دَهَاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ . فَقَالَ دِمْنَةُ لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أَخِي ، مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا [1] مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ ؟! قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْ هٰذَا [2] نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذَيْنِ بِمَا أَحَبَّ ، وَتَارِكَيْنِ مَا يَكْرَهُ . وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ فِي

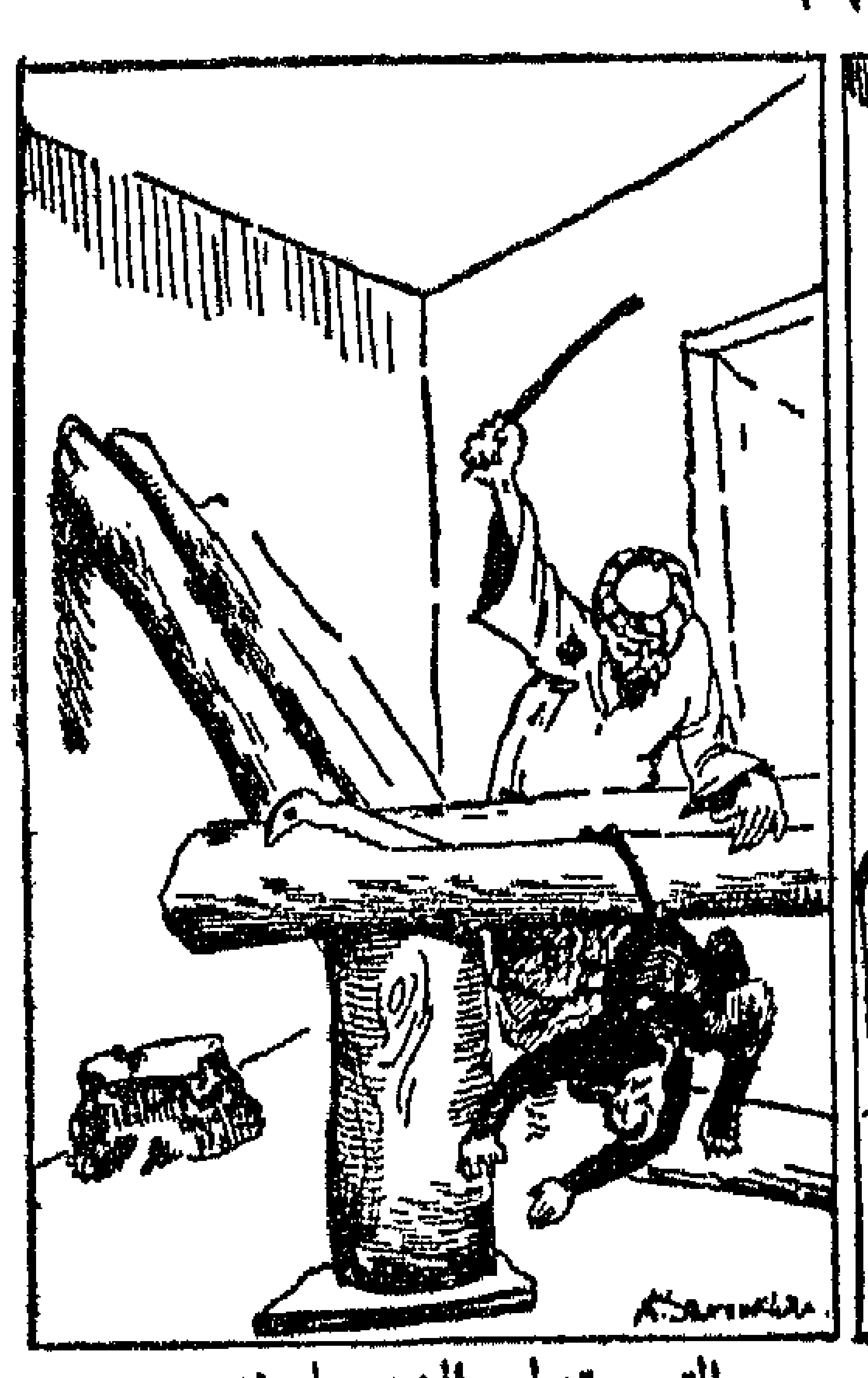
....

وهو جمع قياسى إذ كل ما صدر بابن أو ذى من أسماء ما لا يعقل يجمع جمع مؤنث سالما مثل ابن عرس وابن المخاض وذى القعدة فيجمع على بنات عرس وبنات مخاض ودوات القعدة . أما ابن آوى فهو من أكلة اللحوم وهو من فصيلة الكلب أيضا شبيه بالكلب وفى جرم الثعلب ويتميز من الاخير بكروية حدقته . وترى كليلة ودمنة خلف الاسد فى الصورة السابقة . وأما الثعالب والفهود والنمور فستذكر فيما بعد

١ مقيما حال من الاسد ٢ المسألة مفعول معه بفعل كون محذوف وما خبر مقدم وشأن مبتدأ مؤخر وأنت توكيد للكاف

٣٦


القرد يرقب النجار


القرد وقد لزم الشق على ذنبه

أُمورِهِمْ . فَأَمْسِكْ عَنْ هٰذا . وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ ما لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَصابَهُ ما أَصابَ القِرْدَ[1] مِنَ النَّجّار

قالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ قالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْداً رَأَى نَجّاراً يَشُقُّ خَشَبَةً بَيْنَ وَتِدَيْنِ وَهُوَ راكِبٌ عَلَيْها ، فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقامَ القِرْدُ وَتَكَلَّفَ ما لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ ، فَرَكِبَ الخَشَبَةَ وَجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الوَتِدِ ، وَوَجْهَهُ قِبَلَ الخَشَبَةِ ، فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي الشَّقِّ ، وَنَزَعَ الوَتِدَ ، فَلَزِمَ الشَّقُّ عَلَيْهِ ، فَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ مِنَ

[1] القرد : سيأتي شرحه في باب القرد والغيلم

الألم . ثم إن النجار وافاه فرآها على تلك الحالة ، فأقبل عليه يضربه . فكان ما لقي من النجار أشد مما أصابه من الخشبة . قال دمنة : قد سمعت ما ذكرت ، وليس كل من يدنو من الملوك يقدر على صحبتهم ويفوز بقربهم . ولكن أعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه فإن البطن يحشى لكل شيء ، وإنما يدنو منهم ليسر الصديق ، ويكبت العدو . وإن من الناس من لا مروءة له : وهم الذين يفرحون بالقليل ، ويرضون بالدون : كالكلب[١] الذي يصيب عظماً يابساً فيفرح به . وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو به نفوسهم إلى ما هم أهل له وهو أيضاً لهم أهل . كالأسد الذي يفترس الأرنب[٢] فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير . ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه[٣] حتى ترمي له الكسرة من الخبز فتقنعه وترضيه منك . وأن الفيل[٤] المعترف بفضله وقوته إذا قدم إليه

---

١ الكلب : حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ويعرف منه أنواع عدة ويألف الآدمي وقد عاصره منذ قبل التاريخ ، يجري المسافات الشاسعة دون أن ينال منه الكلال ويحسن السباحة ٢ الأرنب : حيوان من ذوات الاربع يأكل الحشيش وليس له سلاح إلا الهرب والانزواء وله سمع وشم حادان جداً ٣ أي يحركه ٤ الفيل : حيوان من ذوات الثديين كبير الجثة طويل الخرطوم ويسكن نوع منه

عَلَفَهُ لا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يُمْسَحَ وَجْهُهُ وَيُتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمْرُهُ طَوِيلُ الْعُمْرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضِيقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَشَهْوَتِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ عَرَفْتُ مَقَالَتَكَ ، فَرَاجِعْ عَقْلَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا ، فَإِذَا كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا مُتَمَاسِكَ الْحَالِ فِي طَبَقَتِهِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحُطُّ حَالَنَا الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازَعَةٌ مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدْرِ الْمُرُوءَةِ ، فَالْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مُرُوءَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ . وَمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ وَالِارْتِفَاعُ مِنْ صِغَرِ الْمَنَازِلِ إِلَى أَشْرَفِهَا شَدِيدٌ ، وَمَؤُونَةُ الِانْحِطَاطِ مِنَ الشَّرَفِ إِلَى الضَّعَةِ هَيِّنٌ : كَالْحَجَرِ الثَّقِيلِ ، رَفْعُهُ

أواسط أفريقيا وآخر الجهات الجنوبية من آسيا يألف الغابات ذات المياه له قدرة فائقة على السباحة ويخدم صاحبه فى كل أعماله حتى الصيد والحروب وأنثاه تحمل سنتين وتلد واحدا ولا يبلغ أشده إلا بعد ٢٥ سنة ويعمر ١٥٠ سنة وقد يبلغ طوله ٥ أمتار ووزنه نحو ١٥٠ قنطارا

مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَاتِقِ عَسِيرٌ ، وَطَرْحُهُ إِلَى الْأَرْضِ هَيِّنٌ . فَنَحْنُ أَخَوَانِ نَرُومُ مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَطَاقَتُنَا أَنْ نَلْتَمِسَ ذَلِكَ بِمُرُوءَتِنَا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِهَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا ! قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ الْآنَ مُجْمِعٌ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ الْفُرْصَةِ ، فَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ الرَّأْيِ ، وَقَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ وَعَلَى جُنُودِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَدْنُو مِنْهُ بِنَصِيحَةٍ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَجَاهًا . قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : بِالْحِسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ . فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ ، وَلَا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ ؟ ! قَالَ دِمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يُعْجِزُهُ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحَمْلَ ، وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى بِكَرَامَتِهِ أَفْضَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ يُؤْثِرُ بِذَلِكَ مَنْ دَنَا مِنْهُ . وَيُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ

بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ . إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا دَنَا مِنْهُ [١] . وَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ ؟! قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ فَهِمْتُ كَلامَكَ جَمِيعَهُ وَمَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ صَادِقٌ . لٰكِنِ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ إِلَى السُّلْطَانِ مِنَّا قَدْ كَانُوا وَلَيْسَتْ تِلْكَ مَنَازِلَهُمْ ثُمَّ دَنَوْا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ فَبَلَغُوا . فَأَنَا مُلْتَمِسٌ بُلُوغَ مَنَازِلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ جُهْدِي بِالدُّنُوِّ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: لاَ يُوَاظِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ أَحَدٌ فَيَطْرَحُ مِنْهُ الأَنَفَةَ ، وَيَحْتَمِلُ الأَذَى ، وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ بِالنَّاسِ ، إِلاَّ وَصَلَ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ السُّلْطَانِ . قَالَ كَلِيلَةُ : هَبْكَ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى الأَسَدِ [٢] فَمَا تَوْفِيقُكَ الَّذِي تَنَالُ بِهِ الْمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ وَالْحُظْوَةَ لَدَيْهِ [٣] ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَوْ قَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَفْتُ أَخْلاقَهُ ثُمَّ انْحَطَطْتُ إِلَى هَوَاهُ بِمُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الْخِلافِ لَهُ . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِي صَوَابٌ زَيَّنْتُهُ لَهُ ، وَبَصَّرْتُهُ مَا فِيهِ ، وَشَجَّعْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا أَخَافُ عَلَيْهِ ضُرَّهُ وَشَيْنَهُ بَصَّرْتُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الضُّرِّ وَالشَّيْنِ وَمَا فِي تَرْكِهِ مِنَ

---

١ هذه هي الرواية التي يفهم منها المراد ٢ هب بمعنى احسب وافرض وهو ملازم للأمرية ولا يجوز أن يقال : هب أنك وصلت فإن ذلك من الخطأ المشهور ٣ الحظوة بالضم وتفتح : المكانة والمنزلة

النَّفْعِ وَالزَّيْنِ ، بِحَسَبِ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً ، وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الرَّفِيقَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا أَحْيَانًا لَفَعَلَ : كَالْمُصَوِّرِ الْمَاهِرِ الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْجِدَارِ تَصَاوِيرَ كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ مِنَ الْجِدَارِ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِيهِ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ . فَإِذَا أَبْصَرَ الْأَسَدُ فَضْلِي وَعَرَفَهُ وَعَرَفَ مَا عِنْدِي كَانَ هُوَ أَحْرَصَ عَلَى كَرَامَتِي وَتَقْرِيبِي مِنْهُ .

قَالَ كَلِيلَةُ : أَمَّا إِنْ كَانَ هٰذَا رَأْيَكَ فَإِنِّي أُحَذِّرُكَ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ . فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطَرٌ عَظِيمٌ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ[1] ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلَّا الْقَلِيلُ : وَهِيَ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشُرْبُ السُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ الصَّعْبِ الْمُرْتَقَى الَّذِي فِيهِ الثِّمَارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْجَوَاهِرُ النَّفِيسَةُ ، وَالْأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السِّبَاعِ وَالنُّمُورِ[2]

---

١ الأهوج : الطائش الأحمق وفعله من باب فرح ٢ النمر بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الثانى مع فتح النون وكسرها : حيوان من الضوارى يشبه الاسد إلا فى صغره وتنقبط جلده وحدته

وَالذِّئَابِ وَكُلِّ سَبُعٍ مَخُوفٍ . فَالْإِرْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَخْوَفُ . قَالَ دِمْنَةُ : صَدَقْتَ فِيمَا وَصَفْتَ . غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ الرَّغَائِبَ ، وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَهُ هَيْبَةً وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ يَتَوَقَّى ، فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيمًا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ خِصَالاً ثَلاثًا لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلاَّ بِمَعُونَةٍ مِنِ ارْتِفَاعِ الْهِمَّةِ وَعِظَمِ الْخَطَرِ : مِنْهَا عَمَلُ السُّلْطَانِ ، وَتِجَارَةُ الْبَحْرِ ، وَمُنَاجَزَةُ الْعَدُوِّ [١] . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الْمُرُوءَةِ : إِنَّهُ لاَ يُرَى إِلاَّ فِي مَكَانَيْنِ ، وَلاَ يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكَرَّمًا ، أَوْ مَعَ النُّسَّاكِ مُتَبَتِّلاً : كَالْفِيلِ إِنَّمَا جَمَالُهُ وَبَهَاؤُهُ فِي مَكَانَيْنِ : إِمَّا فِي الْبَرِّيَّةِ وَحْشِيًّا ، أَوْ مَرْكَبًا لِلْمُلُوكِ . قَالَ كَلِيلَةُ : خَارَ اللهُ لَكَ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ [٢] . وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي مُخَالِفُكَ فِي رَأْيِكَ هَذَا !

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ .

ولقد يبلغ به الغضب أن يقتل نفسه وله سطوات صادقات ووثبات شديدات ربما بلغت الوثبة ٤٠ ذراعاً لا يباريه فيها حيوان ، يعجب بنفسه أيما إعجاب ، فإذا أشبع نام ثلاثة أيام ، وفي طبعه عداوة الاسد والظفر بينهما سجال ، عفوف نزيه ، لا يأكل إلا من صيده كما أنه ينزه نفسه عن أكل الجيف ١ مقاتلته ٢ جعل الله لك فيه الخير

٣٧



دخول دمنة على الأسد

فَقَالَ الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ[1] . قَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ ؟ أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ : لَمْ أَزَلْ مُلَازِمًا بَابَ الْمَلِكِ رَجَاءَ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرٌ فَأُعِينَ

١ فلان وفلانة بغير ألف ولام يكنى بهما عن العلم العاقل وهما يجريان مجرى الاعلام فى امتناع دخول الالف واللام للفرق ، تقول : ركبت الفلان وحلبت الفلانة تكنى بالاول عن نحو شذقم (اسم البعير) وبالثاني عن نحو صيدح (اسم ناقة) وكذلك الكنى نحو أبي الفلان، وأم الفلانه وقد يقال للواحد فى النداء ، (يافل) بالضم وللاثنين (يافلان) وللجمع (يافلون) وللواحدة (يا فلة) وللاثنتين (يا فلتا) وإنما قال ابن المقفع فلان دون ألف ولام مع أن المعنى به ما لا يعقل لانه نزل الجميع منزلة العقلاء فى المحاورات كافة

الْمَلِكَ فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي . فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورُ الَّتِي رُبَّمَا احْتِيجَ فِيهَا إِلَى مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ١ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْلُو أَحَدٌ - وَإِنْ كَانَ صَغِيرَ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ - أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ مَنْفَعَةٌ وَإِنْ صَغُرَتْ ، فَإِنَّ الْعُودَ الْمَقْبُورَ الْمُلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا انْتُفِعَ بِهِ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ تَأْكُلُهُ أُذُنُهُ فَيَحُكُّهَا بِهِ . فَالْحَيَوَانُ الْعَالِمُ بِالضَّرِّ وَالنَّفْعِ أَحْرَى أَنْ يُنْتَفَعَ بِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وَظَنَّ أَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحَةً وَرَأْيًا . فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعِلْمِ وَذَا الْمُرُوءَةِ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ ، خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ فَتَأْبَى مَنْزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشِبَّ وَتَرْتَفِعَ : كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ الَّتِي يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعًا . فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ أُعْجِبَ بِهِ قَالَ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ رَجَاءَ أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ: فَضْلِ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ ، وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ : وَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رُبَّمَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى الْعَمَلِ ، فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ وَلَكِنْ بِصَالِحِي الْأَعْوَانِ : وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ

---

١ لا يلتفت اليه

الرَّجُلِ الَّذِى يَحْمِلُ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ فَيُثْقِلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا . وَالرَّجُلُ الَّذِى يَحْتَاجُ إِلَى الْجُذُوعِ لَا يُجْزِئُهُ الْقَصَبُ وَإِنْ كَثُرَ . فَأَنْتَ الْآنَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - حَقِيقٌ أَلَّا تُحَقِّرَ مُرُوءَةً أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ الْمَنْزِلَةِ . فَإِنَّ الصَّغِيرَ رُبَّمَا عَظُمَ : كَالْعَصَبِ يُؤْخَذُ مِنَ الْمَيْتَةِ ، فَإِذَا عُمِلَ مِنْهُ الْقَوْسُ[١] أُكْرِمَ ، فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِى الْبَأْسِ وَاللَّهْوِ

وَأَحَبَّ دِمْنَةُ أَنْ يَرَى الْقَوْمُ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يُقَرِّبُ الرِّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ ، وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ . وَلَكِنْ يَنْبَغِى أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَىْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ ، وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوَى[٢] حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالدَّوَاءِ الَّذِى يَأْتِيهِ مِنْ بُعْدٍ

---

١ القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام تؤنث وتذكر . أما الاحتياج الى القوس فى البأس ففى مثل الطعان . وأما اللهو ففى مثل الصيد أو التفاخر بتسديد الرماية وإظهار التفوق ونحو ذلك

٢ يقال دوى الرجل يدوى كعلم يعلم دوى بالقصر : مرض

فلمّا فرغَ دِمنةُ مِنْ مقالتِهِ هذِهِ أُعجِبَ الملِكُ بِهِ إعجابًا شديدًا [١] ، وأحسنَ الرّدَّ عليْهِ ، وزادَ في كرامتِهِ . ثُمّ قالَ لجلسائِهِ : ينبغي للسُّلطانِ ألاّ يلجّ في تضييعِ حقِّ ذوي الحقوقِ . والنّاسُ في ذلِكَ رجلانِ : رجلٌ طبيعتُهُ الشّراسةُ [٢] : فهوَ كالحيّةِ إنْ وطِئَها الواطِئُ فلمْ تلدغْهُ لمْ يكنْ جديرًا أنْ يغرّهُ ذلِكَ مِنها فيعودَ إلى وطئِها ثانيًا فتلدغَهُ . ورجلٌ أصلُ طباعِهِ السّهولةُ : فهوَ كالصّندلِ البارِدِ الّذي إذا أُفرِطَ في حكِّهِ صارَ حارًّا مؤذِيًا

ثُمّ إنَّ دِمنةَ استأنسَ بالأسدِ وخلا بِهِ . فقالَ لهُ يومًا : أرى الملِكَ قدْ أقامَ في مكانٍ واحِدٍ لا يبرحُ مِنْهُ . فما سببُ ذلِكَ ؟ ! فبينَما هُما في هذا الحديثِ إذْ خارَ شتربةُ خُوارًا شديدًا ، فهاجَ الأسدُ ، وكرِهَ أنْ يخبِرَ دِمنةَ بِما نالَهُ . وعلِمَ دِمنةُ أنّ ذلِكَ الصّوتَ قدْ أدخلَ على الأسدِ ريبةً وهيبةً ، فسألَهُ هلْ رابَ الملِكَ سماعُ هذا الصّوتِ ؟ قالَ لمْ يرِبْني شيءٌ سوى ذلِكَ . قالَ دِمنةُ ليسَ الملِكُ بحقيقٍ أنْ يدعَ مكانَهُ لأجلِ صوتٍ . فقدْ قالتِ العلماءُ : إنّهُ ليسَ مِنْ

---

١ أعجب ملازم للبناء للمجهول ، ومنه المثل المشهور (كل فتاة بأبيها معجبة) بصيغة اسم المفعول ٢ سوء الخلق

٢٨



الأسد وقد هيجه شتربة بخواره

كُلَّ الأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةَ . قَالَ الأَسَدُ : وَمَا مَثَلُ ذَلِكَ ؟!

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ ، وَكُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا ، فَضَرَبَتِ الطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ ، فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ [١] نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْمًا ، فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ ،

---

١ الثعلب حيوان برى من أكلة اللحوم ويميز من الكلب والذئب ونظيرهما بانخفاض قامته وتدبب فمه وقصر عنقه وطول ذنبه وحدقة عينه بهيئة شق عمودى وأما أسنانه فكالذئب والكلب ، يضرب به المثل فى التخلص من أعدائه بالمكر والخديعة

٢٩



الثعلب يفكر في ضخامة صوت الطبل — الثعلب وقد عالج الطبل حتى شقه

فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ . فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ ، قَالَ : لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ الْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا ، وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هٰذَا الصَّوْتَ الَّذِي رَاعَنَا لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بِبَيَانِ هٰذَا الصَّوْتِ . فَوَافَقَ الْأَسَدَ قَوْلُهُ . فَأَذِنَ لَهُ بِالذَّهَابِ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ شَتْرَبَةُ . فَلَمَّا فَصَلَ ¹ دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ فَكَّرَ الْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ ، وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةَ حَيْثُ

---

¹ فصل فلان من البلد يفصل فصولا من باب قعد : خرج منه

أَرْسَلَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا أَصَبْتُ فِي ائْتِمَانِي دِمْنَةَ ، وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا . فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ يَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ وَقَدْ أُبْطِلَتْ حُقُوقُهُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كَانَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِالشَّرَهِ وَالْحِرْصِ ، أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضُرٌّ وَضِيقٌ فَلَمْ يُنْعِشْهُ ، أَوْ كَانَ قَدِ اجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ الْعُقُوبَةَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ الْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ ، أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضُرًّا ، أَوْ كَانَ لِعَدُوِّ الْمَلِكِ مُسَالِمًا ، وَلِمُسَالِمِهِ مُحَارِبًا ، فَلَيْسَ السُّلْطَانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يُعَجِّلَ بِالِاسْتِرْسَالِ إِلَيْهِ وَالثِّقَةِ بِهِ ، وَالِائْتِمَانِ لَهُ ، فَإِنَّ دِمْنَةَ دَاهِيَةٌ أَرِيبٌ ، وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا مَجْفُوًّا ، وَلَعَلَّهُ قَدِ احْتَمَلَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ضِغْنًا ، وَلَعَلَّ[١] ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَى خِيَانَتِي

....

١ لعل حرف عامل عمل الفعل ناصب للمبتدأ رافع للخبر على رأى الجمهور . وقيل تنصب الاثنين وقيل حرف جر زائد ، وإذا دخلت عليها (ما) كفتها ، وقيل تحمل على ليت فتعمل أيضاً بعد دخول (ما) ولها جملة معان : أحدها التوقع وهو ترجى المحبوب والاشفاق من المكروه (كما هو المراد هنا) والثانى : التعليل فى مثل (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى) وربما فهم منها فى الآية الرجاء ، وأما اللغات التى وردت فيها فاحدى عشرة : وهى لعل بتسكين الآخر وعل وعن وغن وأن ولأن ولون ورعل ولعن ولغن ورعن بفتح الأول وتشديد الآخر فى الجميع .

وَإِعَانَةِ عَدُوِّى وَنَقِيصَتِي عِنْدَهُ ، وَلَعَلَّهُ صَادَفَ صَاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا مِنِّى، فَيَرْغَبَ بِهِ عَنِّى [1] وَيَمِيلَ مَعَهُ عَلَيَّ . ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ فَمَشَى غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَبَصُرَ بِدِمْنَةَ مُقْبِلاً نَحْوَهُ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَدَخَلَ دِمْنَةُ عَلَى الأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ : مَاذَا صَنَعْتَ ؟ وَمَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ ثَوْرًا هُوَ صَاحِبُ الْخُوَارِ وَالصَّوْتِ الَّذِى سَمِعْتَهُ . قَالَ : فَمَا قُوَّتُهُ ؟ قَالَ : لاَ شَوْكَةَ لَهُ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ ، وَحَاوَرْتُهُ مُحَاوَرَةَ الأَكْفَاءِ [2] فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا . قَالَ الأَسَدُ : لاَ يَغُرَّنَّكَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَلاَ يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ . فَإِنَّ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ لاَ تَعْبَأُ بِضَعِيفِ الْحَشِيشِ ، لَكِنَّهَا تُحَطِّمُ طِوَالَ النَّخْلِ وَعَظِيمَ الشَّجَرِ [3] قَالَ دِمْنَةُ : لاَ تَهَابَنَّ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — مِنْهُ شَيْئًا ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ ، فَأَنَا آتِيكَ بِهِ لِيَكُونَ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا . قَالَ

---

١ يقال : رغب به عنه : فضله عليه ، ورغب اليه : ابتهل ، ورغب فيه : أحبه وحرص عليه ٢ الأكفاء ومثله الكفاء بالكسر : جمعان للكفء مثلثة وهو النظير ٣ أما النخل : فهو المعروف وأصله من جزيرة العرب ولا يؤخذ ثمره إلا فى الاقطار المعتدلة الحرارة ويكثر بفراخه التى تنبت حول الاناث . وأما طريقة النوى فثمرها يغاير أصلها، وربما لا يخرج منها إلا الذكور . وهو طويل العمر وقد تعيش النخلة قرنًا

الْأَسَدُ : دُونَكَ وَمَا بَدَا لَكَ [١]

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الثَّوْرِ ، فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ : إِنَّ الأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيَهُ بِكَ ، وَأَمَرَنِي إِنْ أَنْتَ [٢] عَجَّلْتَ إِلَيْهِ طَائِعًا أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ فِي التَّأَخُّرِ عَنْهُ وَتَرْكِكَ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ عَنْهُ وَأَحْجَمْتَ أَنْ أُعَجِّلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ . قَالَ لَهُ شَتْرَبَةُ : وَمَنْ هُوَ هٰذَا الأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ ؟ وَأَيْنَ هُوَ ؟ وَمَا حَالُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : هُوَ مَلِكُ السِّبَاعِ ، وَهُوَ بِمَكَانِ كَذَا [٣] وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ . فَرَعَبَ [٤] شَتْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ الأَسَدِ وَالسِّبَاعِ . وَقَالَ إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ الأَمَانَ عَلَى نَفْسِي

---

١ تقدم نظيره وفيه أن الواو زائدة ودون اسم فعل أمر بمعنى خذ ٢ أن من أنت توكيد فاعل الفعل المحذوف يفسره المذكور والتاء للخطاب (وفعل أمر) يتعدى بنفسه الى مفعولين أو الى مفعول بنفسه والثاني بواسطة الباء فيقال : أمره به وأمره إياه . واذاً فمصدر (أن أؤمنك) اما أن يكون مفعولا ثانياً لأمر أو مجروراً بحرف جر محذوف قياسا مع (أن) ، ومثلها (أن أعجل) الواردة بعد ٣ كذا : كلمة يكنى بها عن غير العدد وقيل يكنى بها عنه أيضاً وتمييزها يجب أن يكون منصوبا ولا تلزم الصدارة . وأما استعمالها فلا يكون غالبا الا معطوفا عليها مثلها ٤ يقال : رعب الرجل يرعب بفتح العين فيهما : خاف ، لازم ويتعدى أيضا فيقال : رعبه



دمنة يجيء بشتربة لدى الأسد — الأسد وشتربة متصافيين

أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ الأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ وَالثَّوْرُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا عَلَى الأَسَدِ ، فَأَحْسَنَ الأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ . وَقَالَ لَهُ : مَتَى قَدِمْتَ هٰذِهِ الْبِلَادَ ؟ وَمَا أَقْدَمَكَهَا ؟ فَقَصَّ شَتْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : اُصْحَبْنِي وَالْزَمْنِي فَإِنِّي مُكْرِمُكَ . فَدَعَا لَهُ الثَّوْرُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ

ثُمَّ إِنَّ الأَسَدَ قَرَّبَ شَتْرَبَةَ وَأَكْرَمَهُ وَأَنِسَ بِهِ ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الأَيَّامُ إِلَّا عَجَباً بِهِ ، وَرَغْبَةً فِيهِ ، وَتَقْرِيباً مِنْهُ ، حَتَّى صَارَ أَخَصَّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدِ اخْتَصَّ بِالْمَلِكِ

دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ . وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَلَهْوِهِ حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا ، وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَعْجَبُ يَا أَخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي، وَصُنْعِي بِنَفْسِي، وَنَظَرِي فِيمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي، حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الْأَسَدِ ثَوْرًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي

. . . .

قَالَ كَلِيلَةُ : أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ [١] فِي ذَلِكَ قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كُنْتُ . فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً الْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْاحْتِيَالِ لَهَا بِجُهْدِهِ : مِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ ، فَيَحْتَرِسُ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ ، لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الضَّرَرِ ، وَيَلْتَمِسُ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالُ لِمُعَاوَدَتِهِ ؛ وَمِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ، وَالْاسْتِيثَاقُ بِمَا يَنْفَعُ ، وَالْهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قِبَلِ النَّفْعِ وَمَا يَخَافُ مِنْ قِبَلِ الضَّرِّ ، لِيَسْتَتِمَّ مَا يَرْجُو ، وَيَتَوَقَّى مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ . وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ

---

[١] عزم الامر وعليه من باب ضرب : عقد ضميره على فعله

الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها إلا الاحتيال لآكل العشب هذا ، حتى أفرق بينه وبين الحياة ، فإنه إن فارق الأسد عادت لي منزلتي ، ولعل ذلك يكون خيرا للأسد ، فإن إفراطه في تقريب الثور خليق أن يشينه ويضره في أمره . قال كليلة : ما أرى على الأسد في رأيه في الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا . قال دمنة : إنما يؤتى السلطان ويفسد أمره من قبل ستة أشياء : الحرمان ، والفتنة ، والهوى ، والفظاظة ، والزمان ، والخرق

فأما الحرمان فأن يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة ، وترك التفقد لمن هو كذلك . وأما الفتنة فهو تحارب الناس ووقوع الحرب بينهم وأما الهوى فالإغرام بالحديث واللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك . وأما الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم ، واليد بالبطش في غير موضعهما . وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين [1] والموت ونقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك . وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع

١ السنين : جمع سنة وهي الجدب والقحط

اللِّينِ وَاللِّينَ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ . وَإِنَّ الأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ[١] بِالثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ تُطِيقُ الثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى الأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لاَ تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي ، فَإِنَّ الأُمُورَ لَيْسَتْ بِالضَّعْفِ وَلاَ القُوَّةِ وَلاَ الصِّغَرِ وَلاَ الْكِبَرِ فِي الْجُثَّةِ ، فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الأَقْوِيَاءِ . أَوَ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُرَابًا[٢] ضَعِيفًا احْتَالَ لِأَسْوَدَ حَتَّى قَتَلَهُ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

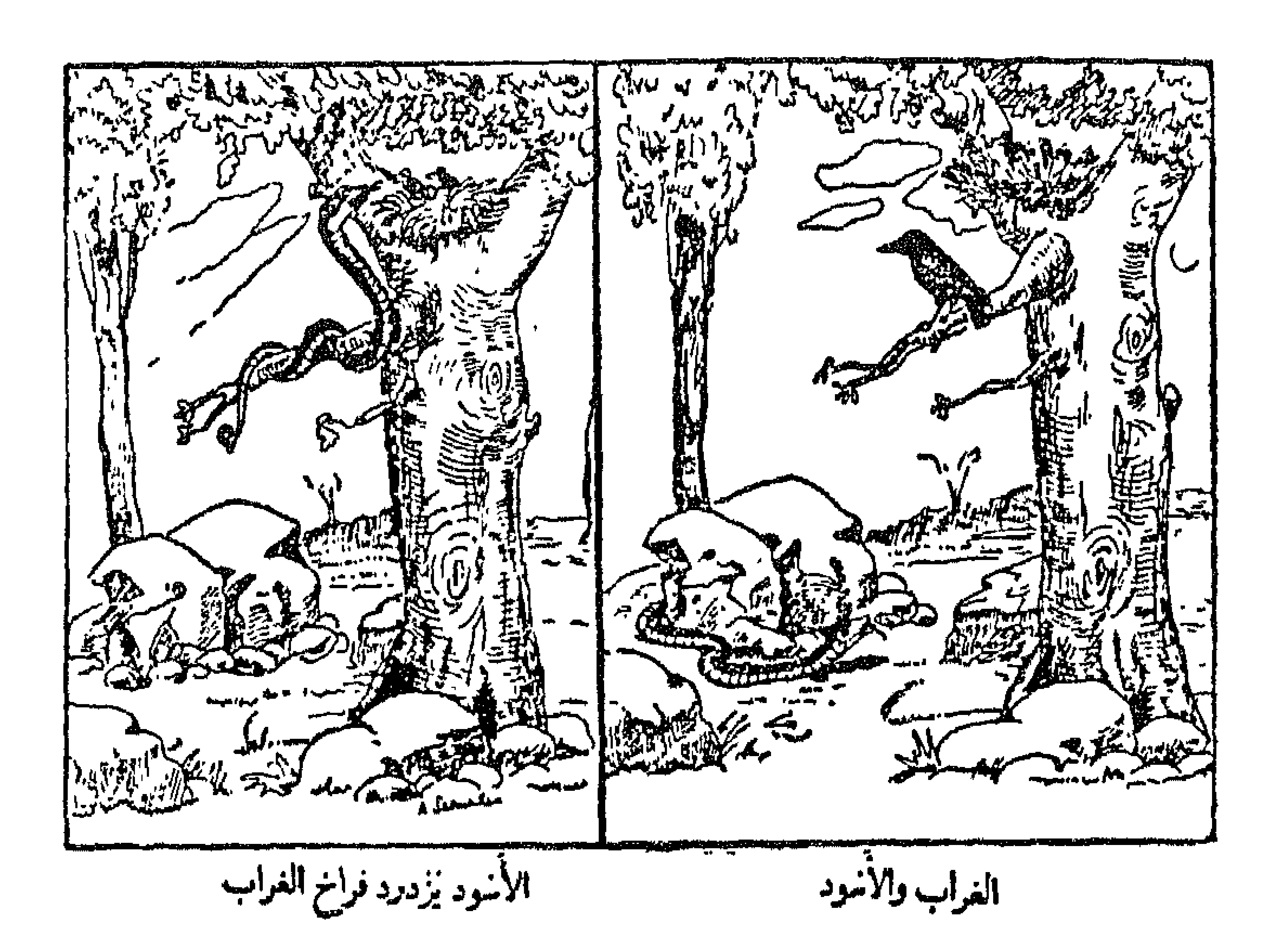
قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ ثُعْبَانٍ أَسْوَدَ ، فَكَانَ الْغُرَابُ إِذَا فَرَّخَ عَمَدَ الأَسْوَدُ إِلَى فِرَاخِهِ فَأَكَلَهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْغُرَابِ وَأَحْزَنَهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى ، وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا

---

١ أغرم به : أولع وهو من الالفاظ التي لازمت البناء للمجهول

٢ الغراب : أربعة أنواع : أسود حالك ، وأبلق ، ومطوق ببياض لطيف الجرم يأكل الحب ، وأسود طاووسي براق الريش ورجلاه كلون المرجان ويعرف بالزاغ

٣١



الأسود يزدرد فراخ الغراب   الغراب والأسود

هـ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ عَزَمْتُ¹ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الأَسْوَدِ إِذَا نَامَ ، فَأَنْقُرَ عَيْنَيْهِ فَأَفْقَأَهُمَا ، لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : بِئْسَ الْحِيلَةُ الَّتِي احْتَلْتَ² فَالْتَمِسْ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ الأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ وَتُخَاطِرَ بِهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ

---

١ عزم تتعدى تارة بنفسها الى مفعول وتتعدى اليه أخرى بعلى فالمصدر المأخوذ من (أن اذهب) إما أن يكون مفعولا أو مجرورا بعلى محذوفة

٢ بئس فعل ماض والحيلة فاعل والتى مبتدا خبره الجملة من الفعل والفاعل المتقدمين أو خبر لمبتدا محذوف وجوبا تقديره (هو) التى احتلتها

مَثَلُكَ مَثَلُ الْعُلْجُومِ [١] الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ السَّرَطَانِ [٢] فَقَتَلَ نَفْسَهُ.
قَالَ الْغُرَابُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

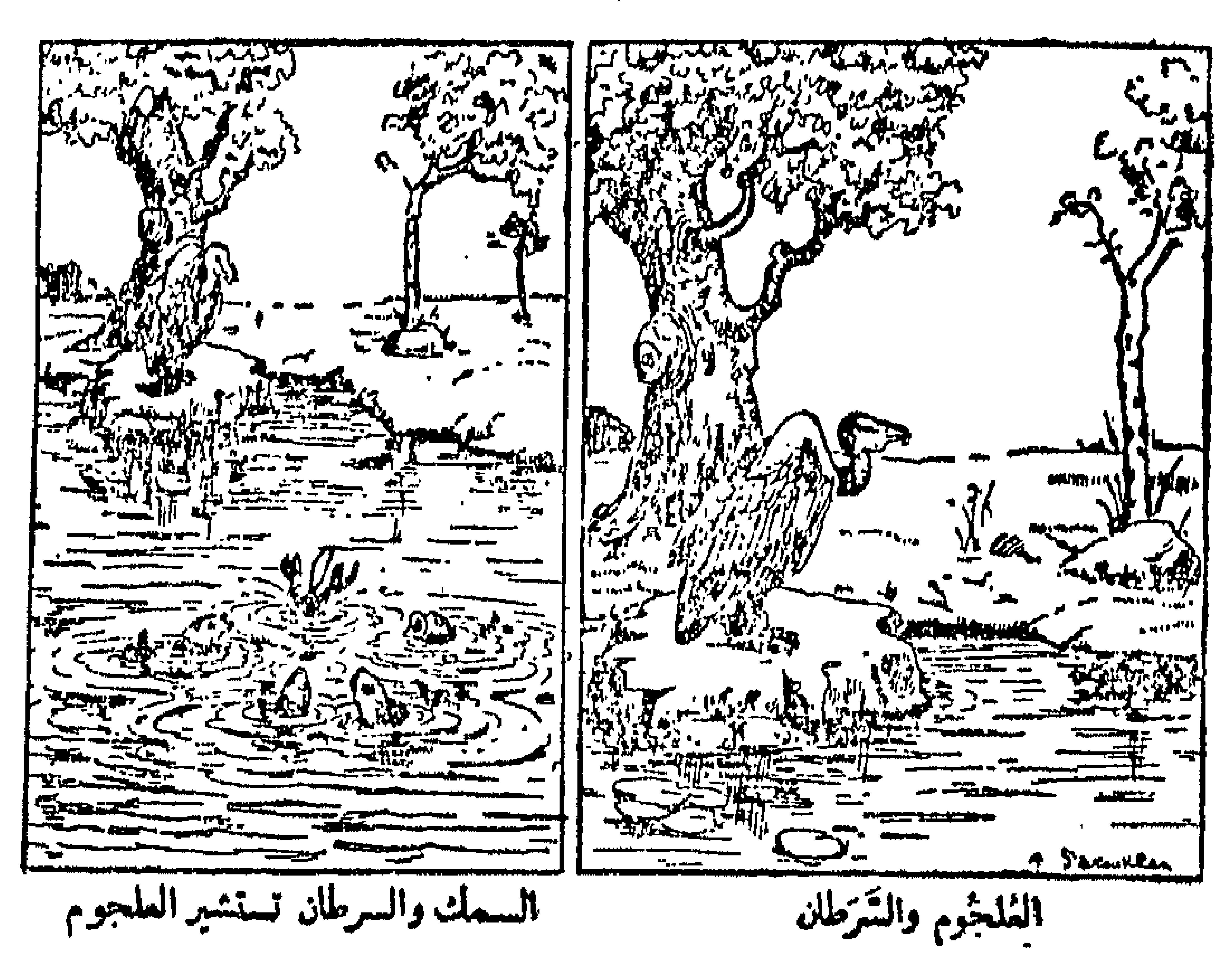
قَالَ ابْنُ آوَى : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ السَّمَكِ، فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ، ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ؛ فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ . فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ الْحِيلَةَ

---

١ العلجوم : ذكر البط . أما البط فاسم لطيور من ذوات الارجل الكفية والمنقار الصفحي . وهو ثلاث فصائل : النهري ويؤثر الماء العذب قادر على الطيران آكل للحيوانات الرخوة الصغيرة والنباتات المائية الرطبة ومنه ما يعيش بعيداً عن الماء ، ويعشش في الاشجار . وذو الذنب الشائك وهو لا يبعد في الطيران لقصر جناحيه . والبحري وهو يأكل الحيوانات الرخوة والاسماك الصغيرة ، ومنه المعروف بالذهبي العين وطول هذا عشرون قيراطا وطول جناحيه ٣٢ قيراطا ، وغذاؤه الحيوانات الرخوة القشرية والاسماك الصغيرة يصطادها غطسا وطيرانه قوى سريع جداً ولحمه سمكي الطعم وهذا النوع « انما هو المعنى في هذا المقام » وأما الفصائل المذكورة فيدخل تحتها أنواع لا نطيل القول فيها

٢ السرطان : حيوان مائي ذو فكين مخالبه وأظفاره حداد صلب الظهر كثير الاسنان يسبح على جنب واحد ويسمى عقرب الماء يعيش في الماء العذب والملح ويقضي كثيراً من حياته في البر وأنواعه البحرية توجد على الشواطئ وبعضها يعيش في الاعماق أو يطفو على وجه الماء بعيداً عن الشاطئ الا اذا قذفته الامواج اليه ومنه أيضا ما يكثر أيضا بين الاعشاب الطافية على وجه الماء

٣٢



العُلجُوم والسَّرطان — السمك والسرطان تستشير العلجوم

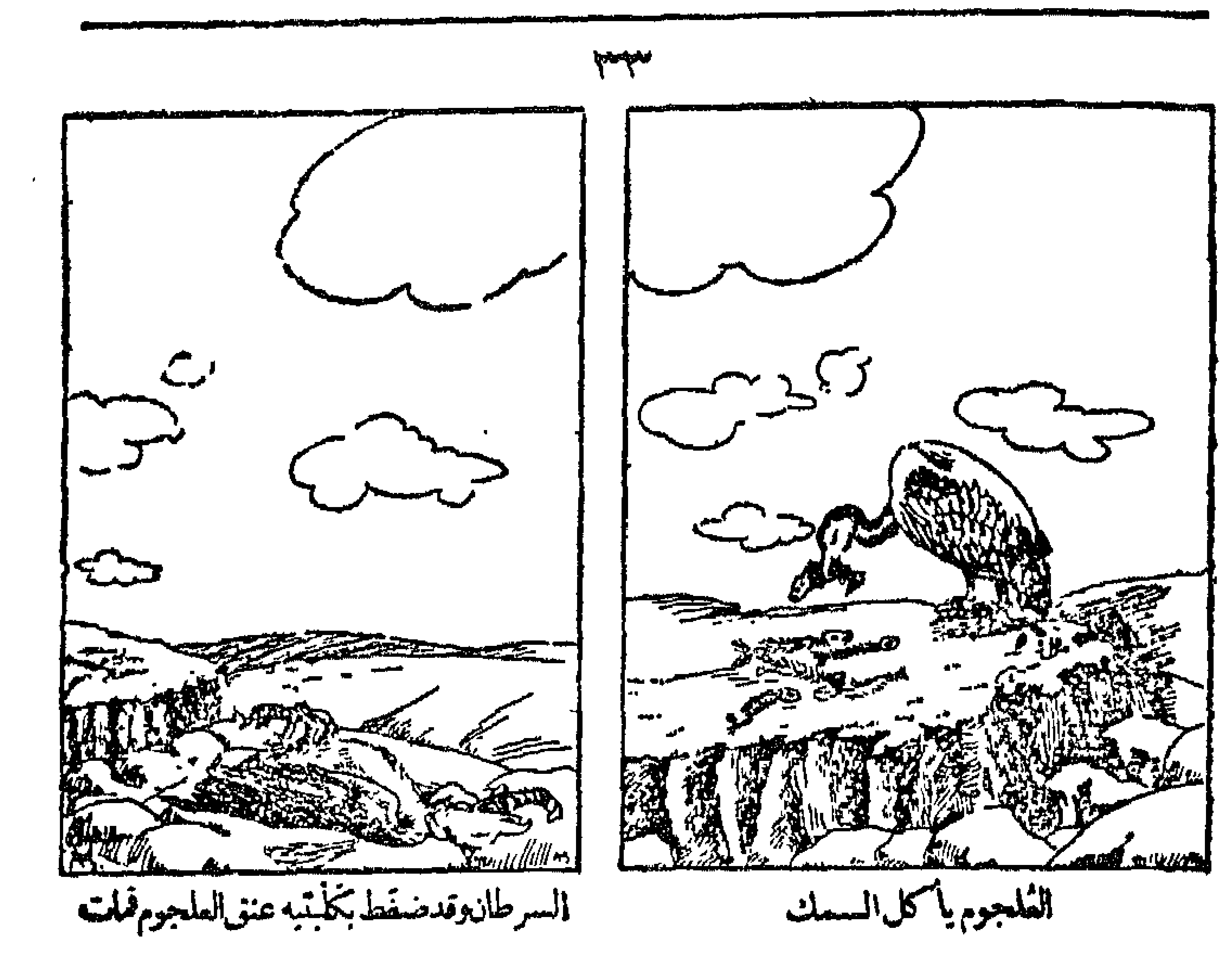
فِي أمْرِهِ ، فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ ، فَرَأَى حَالَتَهُ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ ، فَدَنَا مِنْهُ ، وَقَالَ : مَالِي أَرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هٰكَذَا حَزِينًا كَئِيبًا ؟! قَالَ الْعُلْجُومُ : وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ مَا هَاهُنَا مِنَ السَّمَكِ ! . وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذَا الْمَكَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَاهُنَا سَمَكًا كَثِيرًا ، أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا ؟ فَقَالَ الآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانِ كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا السَّمَكِ ، فَلْنَبْدَأْ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هٰذَا فَأَفْنَيْنَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا مِمَّا هُنَاكَ انْتَهَيَا

إلى هذه الأجمة فاصطادا ما فيها ، فإذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد مدتي . فانطلق السرطان من ساعته إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك . فأقبلن إلى العلجوم فاستشرنه وقلن له : إنا أتيناك لتشير علينا ، فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه . قال العلجوم : أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ، ولا أعلم حيلة إلا المصير إلى غدير قريب من هاهنا ، فيه سمك ومياه عظيمة وقصب . فإن استطعتن الانتقال إليه كان فيه صلاحكن وخصبكن . فقلن له : ما يمن علينا بذلك غيرك . فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما إلى بعض التلال فيأكلهما[1] . حتى إذا كان ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له : إني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه ، فاذهب بي إلى ذلك الغدير ، فاحتمله وطار به حتى إذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه ، نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك ، فعلم أن العلجوم هو صاحبها ، وأنه يريد به مثل ذلك . فقال في نفسه : إذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك ،

---

١ كذلك عاقبة الذين استسلموا للأعداء واستناموا لمساعدة الخادعين

٣٣



الملجوم يأكل السمك — السرطان وقد ضغط بكلبتيه عنق الملجوم فمات

سَوَاءٌ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ ١ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ

....

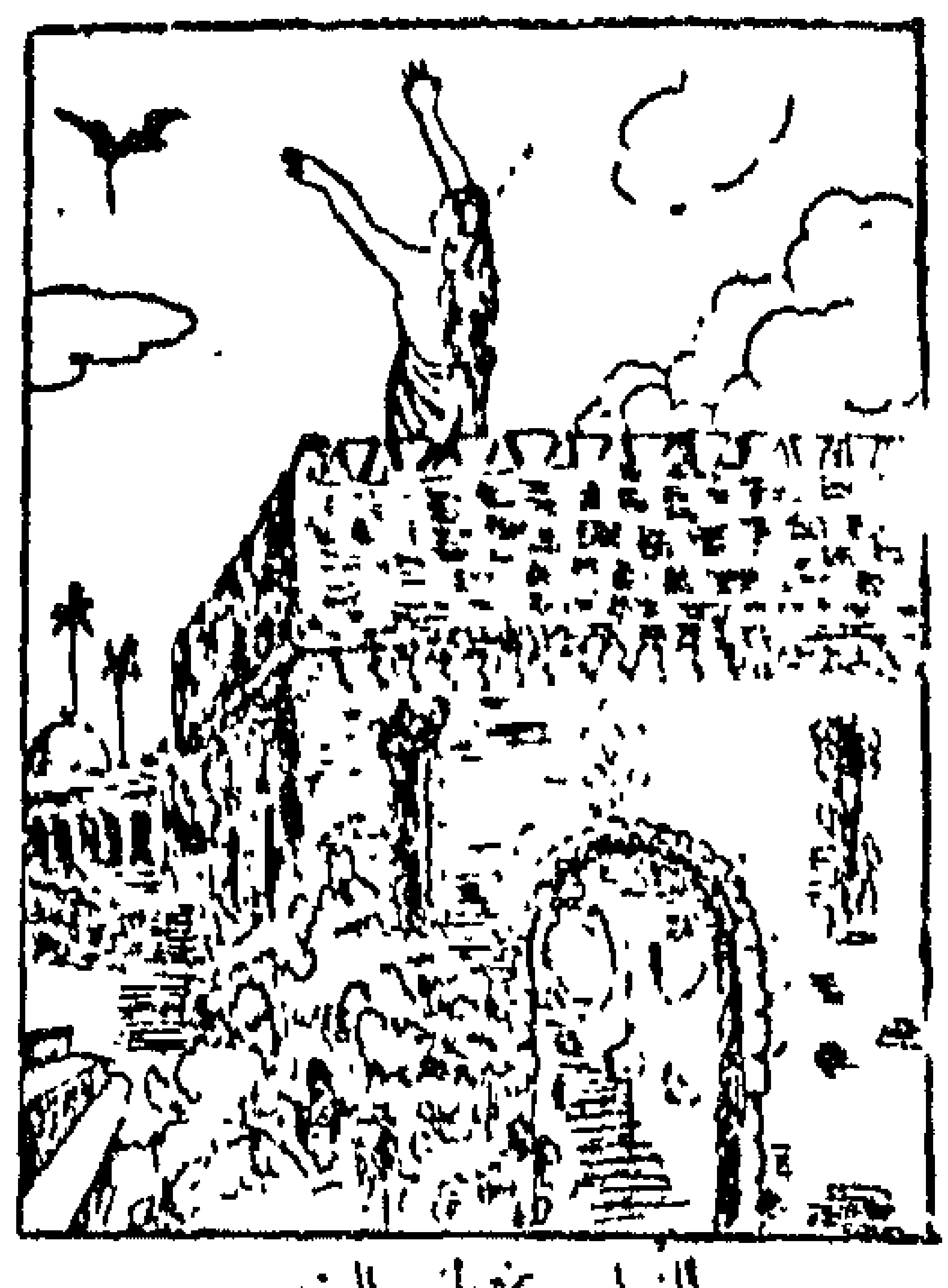
١ سواء هنا للتسوية . واذا وقع بعد سواء همزة التسوية فلابد من (أم) مع الكلمتين اسمين كانتا أو فعلين تقول : (سواء على أزيد جاء أم عمرو ، وسواء على أقمت أم قعدت) واذا كان بعدها فعلان بغير همزة الاستفهام عطف الثانى (بأو) فيقال . (سواء على قمت أو قعدت) واذا كان بعدها مصدران عطف الثانى (بالواو) أو بأو حملا عليها فيقال : (سواء على قيامك وقعودك وقيامك أو قعودك) ومثلها لفظة (أبالى) ونحوها فانه اذا وقع بعدها همزة التسوية كان العطف بأم وإلا فالعطف (بأو) وأما أفعل التفضيل فلا يعطف الا (بأم) فلا يقال : زيد أفضل أو عمرو ، بل لابد من (أم) اد المراد طلب التعيين وهو من مواضع (أم) واذاً فقد أخطأ النساخ بوضع (أم) مكان (أو) فى بعض النسخ . وأما رفعها فعلى أنها خبر لمبتدا محذوف تقديره وذلك سواء

كَرَمًا وَحِفَاظًا[١] . ثُمَّ أَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ[٢] عَلَى عُنُقِ الْعُلْجُومِ فَعَصَرَهُ فَمَاتَ . وَتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ ، فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ مَهْلَكَةٌ لِلْمُحْتَالِ . وَلٰكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ . وَتَكُونُ فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ فِي طَيَرَانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ[٣] بِشَيْءٍ مِنْ حُلِيِّ النِّسَاءِ فَتَخْطَفَهُ ، وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ لَا تَفُوتُ الْعُيُونَ حَتَّى تَأْتِيَ جُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِيَ بِالْحُلِيِّ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وَأَرَاحُوكَ مِنَ الْأَسْوَدِ . فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا فِي السَّمَاءِ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ فَوْقَ سَطْحٍ تَغْتَسِلُ ، وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَحُلِيَّهَا نَاحِيَةً . فَانْقَضَّ وَاخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّهَا عِقْدًا ، وَطَارَ بِهِ . فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جُحْرِ الْأَسْوَدِ ، فَأَلْقَى الْعِقْدَ عَلَيْهِ ، وَالنَّاسُ

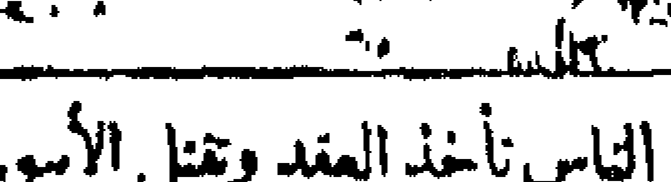
---

١ يقال : رجل ذو حفاظ ومحافظة اذا كان عنده أنفة وهو من قولهم : حافظ على الأمر : ذب عنه وذاد ٢ يريد من الكلبتين فكّي العلجوم ٣ لعل هنا محمولة على عسى ولذلك جاء في خبرها أن



الغراب يختطف العقد





الناس تأخذ العقد وتقتل الأسود

يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْهُ أَخَذُوا الْعِقْدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحِيلَةَ تُجْزِئُ مَا لَا تُجْزِئُ الْقُوَّةُ [1] قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ ، وَلٰكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ . فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ ، وَلٰكِنَّهُ مُقِرٌّ لِي بِالْفَضْلِ ، وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعَتِ الْأَرْنَبُ الْأَسَدَ . قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟ !

---

١ أصل معنى تجزئ : تغنى وتكفى وتنوب ، والمراد : تحدث ما لا تحدثه القوة

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ[1] فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنفَعُهَا ذَلِكَ لِخَوْفِهَا مِنَ الْأَسَدِ ، فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى الْأَسَدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَتُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا ، فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ[2]. فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذَلِكَ ، وَصَالَحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ ، وَوَفَيْنَ لَهُ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ أَرْنَبًا أَصَابَتْهَا الْقُرْعَةُ[3] ، وَصَارَتْ غَدَاءَ الْأَسَدِ. فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ الْأَسَدِ : فَقَالَتِ الْوُحُوشُ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ الْأُمُورِ ؟ قَالَتْ تَأْمُرْنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا[4] أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ. فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكِ.

---

١ الوحوش : جمع وحش وهو ما لا يستأنس من دواب البر

٢ الغداء بالفتح : طعام الغدوة وهو ضد العشاء ٣ القرعة بالضم : حيلة يتعين بها سهم الانسان ونصيبه ٤ الريث : مقدار المهلة من الزمان ، يقال : ما قعد عنده الا ريثما فعل كذا وكذا أى مقدار ما فعل ، وهو فى الاصل مصدر أجروه ظرفا كما أجروا مقدم الحج وخفوق النجم فى نحو قولك : (جئت مقدم الحج وذهبت خفوق النجم)

فَانْطَلَقَتِ الأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ الأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا ، وَقَدْ جَاعَ ، فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ [1] الْوُحُوشِ إِلَيْكَ ، بَعَثْنَنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ ، فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي ، وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهٰذِهِ الأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَحْشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هٰذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ أَرْسَلَنِي بِهِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ ، فَلَا تُغْضِبَنَّهُ ، فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ الأَسَدُ : انْطَلِقِي مَعِي ، فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰذَا الأَسَدِ . فَانْطَلَقَتِ الأَرْنَبُ إِلَى جُبٍّ [2] فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ ، فَاطَّلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هٰذَا الْمَكَانُ ، فَاطَّلَعَ الأَسَدُ ، فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الأَرْنَبِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا ، وَوَثَبَ إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ ، فَغَرِقَ فِي الْجُبِّ . فَانْقَلَبَتِ الأَرْنَبُ إِلَى الْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالأَسَدِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ الثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ

أي في وقتها . وأكثر ما يستعمل مستثنى في كلام منفي نحو : ما قعدت عنده الا ريثما فرغنا من السلام [1] رسول يستوى فيه المذكر والمؤنث وهو على خلاف القياس لان فعول الذي يستوى فيه المذكر والمؤنث يكون بمعنى فاعل وأما هنا فبمعنى (مرسل) بفتح السين

[2] الجب : البئر ذات الماء الكثير . والغامر : العميق

٣٥



الأسد يخدع بظله وظل الأرنب فى الجب



الأسد يغرق والأرنب تعود

مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَأْنُكَ ، فَإِنَّ الثَّوْرَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا مِنَ الْجُنْدِ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ الْأَسَدِ فَلَا تُقْدِمْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ . ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ تَرَكَ الدُّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا حَبَسَكَ عَنِّي مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ ؟ أَلَا لِخَيْرٍ كَانَ انْقِطَاعُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : فَلْيَكُنْ خَيْرًا أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ الْأَسَدُ : وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ يُرِيدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : كَلَامٌ فَظِيعٌ . قَالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّهُ كَلَامٌ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ ، وَلَا يَشْجُعُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ . وَإِنَّكَ — أَيُّهَا

الْمَلِكُ — لَذُو فَضِيلَةٍ — وَرَأْيُكَ يَدُلُّكَ عَلَى أَنْ يُوجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ ، وَأَثِقُ بِكَ أَنْ تَعْرِفَ نُصْحِي وَإِيثَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي . وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيمَا أُخْبِرُكَ بِهِ ، وَلَكِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نُفُوسَنَا — مَعَاشِرَ[1] الْوُحُوشِ — مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا[2] مِنْ أَدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي يَلْزَمُنِي ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي وَخِفْتُ أَلاَّ تَقْبَلَ مِنِّي . فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ . قَالَ الأَسَدُ : فَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرَبَةَ خَلاَ بِرُءُوسِ جُنْدِكَ ، وَقَالَ : قَدْ خَبَرْتُ الأَسَدَ ، وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ وَقُوَّتَهُ ، فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يَؤُولُ مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ ، وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ مِنَ الشُّؤُونِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرَبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ ، وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ ، وَأَنَّكَ مَتَى زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ صَارَ لَهُ مُلْكُكَ ، وَلاَ يَدَعُ جُهْدًا إِلاَّ بَلَغَهُ فِيكَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ

---

١ مفعول لفعل محذوف وجوبا تقديره : أخص معاشر الوحوش

٢ مفراً

قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذٰلِكَ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ . وَشَتْرَبَةُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا. وَالْعَاقِلُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَلَا تَسْتَدْرِكُهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ حَازِمٌ ، وَأَحْزَمُ مِنْهُ ، وَعَاجِزٌ . فَأَحَدُ الْحَازِمَيْنِ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شَعَاعًا [١] ، وَلَمْ تَعْيَ بِهِ حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْمَخْرَجَ مِنْهُ . وَأَحْزَمُ مِنْ هٰذَا الْمُتَقَدِّمِ ذُو الْعُدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الِابْتِلَاءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ إِعْظَامًا وَيَحْتَالُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ ، فَيَحْسِمُ الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ ، وَيَدْفَعُ الأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ . وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ . قَالَ الأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ : كَيِّسَةٌ [٢] ، وَأَكْيَسُ مِنْهَا ، وَعَاجِزَةٌ . وَكَانَ ذٰلِكَ الْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ [٣] مِنَ الأَرْضِ ، لَا يَكَادُ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ ، وَبِقُرْبِهِ نَهْرٌ جَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ بِذَلِكَ النَّهْرِ صَيَّادَانِ ، فَأَبْصَرَا الْغَدِيرَ ،

---

١ فرقا وخوفا ٢ حازمة ٣ النجوة بالفتح : ما ارتفع من الأرض

فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْهِ بِشِبَاكِهِمَا ، فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ السَّمَكِ ، فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ الثَّلاثُ قَوْلَهُمَا : فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ لَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ارْتَابَتْ بِهِمَا ، وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا ، فَلَمْ تَعَرَّجْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ . وَأَمَّا الْكَيِّسَةُ فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا حَتَّى جَاءَ الصَّيَّادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ ، فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذٰلِكَ الْمَكَانَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَتْ : فَرَّطْتُ ، وَهٰذِهِ عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ ، فَكَيْفَ الْحِيلَةُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ ؟ ! وَقَلَّمَا تَنْجَحُ حِيلَةُ الْعَجَلَةِ وَالْإِرْهَاقِ . غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ ، وَلَا يَيْأَسُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يَدَعُ الرَّأْيَ وَالْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاوَتَتْ ، فَطَفَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً ، وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا ، فَأَخَذَهَا الصَّيَّادَانِ فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ ، فَوَثَبَتْ إِلَى النَّهْرِ فَنَجَتْ . وَأَمَّا الْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ حَتَّى صِيدَتْ

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ فَهِمْتُ ذٰلِكَ وَلَا أَظُنُّ الثَّوْرَ يَغُشُّنِي ، وَيَرْجُو لِيَ الْغَوَائِلَ [1] ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَرَ مِنِّي سُوءًا قَطُّ ، وَلَمْ أَدَعْ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتُهُ مَعَهُ ، وَلَا أُمْنِيَّةً إِلَّا بَلَّغْتُهُ

....

[1] الغوائل : الدواهي ، جمع غائلة

إِيَّاهَا؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ اللَّئِيمَ لَا يَزَالُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ ، فَإِذَا بَلَغَهَا الْتَمَسَ مَا فَوْقَهَا ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ الْخِيَانَةِ وَالْفُجُورِ ، فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرَقٍ[١] ، فَإِذَا اسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ[٢] ، كَذَنَبِ الْكَلْبِ الَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًا مَا دَامَ مَرْبُوطًا ، فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَّ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنَّهُ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نُصَحَائِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ لَمْ يُحْمَدْ رَأْيُهُ : كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدَعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّبِيبُ وَيَعْمِدُ إِلَى مَا يَشْتَهِيهِ . وَحَقٌّ عَلَى مُؤَازِرِ السُّلْطَانِ[٣] أَنْ يُبَالِغَ فِي التَّحْضِيضِ[٤] لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ ، وَالْكَفِّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَشِينُهُ . وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقَلُّهُمْ مُدَاهَنَةً[٥] فِي النَّصِيحَةِ . وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَحْلَاهَا عَاقِبَةً . وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لِبَعْلِهَا . وَخَيْرُ الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ . وَأَشْرَفُ الْمُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخَالِطْهُ بَطَرٌ . وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ ، وَقَدْ قِيلَ : لَوْ أَنَّ امْرَأً تَوَسَّدَ النَّارَ وَافْتَرَشَ الْحَيَّاتِ كَانَ أَحَقَّ أَلَّا يَهْنِئَهُ

---

١ الخوف ٢ جوهر الشيء : أصله ٣ مؤازرة : معاضدة ومعاونة ٤ الحمل على الشيء ٥ المداهنة : المراءاة

النَّوْمُ . وَالرَّجُلُ إِذَا أَحَسَّ مِنْ صَاحِبِهِ عَدَاوَةً يُرِيدُهُ بِهَا لَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ . وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخَذُهُمْ بِالْهُوَيْنَا [١] ، وَأَقَلُّهُمْ نَظَرًا فِي مُسْتَقْبَلِ الْأُمُورِ ، وَأَشْبَهُهُمْ بِالْفِيلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ، فَإِنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى قُرَنَائِهِ . قَالَ الْأَسَدُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ . وَقَوْلُ النَّاصِحِ مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ ، وَإِنْ كَانَ شَتْرَبَةُ مُعَادِيًا لِي كَمَا تَقُولُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ لِي ضَرًّا . وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ ؟ ! وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتُهُ لَهُ ، وَبَعْدَ إِكْرَامِي لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ . وَإِنْ غَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتُهُ سَفِهْتُ رَأْيِي ، وَجَهَّلْتُ نَفْسِي ، وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي . قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَغُرَّنَّكَ قَوْلُكَ « هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ » فَإِنَّ شَتْرَبَةَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ احْتَالَ لَكَ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ : إِنِ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ فَلَا تَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ مَا أَصَابَ الْقَمْلَةَ مِنَ الْبُرْغُوثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ ! قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قَمْلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ

[١] الهوينا : الرفق واللين

الأغنياءِ دهراً ، فكانت تصيبُ من دمِه وهو نائمٌ لا يشعرُ ، وتدِبُّ دبيباً رفيقاً ، فمكثت كذلك حيناً ، حتّى استضافها ليلةً من الليالي برغوثٌ فقالت له : بتِ الليلةَ عندنا في دمٍ طيّبٍ وفراشٍ ليّنٍ فأقام البرغوثُ عندها ، حتّى إذا آوى الرجلُ إلى فراشه وثب عليه البرغوثُ فلدغه لدغةً أيقظته ، وأطارت النومَ عنه . فقام الرجلُ وأمر أن يفتّش فراشُه ، فنظر فلم يرَ إلّا القملةَ ، فأُخذت فقُصِعت وفرّ البرغوثُ . وإنّما ضربتُ لك هذا المثل لتعلمَ أنّ صاحبَ الشرِّ لا يسلمُ من شرِّه أحدٌ . وإن هو ضعُف عن ذلك جاء الشرُّ بسببه . وإن كنتَ لا تخافُ من شتربة فخفْ غيرَه من جندِك الذين قد حملهم عليك [1] وعلى عداوتِك . فوقع في نفسِ الأسدِ كلامُ دمنة . فقال : ما الذي ترى إذاً ؟ وبماذا تشيرُ ؟ قال دمنةُ : إنّ الضرسَ المكسورَ المأكولَ لا يزالُ صاحبُه منه في ألمٍ وأذى حتّى يفارقه . والطعامُ الذي قد غثت النفسُ عنه وتقلقلت منه ، الراحةُ في قذفه . والعدوُّ المخوفُ دواؤه قتلُه . قال الأسدُ : لقد تركتني أكرهُ مجاورةَ شتربة إيّايَ ، وأنا مرسلٌ إليه ، وذاكرٌ له ما وقع في نفسي

---

١ أي أوغر صدرهم وأثار حقدهم عليك

مِنْهُ ، ثُمَّ آمُرُهُ بِاللَّحَاقِ حَيْثُ أَحَبَّ . فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ فِي ذَلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَ مَا أَتَى بِهِ ، وَاطَّلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقَالَ لِلْأَسَدِ : أَمَّا إِرْسَالُكَ إِلَى شَتْرَبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا . فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ شَتْرَبَةَ مَتَى شَعَرَ بِهَذَا الْأَمْرِ خِفْتُ أَنْ يُعَاجِلَ الْمَلِكَ بِالْمُكَابَرَةِ . وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ فَارَقَكَ فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ مِنْهُ النَّقْصُ . وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعَارُ . مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنْ ذَنْبَهُ . وَلَكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةٌ : فَلِذَنْبِ الْعَلَانِيَةِ عُقُوبَةُ الْعَلَانِيَةِ ، وَلِذَنْبِ السِّرِّ عُقُوبَةُ السِّرِّ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا عَاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظِنَّةٍ ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ بِجُرْمِهِ فَنَفْسَهُ عَاقَبَ ، وَإِيَّاهَا ظَلَمَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا رَأْيَ الْمَلِكِ فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ مِنْهُ غِرَّةٌ أَوْ غَفْلَةٌ ، فَإِنِّي لَا أَحْسَبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ [1] . وَمِنْ عَلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى لَوْنَهُ مُتَغَيِّرًا ، وَتَرَى

---

[1] أي بفعلة شنعاء

أَوْصَالَهُ[1] تُرْعَدُ ، وَتَرَاهُ مُلْتَفِتاً يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَتَرَاهُ يَهُزُّ قَرْنَيْهِ بِفِعْلِ الَّذِي هَمَّ بِالنِّطَاحِ وَالْقِتَالِ . قَالَ الْأَسَدُ : سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ .

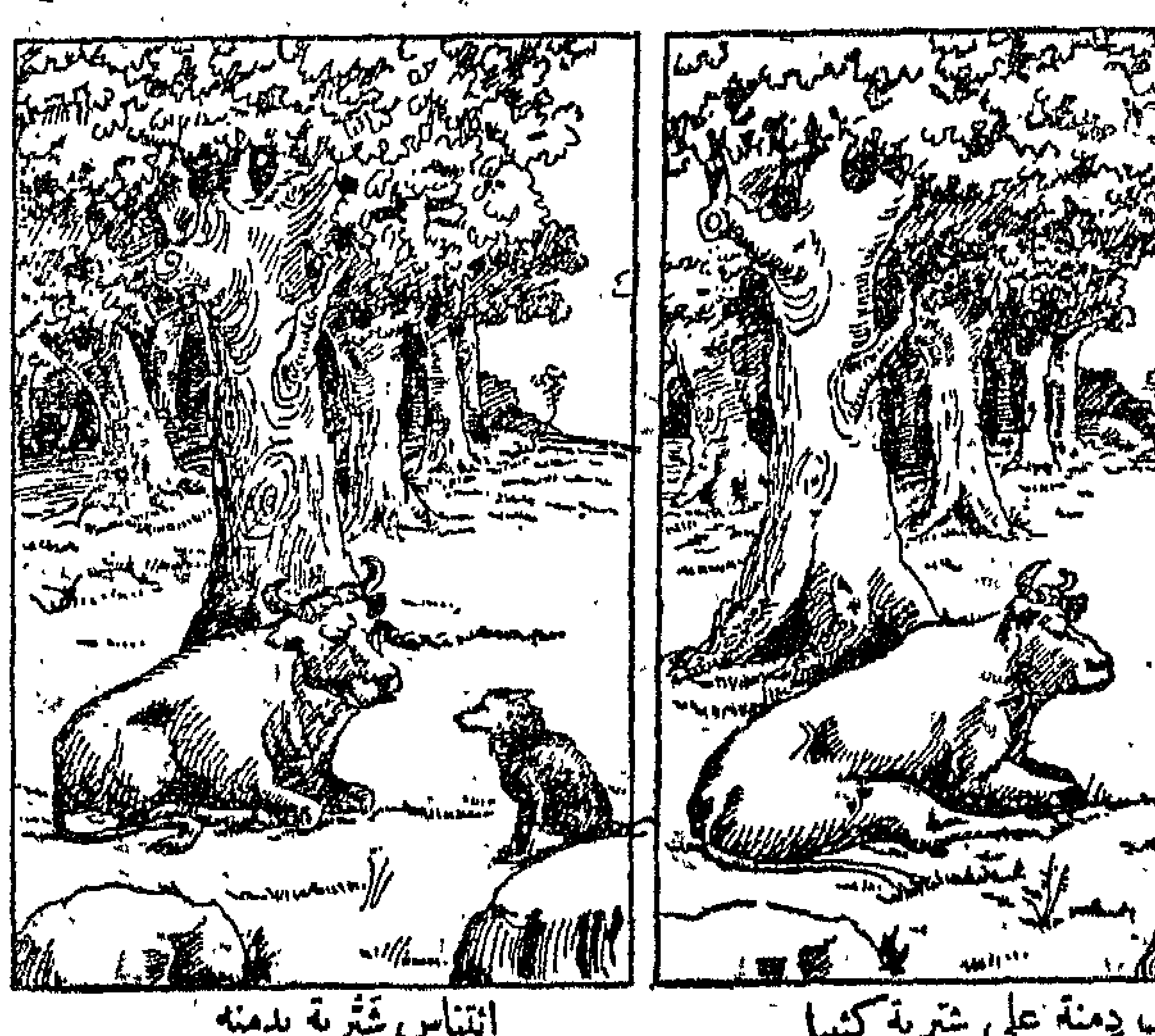
فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ لِلثَّوْرِ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّوْرَ لِيُغْرِيَهُ بِالْأَسَدِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانُهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأَذَّى بِهِ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَلَا آتِي شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ ، لَعَلِّي أَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ ، فَأُطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ . فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ ، فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَالْكَئِيبِ الْحَزِينِ ، فَلَمَّا رَآهُ الثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ : مَا كَانَ سَبَبُ انْقِطَاعِكَ عَنِّي[2] ، فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّكَ فِي سَلَامَةٍ . قَالَ دِمْنَةُ : وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُوثَقُ بِهِ ،

---

[1] الأوصال : الأعضاء أو المفاصل : جمع وصل بكسر الواو

[2] يجوز أن تكون (كان) زائدة وما مبتدأ وسبب خبره ، ويجوز أن تكون ناقصة واسمها يعود على (ما) وسبب خبرها

٣٦



اثتناس شتربة بدمنه — دخول دمنة على شتربة كئيبا

لاَ يَنْفَكُّ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ ! قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي حَدَثَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالَبَ الْقَدَرَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ الأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ [١] ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ مُنَاهُ فَلَمْ يَغْتَرَّ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللِّئَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي خَالَطَ الأَشْرَارَ فَسَلِمَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ الأَمْنُ وَالإِحْسَانُ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلاَمًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ مِنَ الأَسَدِ رَيْبٌ

١ يقال : بطر فلان كفرح : أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة فلم يقم بحقها ، أو طغى بالنعمة

وَهَالَكَ[1] مِنْهُ أَمْرٌ. قَالَ دِمْنَةُ : أَجَلْ[2] ، لَقَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَفِي نَفْسِ مَنْ رَابَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعْلَمُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَيَّ ، وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلَاعِكَ عَلَى مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ . قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْخَبِيرُ الصَّدُوقُ الَّذِي لَا مِرْيَةَ[3] فِي قَوْلِهِ أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ : قَدْ أَعْجَبَنِي سِمَنُ الثَّوْرِ ، وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ . فَأَنَا آكِلُهُ وَمُطْعِمٌ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي هَذَا الْقَوْلُ وَعَرَفْتُ غَدْرَهُ وَنَقْضَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِيَ حَقَّكَ ، وَتَحْتَالَ أَنْتَ لِأَمْرِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ شَتْرَبَةُ كَلَامَ دِمْنَةَ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ ، ظَنَّ أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ ، وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَبِيهٌ بِمَا قَالَ دِمْنَةُ ، فَأَهَمَّهُ ذَلِكَ وَقَالَ : مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدُرَ بِي وَلَمْ آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا ، وَلَا

---

١ هاله الأمر يهوله : أفزعه وعظم عليه ٢ أجل : حرف جواب بمعنى نعم فمعناه التصديق إن وقع بعد الماضي نحو : هل قام محمود ، والوعد إن وقع بعد المستقبل ٣ المرية بالكسر وتضم : الشك والجدل

إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ مُنْذُ صَحِبْتُهُ[1] ، وَلَا أَظُنُّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ بِالْكَذِبِ وَشُبِّهَ عَلَيْهِ أَمْرِي[2] ، فَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمُ سُوءٍ ، وَجَرَّبَ مِنْهُمُ الْكَذِبَ وَأُمُورًا هِيَ تُصَدِّقُ عِنْدَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ رُبَّمَا أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ ، وَحَمَلَتْهُ تَجْرِبَتُهُ عَلَى الْخَطَإِ ، كَخَطَإِ الْبَطَّةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً ، فَحَاوَلَتْ

---

١ أما منذ فهى كمذ ويجوز فيها ضم الميم وكسرها ، ولها ثلاث حالات : (الاولى) أن يليها اسم مجرور ، والصحيح حينئذ أنهما حرفا جر فى هذا المقام . ومعناها (من) إن كان الزمن ماضياً أو فى إن كان الزمن حاضراً ، ويجوز فيهما أن يكونا بمعنى (من) و (الى) اذا كان المجرور معدوداً ، تقول : مارأيته منذ يوم الجمعة ، أومذ يومنا ، أو منذ ثلاثة أيام

(الثانية) أن يليهما اسم مرفوع ومعناهما حينئذ : الأمد إن كان الزمان حاضرا ، أو معدوداً ، وأول المدة إن كان ماضياً ، ويعربان اذاً (على المشهور) مبتدأين وما بعدها خبر ، تقول : ما رأيته منذ يومان ، والمعنى : (الأمد يومان) ويجوز أن يكونا ظرفين مضافين للجملة (وقد حذف فعلها) والتقدير : منذ كان يومان

(الثالثة) أن يليهما الجملة الفعلية أو الاسمية كما فى هذا المقام ، والمشهور حينئذ أن يكونا ظرفين مضافين للجملة ، وهناك آراء غير ما ذكرناه لم نر فيه مسيس حاجة

٢ شبه عليه الأمر بالبناء للمجهول : لُبِّس عليه والتبس بغيره

أَنْ تَصِيدَهَا ، فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ ، فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ فَتَرَكَتْهَا وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ فِيَّ ، فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ وَأَرَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَاءَ صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْخَطَ ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ عَنْ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَاءُ مَوْجُودًا ، وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا . وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ ، لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِهَا كَانَ الرِّضَاءُ مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا [1]

قَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا وَلَا صَغِيرَ ذَنْبٍ وَلَا كَبِيرَهُ . وَلَعَمْرِي مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ . وَلٰكِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقْطَةً نَظَرَ فِيهَا وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطِيئَتِهِ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً . ثُمَّ يَنْظُرُ : هَلْ

---

[1] أصل الورود : ورود الماء ، والصدور : الرجوع عنه .

فِي الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يُخَافُ ضَرَرُهُ وَشَيْنُهُ فَلاَ يُؤَاخِذُ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلاً ؟ . فَإِنْ كَانَ الأَسَدُ قَدِ اعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلاَّ أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ نَصِيحَةً لَهُ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ . وَلاَ أَجِدُ لِي فِي هٰذَا الْمَحْضَرِ إِثْمًا مَا [١] ، لِأَنِّي لَمْ أُخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ مَا قَدْ نَدَرَ مِنْ مُخَالَفَةِ الرُّشْدِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالدِّينِ ، وَلَمْ أُجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحَابِهِ . وَلٰكِنِّي كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلاَمَ الْهَائِبِ الْمُوَقِّرِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنِ الْتَمَسَ الرُّخَصَ [٢] مِنَ الإِخْوَانِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ ، وَمِنَ الأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ أَخْطَأَ مَنَافِعَ الرَّأْيِ ، وَازْدَادَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تَوَرُّطًا ، وَحَمَلَ الْوِزْرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ . فَإِنَّ مُصَاحَبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ وَإِنْ صُوحِبَ بِالسَّلاَمَةِ وَالثِّقَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَبَعْضُ مَا أُوتِيتُ مِنَ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي

---

١ ما هنا : نكرة ناقصة وتسمى الابهامية ومعناها : أي شيء ، وهنا معناها اثمًا أي اثم ٢ الرخص: جمع رخصة وهي اليسر والسهولة ، وفي الشرع ما أقيم على أعذار العباد

فيهِ الْهَلَاكُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا وَلَا هٰذَا فَهُوَ إِذًا مِنْ مَوَاقِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ . وَالْقَدَرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ . وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ الْهَائِجِ . وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى الْحَيَّةِ ذَاتِ الْحُمَةِ مَنْ يَنْزِعُ حُمَتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا . وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْعَاجِزَ حَازِمًا ، وَيُثَبِّطُ الشَّهْمَ ، وَيُوَسِّعُ عَلَى الْمُقْتِرِ [1] ، وَيُشَجِّعُ الْجَبَانَ ، وَيُجَبِّنُ الشُّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعْتَرِيهِ الْمَقَادِيرُ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي وُضِعَتْ عَلَيْهَا الْأَقْدَارُ .

قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْمِيلِ الْأَشْرَارِ وَلَا سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلٰكِنَّهَا الْغَدْرُ وَالْفُجُورُ مِنْهُ [2] ، فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ ، لِطَعَامِهِ حَلَاوَةٌ ، وَآخِرُهُ سُمٌّ مُمِيتٌ . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَأُرَانِي [3] قَدِ اسْتَلْذَذْتُ الْحَلَاوَةَ إِذْ ذُقْتُهَا ، وَقَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ . وَلَوْلَا الْحَيْنُ مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلُ عُشْبٍ . فَأَنَا فِي هٰذِهِ الْوَرْطَةِ كَالنَّحْلَةِ [4]

---

١ المقتر : الفقير ٢ الفجور : الانبعاث فى المعاصى ٣ فأرانى : على صيغة المبنى للمجهول بمعنى : أظننى ٤ النحل : ذباب العسل واحده نحلة ، [illegible] الأزهار والثمرات فاذا ما رأى موضعاً نقياً بنى فيه بيوتاً من

الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ النَّيْلَوْفَرِ [١] إِذْ تَسْتَلِذُّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ ، فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْهَا ، فَتَلِجُ فِيهِ وَتَمُوتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ الَّذِي يُغْنِيهِ ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ [٢] وَلَمْ يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهَا كَانَ كَالذُّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرَةِ وَالرَّيَاحِينِ ، وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ ، فَيَضْرِبُهُ الْفِيلُ بِأُذُنَيْهِ فَيُهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْذُلْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي السِّبَاخِ [٣] . وَمَنْ يُشِرْ عَلَى الْمُعْجَبِ [٤] فَهُوَ كَمَنْ

الشمع ثم بني البيوت التي تأوي فيها ملوكهم ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً ثم تلقي البذر فيما بنته لانه لها بمنزلة العش للطائر، قالوا : فاذا ألقته حضنته كما يحضن الطير فيخرج منه دود أبيض ينهض بعد قليل ويغذي نفسه ثم يطير

١ النيلوفر بفتح النون وكسرها وتبدل لامه نوناً : من النباتات التي تنبت في المياه الراكدة له أصل يشبه أصل الجزر وساقه ملساء تشبه ملاسة البردي ، أما طوله فبحسب عمق الماء لانه لا يورق تحت سطحه فاذا ما طال وساوى سطحه أورق وأزهر . وورقه عريض يقرب من الدائرة . وأما زهره فمتسع له رونق وجمال . ولفظه ليس بعربي

٢ طمح بصره الى الشيء كقطع طمحا وطموحا وطماحا بالكسر : ارتفع نظره شديداً

٣ السباخ من الأرض: ما لم يحرث ولم يعمر

٤ أعجب الرجل (مبنيا للمجهول) بنفسه وبما عنده : زها واستكبر وكان ذا عجب بالضم

يُشَاوِرُ الْمَيِّتَ أَوْ يُسَارُّ الْأَصَمَّ[1] . قَالَ دِمْنَةُ : دَعْ عَنْكَ هٰذَا الْكَلَامَ وَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي مَعَ مَا عَرَّفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ ؟ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ . فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَكَرَةُ الظَّلَمَةُ عَلَى الْبَرِيءِ الصَّحِيحِ كَانُوا خُلَقَاءَ أَنْ يُهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ : كَمَا أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى الْجَمَلَ حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيَانَةِ[2] . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

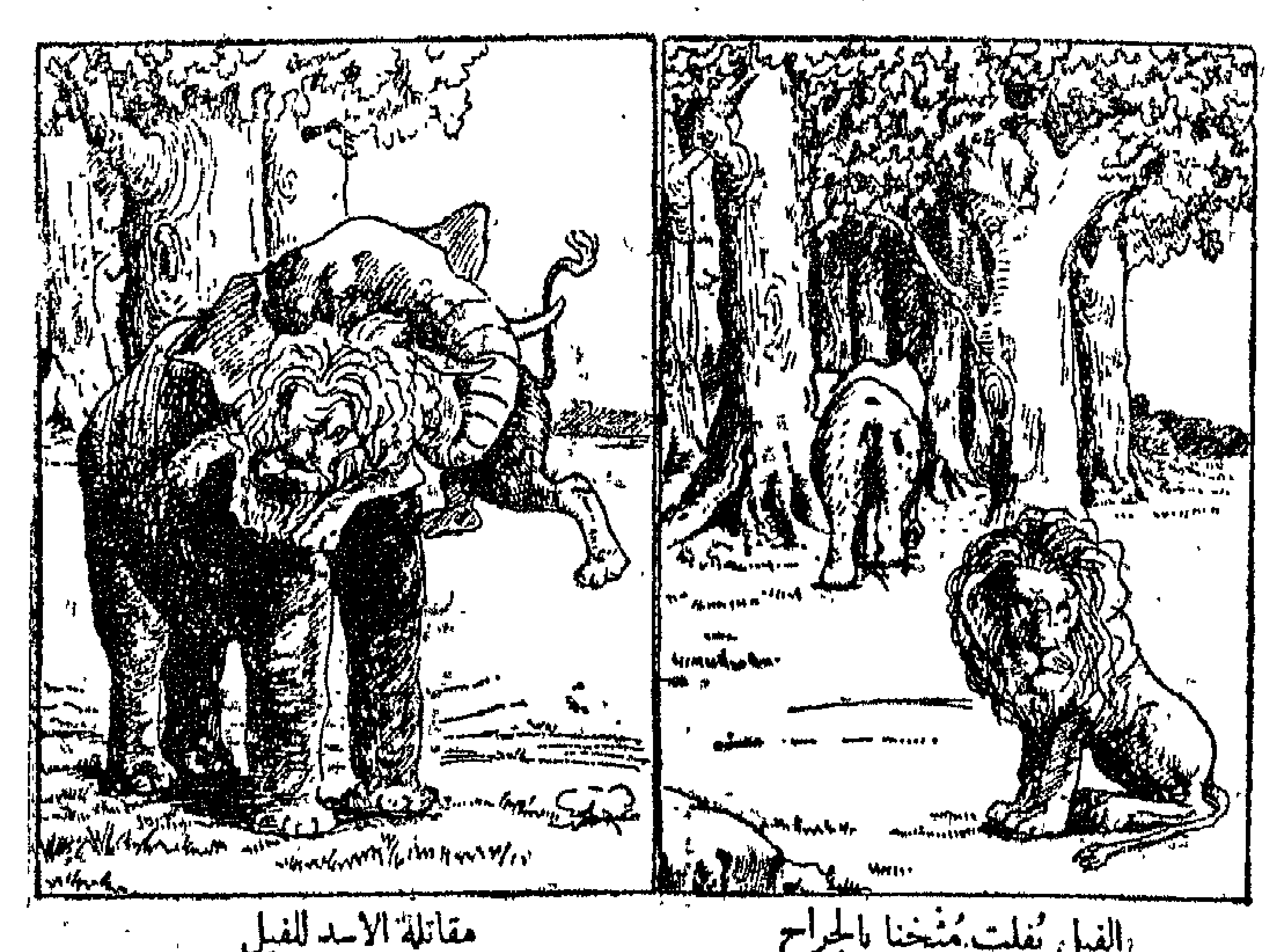
قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ ، وَغُرَابٌ ، وَابْنُ آوَى ، وَأَنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ ، فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ .

---

[1] الأصم : ذو الصمم وهو الذي لا يسمع . وساره : ناجاه .

[2] تقدم شرح الذئب وابن آوى ، وأما الجمل : فهو الحيوان المعروف ويتنوع الى نوعين : ذو السنامين ويسمى البقطرياني ،

٣٧



مقاتلة الأسد للفيل — الفيل يفلت مثخنا بالجراح

قَالَ : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمَلُ مَعَهُ زَمَنًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْخَنًا بِالْجِرَاحِ [١] يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ الْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ [٢] فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى

والجمل العربي وله سنام واحد . والهجين ضرب كريم منه وهو يصبر على العطش كثيراً ١ مثقلا بمعنى ثقيلا من كثرة ما أصابه . ويقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته ٢ الأنياب : جمع ناب (مؤنثا) هي السن خلف الرباعية وكذلك يجمع على أنيب ونيوب وأنابيب

أَيَّامًا لا يَجِدُونَ طَعَامًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلاتِ الأَسَدِ وَطَعَامِهِ ، فَأَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُزَالٌ وَعَرَفَ الأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَقَدْ جَهِدْتُمْ ١ وَاحْتَجْتُمْ إِلى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : لَا تُهِمُّنَا أَنْفُسُنَا ، لٰكِنَّا نَرَى المَلِكَ عَلى مَا نَرَاهُ ، فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الأَسَدُ : مَا أَشُكُّ فِي نَصِيحَتِكُمْ ، وَلٰكِنِ انْتَشِرُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونِي بِهِ ، فَيُصِيبُنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ آوى مِنْ عِنْدِ الأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً ، وَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهٰذَا الآكِلِ العُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا ! وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا ! أَلَا نُزَيِّنُ لِلأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ ، وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ آوى : هٰذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلأَسَدِ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الجَمَلَ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ عَهْدًا . قَالَ الغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الأَسَدِ ، فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : هَلْ أَصَبْتَ شَيْئًا ؟ قَالَ الغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنَ الجُوعِ .

---

١ يقال جهد كسمع جهداً : سكد واشتد ، ويقال جهد بالبناء للمفعول : غم ومنه قولهم : (أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً)

وَلَـكِنْ قَدْ وُفِّقْنَا لِرَأْيٍ وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ وَافَقَنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هٰذَا الْجَمَلُ آكِلُ الْعُشْبِ ، الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ ، وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ ، وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيَكَ ! وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذَا الْخِطَابِ ، مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي[1] . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ ! أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ آمَنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مُهْدَرًا ! وَقَدْ آمَنْتُهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَـكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ، وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ، وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَاءُ الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ[2] ، وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرَ

---

١ أي جعلت له عهداً من ذمتي فحذف المفعول للعلم به

٢ على حرف جر ومعناها هنا الاستدراك والاضراب وهي والصدر المجرور بها تعرب خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : والتد...

بِهِ أَحَدًا، وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ[1] فِيهَا إِصْلَاحٌ وَظَفَرٌ.
فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هٰذَا الْخِطَابِ، فَلَمَّا
عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ
كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ
عِنْدَ الْأَسَدِ، فَنَذْكُرَ مَا أَصَابَهُ، وَنَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا
بِأَمْرِهِ، وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ، وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا
نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلًا لِيَأْكُلَهُ، فَيَرُدُّ الْآخَرَانِ عَلَيْهِ، وَيُسَفِّهَانِ
رَأْيَهُ، وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ. فَإِذَا فَعَلْنَا ذٰلِكَ سَلِمْنَا
كُلُّنَا، وَرَضِيَ الْأَسَدُ عَنَّا. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ، وَتَقَدَّمُوا
إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ الْغُرَابُ. قَدِ احْتَجْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — إِلَى
مَا يُقَوِّيكَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ، فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ، فَإِذَا
هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ
خِيَرَةٍ، فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ، فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْسًا. فَأَجَابَهُ الذِّئْبُ
وَابْنُ آوَى أَنِ اسْكُتْ[2]، فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ، وَلَيْسَ فِيكَ
شِبَعٌ. قَالَ ابْنُ آوَى: لٰكِنْ أَنَا أُشْبِعُ الْمَلِكَ، فَلْيَأْكُلْنِي،

---

١ الضمير هنا يعود الى الملك لا الجمل . . . على ألا يتكلف الملك ذلك

٢ أن هنا هي ما تسمى المفسرة لانها وقعت بعد ما فيه معنى القول وهو فأجابه

فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ، وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا، فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا: إِنَّكَ لَمُنْتِنٌ قَذِرٌ. قَالَ الذِّئْبُ: إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ، فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَلِكَ، وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا. فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى، وَقَالَا: قَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ: مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ. فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ الْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا الْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْأَعْذَارَ، فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ بِذَلِكَ، وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ. فَقَالَ: لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ، وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيٌّ، وَبَطْنِي نَظِيفٌ، فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي عَنْهُ، وَسَمَحْتُ بِهِ. فَقَالَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى: لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرُمَ، وَقَالَ مَا عَرَفَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ.

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَسَدِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي، فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلَا أَحْتَرِسَ، وَإِنْ كَانَ رَأْيُ الْأَسَدِ لِي عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فِيَّ فَلَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ، وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا. وَقَدْ يُقَالُ: خَيْرُ السَّلَاطِينِ مَنْ عَدَلَ فِي النَّاسِ. وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي إِلَّا الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ لَغَيَّرَتْهُ كَثْرَةُ

٣٨



يأتمرون بالجمل ليعرض نفسه



وثبتهم على الجمل وتمزيقه

الأَقَاوِيلِ ، فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ لَمْ تَلْبَثْ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ الرِّقَّةَ وَالرَّأْفَةَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ كَالقَوْلِ ، وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ . فَالْمَاءُ إِذَا دَامَ انْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَلْبَثْ حَتَّى يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ الْآنَ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ : مَا أَرَى إِلَّا الْاجْتِهَادَ وَالْمُجَاهَدَةَ بِالْقِتَالِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ ، وَلَا لِلْمُتَصَدِّقِ فِي صَدَقَتِهِ ، وَلَا لِلْوَرِعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا كَانَتْ مُجَاهَدَتُهُ عَلَى الْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ . وَلَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلٌ الْقِتَالَ آخِرَ الْحِيَلِ ، وَبَادِئٌ قَبْلَ ذَلِكَ

بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ [1] ، وَقَدْ قِيلَ : لَا تَحْقِرَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ الْمَهِينَ [2] ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ وَيَقْدِرُ عَلَى الأَعْوَانِ ، فَكَيْفَ بِالأَسَدِ عَلَى جَرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ ؟ ! فَإِنَّ مَنْ حَقَّرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكِيلَ الْبَحْرِ [3] مِنَ الطِّيطَوَى [4]

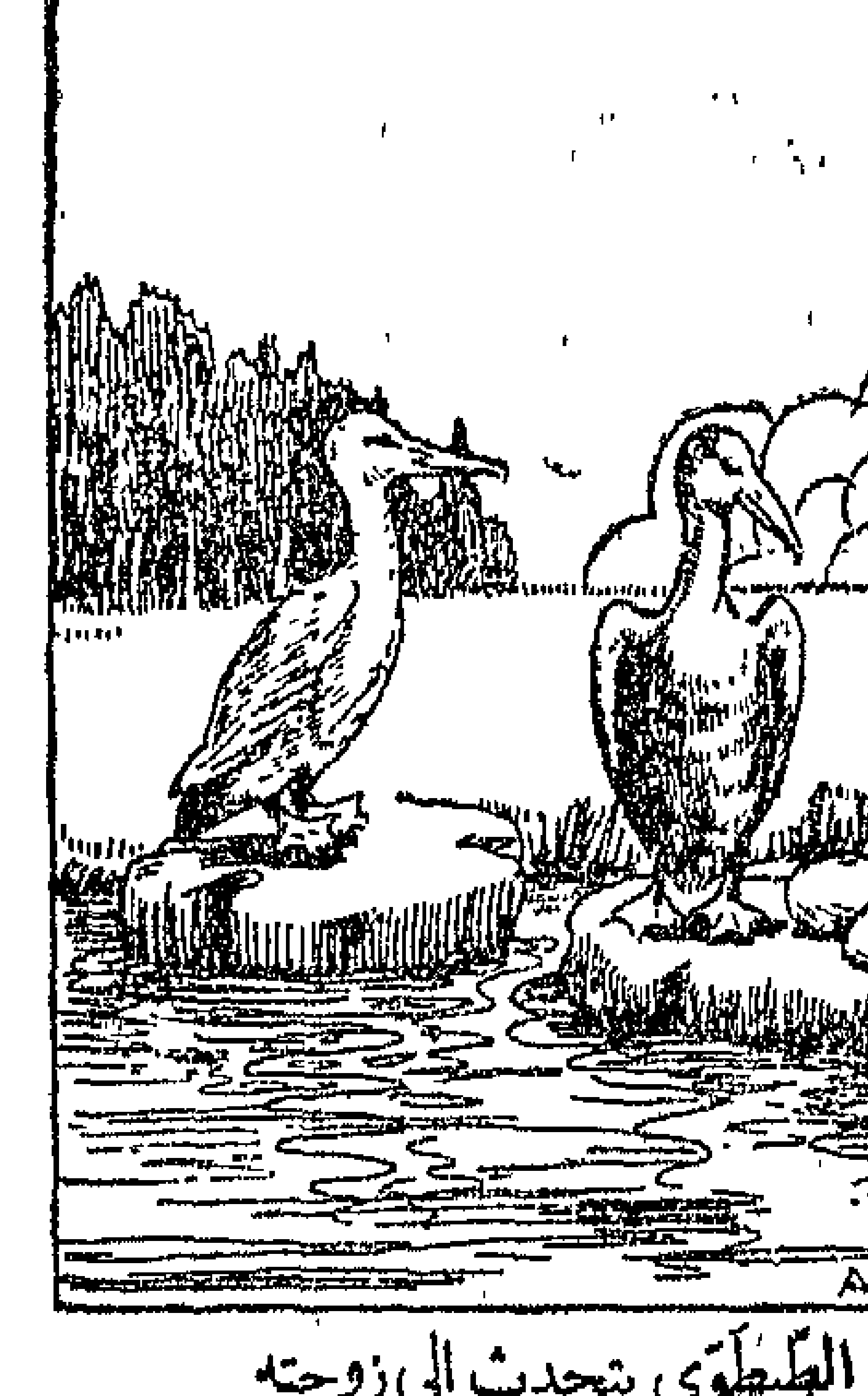
قَالَ شَتْرَبَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ الطِّيطَوَى كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جَاءَ أَوَانُ تَفْرِيخِهِمَا قَالَتِ الأُنْثَى لِلذَّكَرِ : لَوِ الْتَمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا نُفَرِّخُ فِيهِ ، فَإِنِّي أَخْشَى مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ إِذَا مَدَّ الْمَاءُ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاخِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِخِي مَكَانَكِ ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا وَالْمَاءُ وَالزَّهَرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ ! لِيَحْسُنْ نَظَرُكَ فَإِنِّي أَخَافُ وَكِيلَ الْبَحْرِ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاخِنَا . فَقَالَ لَهَا :

---

١ التمحل : طلب الشيء بحيلة وتكلف ٢ المهين : الحقير
٣ وكيل البحر ، وفي بعض النسخ الموكل بالبحر ، يؤخذ من سياق المثل أنه حيوان بحري أو خرافي لا وجود له ٤ الطيطوى : من الطيور التي لا تفارق الآجام والمياه لانه لا ينال قوته إلا في شاطىء الغياض والآجام من دود نتن . وقيل يطمئن هذا الطائر ويصيح ولا ينفر من موضعه إلا اذا طلبه البازي فيهرب ، فاذا كان في الليل صاح وأما في النهار فيكمن في الحشيش ولا يصيح

٣٩



الطيطوى يتحدث الى زوجته

وكيل البحر يتناول فراخ الطيطوى

أَفْرِخِي مَكَانَكِ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدَّ تَعَنُّتَكَ ! أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ وَتَهَدُّدَهُ إِيَّاكَ ! أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ ؟ ! فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلَحْفَاةَ [1] حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَّتَيْنِ . قَالَ الذَّكَرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

---

١ السلحفاة بضم ففتحتين بينهما سكون وقد تكسر السين وقد تحذف التاء : كلمة معربة عن الفارسية ومعناها : دابة من جنس الزواحف . وهي أنواع ثلاثة : برية ، ونهرية ، وبحرية . وأشهر أنواعها النهرية أو الرخوة . درقتها منبطحة رقيقة بيضية الشكل وناقصة نقصاً

٤٠



البطتان والسلحفاة



سقوط السلحفاة وموتها

قَالَتِ الأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ ، وَكَانَ فِيهِ بَطَّتَانِ وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّتَيْنِ مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ ، فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ذَلِكَ الْمَاءُ ، فَجَاءَتِ الْبَطَّتَانِ لِوَدَاعِ السُّلَحْفَاةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكِ ، فَإِنَّنَا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هٰذَا الْمَكَانِ لِأَجْلِ نُقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ إِنَّمَا يَبِينُ نُقْصَانُ الْمَاءِ عَلَى مِثْلِي ، فَإِنِّي كَأَنِّي السَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ . فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا ، فَاذْهَبَا

....

عظما . والسلحفاة معطاة بجلد قاس متين . وعنقها طويل لين ورأسها مخروطى جلدى طويل ، قوائمها قصيرة عريضة وقوية وهى ذات خمس أصابع متلاصقة تلاصقا تاما

بِي مَعَكُمَا . قَالَتَا لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمْلِي؟ قَالَتَا : نَأْخُذُ بِطَرَفَيْ عُودٍ وَتَتَعَلَّقِينَ بِوَسَطِهِ ، وَنَطِيرُ بِكِ فِي الْجَوِّ . وَإِيَّاكِ إِذَا سَمِعْتِ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ أَنْ تَنْطِقِي . ثُمَّ أَخَذَتَاهَا وَطَارَتَا بِهَا فِي الْجَوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَ بَطَّتَيْنِ قَدْ حَمَلَتَاهَا ! فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ : فَقَأَ اللهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ! فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بِالنُّطْقِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ . قَالَ الذَّكَرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكِ فَلَا تَخَافِي وَكِيلَ الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءُ ذَهَبَ بِفِرَاخِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُنْثَى : قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ أَنَّ هٰذَا كَائِنٌ . قَالَ الذَّكَرُ : سَوْفَ أَنْتَقِمُ مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ أَخَوَاتِي وَثِقَاتِي ، فَأَعِنَّنِي . قُلْنَ : مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ؟ قَالَ : تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ ، وَنَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنَا فَأَعِنَّنَا ، فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ[1] هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا ، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى

---

[1] العنقاء : من الطيور التى بلغ الخلف فيها غايته . فمن الناس من جعلها طيراً غريباً يبيض بيضاً كالجبال . وزعم القزوينى أنها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفار فاذا طارت سمع لأجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف وتعيش مائتى سنة ثم أطال فى وصفها . وذكر أرسطاليس أنها تصاد فيصنع من مخالبها القداح

٤١



الطيطوى يستنجد بالعنقاء



وكيل البحر يفر من العنقاء وجماعة الطير

نَصِيحَ بِهَا ، فَتَظْهَرَ لَنَا فَنَشْكُوَ إِلَيْهَا مَا نَالَكَ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ ، وَنَسْأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا . ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ الطَّيْطَوَى فَاسْتَغَثْنَهَا وَصِحْنَ بِهَا ، فَتَرَاءَتْ لَهُنَّ ، فَأَخْبَرْنَهَا بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَهَا أَنْ تَسِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةِ وَكِيلِ الْبَحْرِ . فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ الطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، فَرَدَّ فِرَاخَ الطَّيْطَوَى وَصَالَحَهُ ، فَرَجَعَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ

....

للشرب تخطف الثور وهى من أعظم سباع الطير . وقيل سميت العنقا لطول عنقها أو ابياض كان فى عنقها كالطوق . ويقول الزمخشرى : إن العنقاء قد انقطع نسلها فلا توجد اليوم فى الدنيا . وهلم جرا الى آخر ما جاء من الاختلاف فيها مما لا نجنى منه غير الجهد والاعنات .

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهٰذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ مَعَ الْأَسَدِ لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ ، وَلَا نَاصِبٍ لَهُ الْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً ، وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَبْدُوَ لِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبَهُ . فَكَرِهَ دِمْنَةُ قَوْلَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرَ مِنَ الثَّوْرِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ اتَّهَمَهُ وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . فَقَالَ دِمْنَةُ لِشَتْرَبَةَ : اذْهَبْ إِلَى الْأَسَدِ ، فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : وَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ مُقْعِيًا عَلَى ذَنَبِهِ ، رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ ، مَادًّا بَصَرَهُ نَحْوَكَ ، قَدْ صَرَّ أُذُنَيْهِ ، وَفَغَرَ فَاهُ ، وَاسْتَوَى لِلْوَثْبَةِ . قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنْ رَأَيْتُ هٰذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ . ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ وَالثَّوْرِ عَلَى الْأَسَدِ تَوَجَّهَ إِلَى كَلِيلَةَ . فَلَمَّا الْتَقَيَا قَالَ كَلِيلَةُ : إِلَامَ انْتَهَى عَمَلُكَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفَرَاغِ عَلَى مَا أُحِبُّ وَتُحِبُّ . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ انْطَلَقَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا قِتَالَ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ ، وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، وَيُعَايِنَا مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَتْرَبَةُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَرَآهُ مُقْعِيًا


شتربة يدخل على الأسد فيتوسم فيه الشر


قتال الأسد والثور

كما وصفه له دمنة . فقال : ما صاحب السلطان إلا كصاحب الحية التي في مبيته ومقيله ، فلا يدري متى تهيج به . ثم إن الأسد نظر إلى الثور ، فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة . فلم يشك أنه جاء لقتاله ، فواثبه ، ونشأت بينهما الحرب ، واشتد قتال الثور والأسد وطال ، وسالت بينهما الدماء . ولما رأى كليلة أن الأسد قد بلغ منه ما قد بلغ قال لدمنة : أيها الفسل[1] ما أنكر جهلتك وأسوأ عاقبتك في

---

[1] الفسل بالفتح : الضعيف الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد ، وبالكسر : الأحمق

تَدْبِيرِكَ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : جُرِحَ الأَسَدُ وَهَلَكَ الثَّوْرُ . وَإِنَّ أَخْرَقَ الْخُرْقِ مَنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ سَبِيلًا. وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ الْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا ، فَمَا رَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَمَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا انْحَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا . فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ تُحْسِنِ الْعَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لَا تَضُرُّ بِالْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ ؟ وَقَدْ قِيلَ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ ، وَلَا فِي الْفِقْهِ إِلَّا مَعَ الْوَرَعِ ، وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ ، وَلَا فِي الْمَالِ إِلَّا مَعَ الْجُودِ ، وَلَا فِي الصِّدْقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ ، وَلَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا مَعَ الصِّحَّةِ ، وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيْشَ ، وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ طَيْشًا ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَرًا ، وَيَزِيدُ الْخُفَّاشَ[1] سُوءَ النَّظَرِ

---

[1] الخفاش بضم فتشديد : واحد الخفافيش التي تطير في الليل ويسمى أيضاً خفاشاً ووطواطاً . ولما كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قبيل غروب

وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئاً سَمِعْتُهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا كَانَ صَالِحاً وَوُزَرَاؤُهُ وُزَرَاءَ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ : وَمَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْمَاءِ الطَّيِّبِ الَّذِي فِيهِ التَّمَاسِيحُ [١] لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ وَإِنْ

الشمس اذ يكون وقت هيجان البعوض فيخرج الخفاش طالباً للطعام . قالوا وقد عد من الحيوانات اذ كان ذا أذنين واسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطير ويبول كما تبول ذوات الاربع ويرضع ولده . وهو أعجب الطير حلقة لانه لحم ودم يطير بغير ريش شديد الطيران سريع التقلب موصوف بطول العمر حتى ليقال إنه أطول عمراً من النسر وحمار الوحش . وقد تلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة ، وكثيراً ما يسفد وهو طائر فى الهواء . وكذلك يحمل أولاده تحت جناحيه وربما قبض على ولده بفيه لشدة حنوه وإشفاقه عليه . وربما أرضعت الأنثى ولدها وهى طائرة . والخفاش أسرتان : إحداهما تأكل النبات والثانية تأكل الهوام

١ التمساح : حيوان قوى كاسر يسطو أحياناً على الانسان . غير أنه قليل الانتشار . وهو يألف الأقطار الشديدة الحرارة فيقيم بالأنهار والبحيرات العذبة المياه ويخرج كثيراً يقصد الصيد والتغذى . وسيره سريع جداً غير أنه يزحف على خط مستقيم وبدلك تستطيع طرائده أن تنجو منه أحيانا .

وعذاؤه غالبا اللحم ولا سيا لحم الاسماك . ويصطاد أحيانا الطيور المائية وكذلك الحيوانات الثديية الصغيرة ولا يهجم على الانسان إلا نادراً . ولا يستطيع أن يزدرد طعامه فى الماء وهو مع ذلك يأخذ صيده اليه فيخبئه فى شق أو حفرة حتى ينتن .

كَانَ إِلَى المَاءِ مُحْتَاجًا . وَأَنْتَ يَادِمْنَةُ أَرَدْتَ أَلَّا يَدْنُوَ مِنَ الأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ ، وَهٰذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا ، وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ : إِنَّ الْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ ، وَالسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ . وَمِنَ الحُمْقِ الْحِرْصُ عَلَى الْتِمَاسِ الْإِخْوَانِ بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ ، وَطَلَبِ الْآخِرَةِ بِالرِّيَاءِ . وَنَفْعِ النَّفْسِ بِضَرِّ الْغَيْرِ ، وَمَا عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَا تُعَالِجْ تَأْدِيبَ مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ ، فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا ؛ فَلَمْ يَجِدُوا ، فَرَأَوْا يَرَاعَةً [1] تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ ، فَظَنُّوهَا نَارًا ، وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا ، فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا ، وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ [2] بِهَا مِنَ الْبَرْدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتْعَبُوا ، فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ

---

١ اليراعة : طائر صغير يكون كسائر الطيور اذا كان النهار حتى اذا جاء الليل رأيته كالشهاب الثاقب ٢ أى يستدفئون بها

مِنهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمَانِعَ[1] الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ ، لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ ، وَالعُودَ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ ، فَلَا تَتْعَبْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ الْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ الْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَمَاتَ . فَهَذَا مَثَلِي مَعَكَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخِبُّ[2] وَالْفُجُورُ ، وَهُمَا خَلَّتَا سُوءٍ ، وَالْخَبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهَذَا مَثَلٌ . قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَلِكَ الْمَثَلُ ؟ !

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا وَمُغَفَّلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ ، وَسَافَرَا . فَبَيْنَمَا[3] هُمَا فِي الطَّرِيقِ إِذْ تَخَلَّفَ الْمُغَفَّلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كِيساً فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ ، فَأَحَسَّ بِهِ الْخَبُّ ، فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا . حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاقْتِسَامِ الْمَالِ ، فَقَالَ الْمُغَفَّلُ : خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكَانَ الْخَبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ جَمِيعِهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا نَقْتَسِمُ . فَإِنَّ الشَّرِكَةَ

---

١ المانع : الصلد ٢ الخب بالفتح والكسر : الغش والخبث والخداع أما الرجل الخداع فالفتح فيه أفصح من الكسر ٣ «ما» في بينما : زائدة وهى أحد أنواع ما الكافة عن الجر

٤٣



المكار والمغفل يدفنان المال



المكار يبرأ والمغفل يلطم وجهه

وَالْمُفَاوَضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ. وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا ، وَنَدْفِنُ الْبَاقِيَ فِي أَصْلِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ ، فَإِذَا احْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهُ يَسِيرًا ، وَدَفَنَا الْبَاقِيَ فِي أَصْلِ دَوْحَةٍ ، وَدَخَلَا الْبَلَدَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَبَّ خَالَفَ الْمُغَفَّلَ إِلَى الدَّنَانِيرِ ، فَأَخَذَهَا ، وَسَوَّى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ ، وَجَاءَ الْمُغَفَّلُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِأَشْهُرٍ . فَقَالَ لِلْخَبِّ : قَدِ احْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَانْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا . فَقَامَ الْخَبُّ مَعَهُ ، وَذَهَبَا إِلَى الْمَكَانِ ، فَحَفَرَا ، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا ، فَأَقْبَلَ الْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ

يَلْطِمُهُ ، وَيَقُولُ : لاَ تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ : خَالَفَنِي إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا . فَجَعَلَ الْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا . وَلاَ يَزْدَادُ الْخَبُّ إِلاَّ شِدَّةً فِي اللَّطْمِ ، وَقَالَ : مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ ، وَهَلْ شَعَرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ ! ثُمَّ طَالَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا . فَتَرَافَعَا إِلَى الْقَاضِي ، فَاقْتَصَّ الْقَاضِي قِصَّتَهُمَا ؛ فَادَّعَى الْخَبُّ أَنَّ الْمُغَفَّلَ أَخَذَهَا ، وَجَحَدَ الْمُغَفَّلُ[1] . فَقَالَ لِلْخَبِّ : أَلَكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتِ الدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْمُغَفَّلَ أَخَذَهَا . وَكَانَ الْخَبُّ قَدْ أَمَرَ أَبَاهُ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى فِي الشَّجَرَةِ ، بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَتْ أَجَابَ . فَذَهَبَ أَبُو الْخَبِّ فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ الْخَبِّ أَكْبَرَهُ[2] ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَالْخَبُّ وَالْمُغَفَّلُ مَعَهُ ، حَتَّى وَافَى الشَّجَرَةَ . فَسَأَلَهَا عَنِ الْخَبَرِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا : نَعَمْ ! الْمُغَفَّلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ . فَدَعَا بِحَطَبٍ ، وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النِّيرَانُ ، فَاسْتَغَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلاَكِ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ الْقِصَّةِ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَأَوْقَعَ بِالْخَبِّ ضَرْبًا وَبِأَبِيهِ صَفْعًا ، وَأَرْكَبَهُ

---

١ أنكر ولم يعترف ٢ أكبره : أعظمه واستغربه

٤٤



ابو المكار يستخرج من الشجرة



المكار يطاف به مشهورا والقاضي يصفع اباه

مَشْهُورًا . وَغَرِمَ الْخَبُّ الدَّنَانِيرَ ، فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا الْمُغَفَّلَ .
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخِبَّ وَالْخَدِيعَةَ رُبَّمَا
كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ الْمَغْبُونَ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخِبِّ
وَالْخَدِيعَةِ وَالْفُجُورِ وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ ، مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ
بِنَاجٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ . وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ
الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبِحَارِ . وَصَلَاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ
فِيهِمُ الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ
الَّتِي فِيهِمَا السُّمُّ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُمِّهَا [1] . وَإِنِّي

---

١ الكاف هنا : اسم بمعنى مثل ، أي قد يجرى من لسانك مثل

لَمْ أَزَلْ لِذَلِكَ السُّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا ، وَلِمَا حَلَّ بِكَ مُتَوَقِّعًا.
وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ يُرَبِّيهَا الرَّجُلُ
وَيُطْعِمُهَا ، وَيَمْسَحُهَا ، وَيُكْرِمُهَا ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ
اللَّدْغِ . وَقَدْ يُقَالُ : الْزَمْ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ ، وَاسْتَرْسِلْ
إِلَيْهِمَا ، وَإِيَّاكَ وَمُفَارَقَتَهُمَا . وَاصْحَبِ الصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلًا
كَرِيمًا ، أَوْ عَاقِلًا غَيْرَ كَرِيمٍ ، فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ ،
وَالْعَاقِلَ غَيْرَ الْكَرِيمِ اصْحَبْهُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ [1] .
وَاحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ ، وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ . وَالْكَرِيمَ غَيْرَ
الْعَاقِلِ الْزَمْهُ ، وَلَا تَدَعْ مُوَاصَلَتَهُ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ ،
وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ ، وَانْفَعْهُ بِعَقْلِكَ . وَالْفِرَارَ [2] كُلَّ الْفِرَارِ مِنَ
اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ . وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ ، وَكَيْفَ يَرْجُو
إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوُدًّا ؟ ! وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ الَّذِي
أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ . وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ التَّاجِرِ الَّذِي
قَالَ : إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِائَةَ مَنٍّ [3] حَدِيدًا ، لَيْسَ
بِمُسْتَنْكَرٍ عَلَى بُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ الْأَفْيَالَ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ
كَانَ ذَلِكَ ؟ !

---

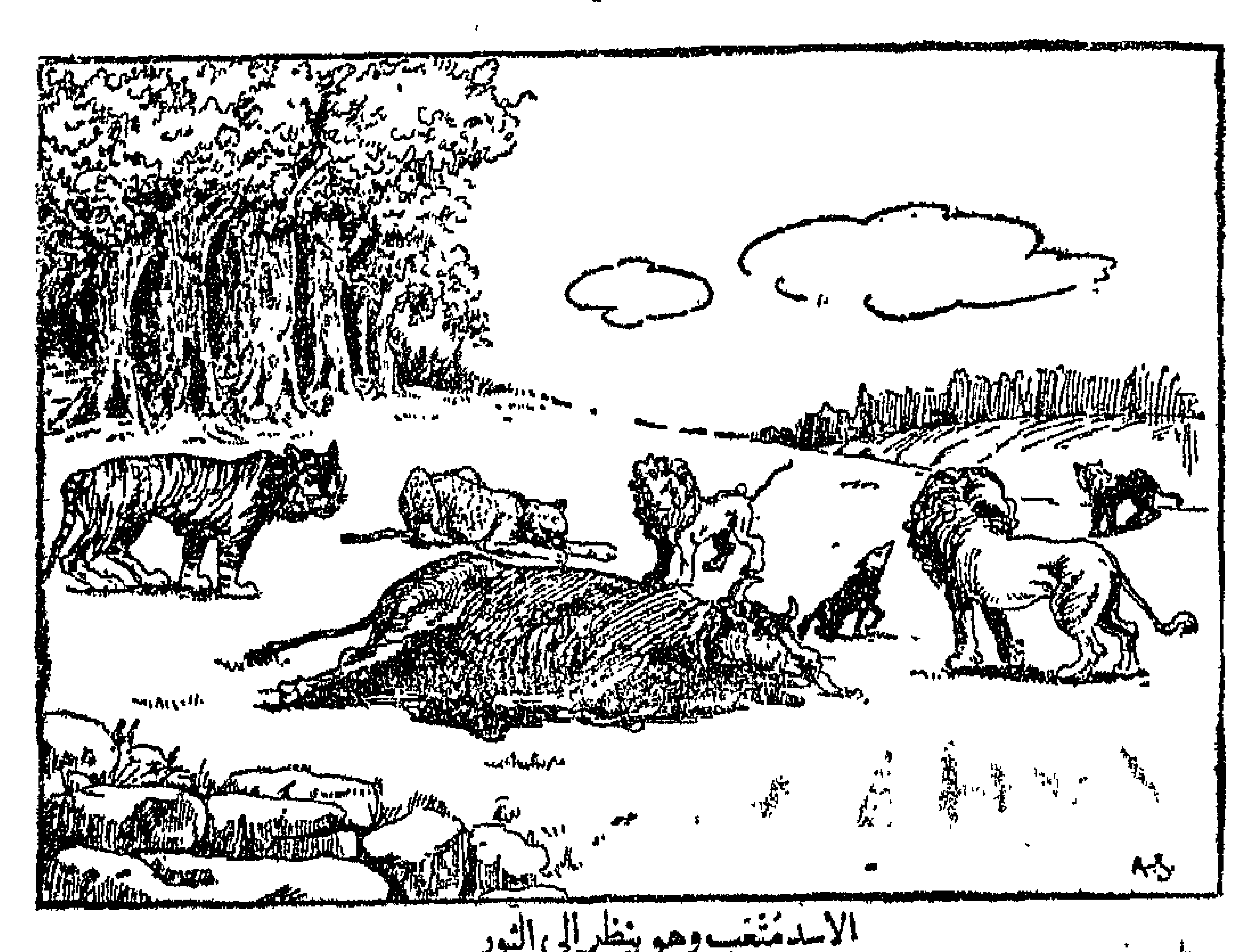
[1] الخليقة : الطبيعة والخلق سمها وتقع فى الشعر والنثر

[2] منصوب على التحذير : أى الزم الفرار [3] المن : رطلان

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ ، فَأَرَادَ الخُرُوجَ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ مَنٍّ حَدِيدًا . فَأَوْدَعَهَا رَجُلاً مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ فَجَاءَ وَالْتَمَسَ الْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَكَلَتْهُ الجِرْذَانُ . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرِحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَادَّعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ابْنًا لِلرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مِنَ الغَدِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا[1] قَدِ اخْتَطَفَ صَبِيًّا . وَلَعَلَّهُ ابْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُزَاةَ تَخْطَفُ الصِّبْيَانَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِائَةَ مَنٍّ حَدِيدًا لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا الْفِيَلَةَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنَا أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهٰذَا ثَمَنُهُ ، فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا غَدَرْتَ

---

١ البازى : من كواسر الطير ، وأنواعه كثيرة وكلها قوية الطيران سريعة تحوم على صيدها وتنقض عليه انقضاضاً مستقيماً ، وهى تصطاد فى الغالب العصافير وصغار ذوات الاربع



الاسد متعب وهو ينظر الى الثور

بِصَاحِبِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّكَ بِمَنْ سِوَاهُ أَغْدَرُ . وَأَنَّهُ إِذَا صَاحَبَ أَحَدٌ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ . فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ ، وَحِبَاءٍ يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ ، وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ ، فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ ، وَصُحْبَةَ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ : كَالرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطِّيبِ حَمَلَتْ طِيبًا ، وَإِذَا مَرَّتْ بِالنَّتْنِ حَمَلَتْ نَتْنًا ، وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ . فَانْتَهَى كَلِيلَةُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ . وَقَدْ فَرَغَ الْأَسَدُ مِنَ الثَّوْرِ ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي

قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ، وَذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَقَالَ: لَقَدْ فَجَعَنِي شَتْرَبَةُ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ، وَمَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ. فَحَزِنَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةُ. فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ، فَقَالَ لَهُ: لِيَهْنِئْكَ الظَّفَرُ إِذْ أَهْلَكَ اللهُ أَعْدَاءَكَ! فَمَاذَا يُحْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ؟. قَالَ: أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَتْرَبَةَ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ. قَالَ لَهُ دِمْنَةُ: لَا تَرْحَمْهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَرْحَمُ مَنْ يَخَافُهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ الْحَازِمَ رُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ وَكَرِهَهُ، ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكِفَايَةِ، فِعْلَ الرَّجُلِ الْمُتَكَارِهِ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّنِيعِ رَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ. وَرُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصَاهُ وَأَهْلَكَهُ مَخَافَةَ ضَرَرِهِ، كَالَّذِي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ، فَيَقْطَعُهَا وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ. فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِقَوْلِ دِمْنَةَ. ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَذِبِهِ وَغَدْرِهِ وَفُجُورِهِ. فَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ.

(انتهى باب الأسد والثور)

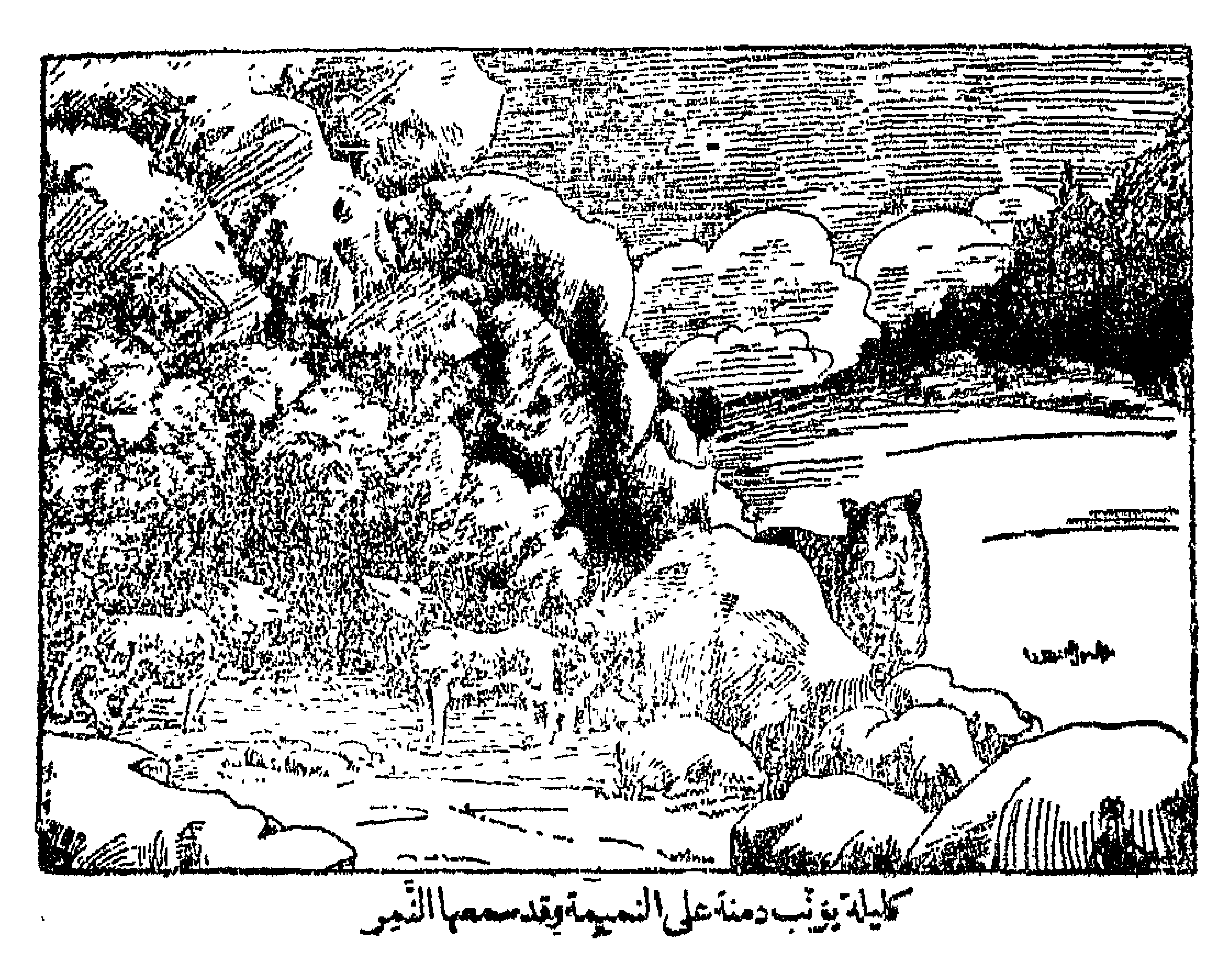
الفحص عن أمر دمنة

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ حَدَّثْتَنِي عَنِ الْوَاشِي الْمَاهِرِ الْمُحْتَالِ ، كَيْفَ يُفْسِدُ بِالنَّمِيمَةِ الْمَوَدَّةَ الثَّابِتَةَ بَيْنَ الْمُتَحَابَّيْنِ ، فَحَدِّثْنِي حِينَئِذٍ بِمَا كَانَ مِنْ حَالِ دِمْنَةَ ، وَمَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ قَتْلِ شَتْرَبَةَ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ وَأَصْحَابِهِ حِينَ رَاجَعَ الْأَسَدُ رَأْيَهُ فِي الثَّوْرِ[1] وَتَحَقَّقَ النَّمِيمَةَ مِنْ دِمْنَةَ ، وَمَا كَانَتْ حُجَّتُهُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: إِنِّي وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَتْرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَذَكَرَ قَدِيمَ صُحْبَتِهِ وَجَسِيمَ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ ، وَأَخَصَّهُمْ مَنْزِلَةً لَدَيْهِ ، وَأَقْرَبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ . وَكَانَ يُوَاصِلُ لَهُ الْمَشُورَةَ دُونَ خَوَاصِّهِ ؛ وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّوْرِ النَّمِرُ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ

---

١ ـ الثور : ذكر البقر . ويسمى الصغير منه بالعجل وهو من أشد الحيوانات ويبلغ أشده فى الثالثة من عمره أو الرابعة . يعرف صاحبه الذى يعنى بأمره وينقاد له بلين . ومن خواصه أن اللون الأحمر يزعجه ويغضبه

٤٦



كليلة يؤنب دمنة على النميمة وقد سمعها النمر

أَمْسَى النَّمِرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ الأَسَدِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ جَوْفَ اللَّيْلِ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ ، فَاجْتَازَ عَلَى كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَلُومُهُ عَلَى النَّمِيمَةِ وَاسْتِعْمَالِهَا ، خُصُوصًا [1] مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ ، وَعَرَفَ النَّمِرُ عِصْيَانَ دِمْنَةَ ، وَتَرْكَ الْقَبُولِ لَهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةَ : لَقَدِ ارْتَكَبْتَ مَرْكَبًا صَعْبًا ، وَدَخَلْتَ مَدْخَلًا ضَيِّقًا ، وَجَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ جِنَايَةً مُوبِقَةً [٢] وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ ،

---

١ خصوصاً : بمعنى لاسيما منصوبا على الحالية أو المصدرية ٢ مهلكة

وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ شَدِيدًا إِذَا انْكَشَفَ لِلأَسَدِ أَمْرُكَ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ ، وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَكَ [١] ، وَبَقِيتَ لَا نَاصِرَ لَكَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْهَوَانُ وَالْقَتْلُ مَخَافَةَ شَرِّكَ ، وَحَذَرًا مِنْ غَوَائِلِكَ . فَلَسْتُ بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خَلِيلًا ، وَلَا مُفْشٍ إِلَيْكَ سِرًّا ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا : تَبَاعَدْ عَمَّنْ لَا رَغْبَةَ فِيهِ ، وَأَنَا جَدِيرٌ بِمُبَاعَدَتِكَ ، وَالْتِمَاسِ الْخَلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ .

فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِرُ هٰذَا مِنْ كَلَامِهِمَا قَفَلَ رَاجِعًا [٢] فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ الْأَسَدِ . فَأَخَذَ عَلَيْهَا الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنَّهَا لَا تُفْشِي مَا يُسِرُّ إِلَيْهَا . فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى الْأَسَدِ فَوَجَدَتْهُ كَئِيبًا حَزِينًا مَهْمُومًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَتْرَبَةَ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا هٰذَا الْهَمُّ الَّذِي قَدْ أَخَذَ مِنْكَ وَغَلَبَ عَلَيْكَ ؟ . قَالَ : يُحْزِنُنِي قَتْلُ شَتْرَبَةَ ، إِذْ تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُوَاظَبَتَهُ عَلَى خِدْمَتِي ، وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ نَصِيحَتِهِ ، وَأَسْكُنُ إِلَيْهِ مِنْ مُشَاوَرَتِهِ ،

---

١ يقال : محل به السلطان محلا بالفتح ومحالا بالكسر : كاده سعاية اليه ، والفعل كقطع وعلم وكرم   ٢ راجعا حال لتأكيد الحدث المراد من الفعل لان (قفل) معناها رجع

وَأَقْبَلُ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : إِنَّ مِنْ أَشَدِّ الْحَوَادِثِ مَا شَهِدَ بِهِ امْرُؤٌ عَلَى نَفْسِهِ . وَهٰذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ . كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ الثَّوْرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يَقِينٍ ؟! وَلَوْلَا مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِثْمِ وَالشَّنَارِ لَذَكَرْتُ لَكَ [1] ، وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا عَلِمْتُ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ لَهَا وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ . وَإِنِّي لَأَعْلَمُ صَوَابَ مَا تَقُولِينَ . وَإِنْ كَانَ عِنْدَكِ رَأْيٌ فَلَا تَطْوِيهِ عَنِّي . وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسَرَّ إِلَيْكِ أَحَدٌ سِرًّا فَأَخْبِرِينِي بِهِ . وَأَطْلِعِينِي عَلَيْهِ ، وَعَلَى جُمْلَةِ الْأَمْرِ . فَأَخْبَرَتْهُ بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهَا النَّمِرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِاسْمِهِ ، وَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أَجْهَلْ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْعَارِ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ . وَلٰكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لَكَ ، وَإِنْ وَصَلَ خَطَرُهُ وَضَرَرُهُ إِلَى الْعَامَّةِ ، فَإِصْرَارُهُمْ عَلَى خِيَانَةِ الْمَلِكِ مِمَّا لَا يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْهُمْ ، وَبِهِ يَحْتَجُّ السُّفَهَاءُ ، وَيَسْتَحْسِنُونَ مَا يَسْكُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ . وَأَشَدُّ مَعَارِّهِمْ [2] إِقْدَامُهُمْ عَلَى ذِي الْحَزْمِ . فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ الْأَسَدِ هٰذَا الْكَلَامَ ، اسْتَدْعَى

---

[1] المفعول محذوف وتريد : لذكرت لك أخباراً علمتها

[2] معارم : جمع معرة وهي الاثم والخيانة

أَصْحَابَهُ وَجُنْدَهُ فَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَى الأَسَدِ وَرَأَى مَاهُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ الْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ ، فَقَالَ : مَا الَّذِى حَدَثَ ؟ وَمَا الَّذِى أَحْزَنَ الْمَلِكَ ؟ فَالْتَفَتَتْ أُمُّ الأَسَدِ إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : قَدْ أَحْزَنَ الْمَلِكَ بَقَاؤُكَ وَلَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ [١] . وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَيًّا . قَالَ دِمْنَةُ : مَا تَرَكَ الأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، لِأَنَّهُ يُقَالُ : أَشَدُّ النَّاسِ فِى تَوَقِّى الشَّرِّ يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ الْمُسْتَسْلِمِ لَهُ . فَلَا يَكُونَنَّ الْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ وَجُنُودُهُ الْمَثَلَ السَّوْءِ [٢] . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَحِبَ الأَشْرَارَ وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَلِذَلِكَ انْقَطَعَتِ النُّسَّاكُ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الْخَلْقِ ، وَاخْتَارَتِ الْوَحْدَةَ عَلَى الْمُخَالَطَةِ ، وَحُبَّ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا : وَمَنْ يَجْزِى بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا إِلَّا اللَّهُ ؟ وَمَنْ طَلَبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَحْظَى بِالْحِرْمَانِ ، إِذْ يُخْطِئُ الصَّوَابَ فِى خُلُوصِ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَطَلَبِ

١ طرفة : خبر لكان حذفت مع اسمها والتقدير ولو كان البقاء طرفة عين ٢ هذا مثل قولهم : لا خير فى قول السوء بالفتح والضم . فان فتحت فمعناه لا خير فى القول القبيح وإن ضمت فمعناه أن تقول سوءاً وإذاً فالسوء بالفتح مصدر ساء يسوء اذا قبح

الْجُزَلَاءِ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغِبَتْ فِيهِ رَعِيَّةُ الْمَلِكِ هُوَ مَحَاسِنُ الأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ الصَّوَابِ وَجَمِيلُ السَّيْرِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ صَدَّقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَذِّبَ وَكَذَّبَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدِّقَ خَرَجَ مِنْ مَصَافِّ الْعُقَلَاءِ ، وَكَانَ جَدِيرًا بِالإِزْدِرَاءِ

فَيَنْبَغِي أَلاَّ يُعَجِّلَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشُبْهَةٍ . وَلَسْتُ أَقُولُ هٰذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا لَا مَنْجَى مِنْهُ ، وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِائَةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى الْمَلِكِ فِي إِتْلَافِهِنَّ لَطِبْتُ لَهُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَقَالَ بَعْضُ الْجُنْدِ : لَمْ يَنْطِقْ بِهٰذَا لِحُبِّهِ الْمَلِكَ ، وَلٰكِنْ لِخَلَاصِ نَفْسِهِ وَالْتِمَاسِ الْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ : وَيْلَكَ[1] ، وَهَلْ عَلَيَّ فِي الْتِمَاسِ

١ ويل : كلمة عذاب ويقال (ويله وويلك — بفتح اللام وويلي وويل لزيد — بضم اللام — وويلا له) فالنصب على إضمار الفعل والرفع على الابتداء ، هذا اذا لم تضف أما اذا أضيفت فليس الا النصب لانك لو رفعته لم يكن له خبر ويقال في الندبة ويلاه والهاء للسكت ساكنة تثبت في الوقف وتحذف في الوصل وربما ثبتت في الوصل لضرورة الشعر فتضم كالحرف الأصلي ويجوز كسرها لالتقاء الساكنين. ومنها ويلمه أصلها في الدعاء على المرء ثم استعملت في التعجب ثم في معنى قاتله الله : يقال رجل ويلمه بكسر اللام وضمها أي داهية ويقال للمستجاد ويلمه أي ويل لأمه كقولهم لاب لك يريد لا أبا لك فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم ألحقت الهاء مبالغة

الْعُذْرِ لِنَفْسِي عَيْبٌ ؟ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ ؟ وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا الْعُذْرَ فَلِمَنْ يَلْتَمِسُهُ ؟ لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا ، وَأَنَّكَ عَدُوُّ نَفْسِكَ ، فَمَنْ سِوَاهَا بِالْأَوْلَى ؟ فَمِثْلُكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ . فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذَلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِبًا حَزِينًا مُسْتَحِيًا . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ — أَيُّهَا الْمُحْتَالُ — فِي قِلَّةِ حَيَائِكَ وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ ، وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قَالَ دِمْنَةُ : لِأَنَّكِ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شَقَاوَةَ جَدِّي[1] قَدْ زَوَتْ[2] عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى الْمَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ . وَلَقَدْ صَارَ مَنْ بِبَابِ الْمَلِكِ لِاسْتِخْفَافِهِمْ بِهِ وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالنِّعْمَةِ لَا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ ، وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ السُّكُوتُ . قَالَتْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الشَّقِيِّ مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ ! قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ . كَالَّذِي

....

١ الجد بالفتح : الحظ ٢ زوت : نحت وأبعدت

يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّمْلَ وَيَسْتَعْمِلَ فِيهِ السِّرْجِينَ [١] ، وَالرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةِ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ ، وَالضَّيْفِ الَّذِي يَقُولُ : أَنَا رَبُّ الْبَيْتِ ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ . وَإِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ النَّاسِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : أَتَظُنُّ — أَيُّهَا الْغَادِرُ الْمُحْتَالُ — بِقَوْلِكَ هٰذَا أَنَّكَ تَخْدَعُ الْمَلِكَ وَلَا يَسْجُنُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الْغَادِرُ الَّذِي لَا يَأْمَنُ عَدُوُّهُ مَكْرَهُ ، وَإِذَا اسْتَمْكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : — أَيُّهَا الْغَادِرُ الْكَذُوبُ — أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ ؟ وَأَنَّ مُحَالَكَ هٰذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الْكَذُوبُ الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَيَأْتِي بِمَا لَمْ يُقَلْ وَلَمْ يُفْعَلْ ، وَكَلَامِي وَاضِحٌ مُبِينٌ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : الْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوضِحُونَ أَمْرَهُ بِفَصْلِ الْخِطَابِ . ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ . فَدَفَعَ الْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى الْقَاضِي . فَأَمَرَ الْقَاضِي بِحَبْسِهِ ، فَأُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ حَبْلٌ ، وَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى السِّجْنِ

فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أُخْبِرَ كَلِيلَةُ أَنَّ دِمْنَةَ فِي الْحَبْسِ .

---

١ السرجين بالكسر ويقال له السرقين أيضا : الزبل

فَأَتَاهُ مُسْتَخْفِيًا . فَلَمَّا رَآهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ الْقُيُودِ وَحَرَجِ الْمَكَانِ ، بَكَى وَقَالَ لَهُ : مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا لِاسْتِعْمَالِكَ الْخَدِيعَةَ وَالْمَكْرَ ، وَإِضْرَابِكَ عَنِ الْعِظَةِ . وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ فِيمَا مَضَى مِنْ إِنْذَارِكَ وَالنَّصِيحَةِ لَكَ ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ فِي خُلُوصِ الرَّغْبَةِ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ . وَلَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ لَكُنْتُ الْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ . غَيْرَ أَنَّ الْعُجْبَ دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيَكَ ، وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ . وَكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ الْأَمْثَالَ كَثِيرًا ، وَأُذَكِّرُكَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ الْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ . قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقَالَتِكَ ، وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَا تَجْزَعْ مِنَ الْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ . وَلَأَنْ [١]

---

[١] هذه اللام تسمى لام الابتداء فائدتها توكيد مضمون الجملة واذا لحقت المضارع قصرت معناه على الحال ، ولها موضعان : المبتدأ كما فى هذا المقام وكذلك قوله تعالى : (لأنتم أشد رهبة) . والموضع الثانى بعد ان بالكسر وتدخل على خبرها اذا كان اسما أو فعلا مضارعا أو ظرفا وهذه تسمى (المزحلقة) ذلك لأنها كانت داخلة فى الأصل على أن ثم تزحلقت الى خبرها (قيل) حتى لا يجتمع مؤكدان معا وتدخل لام الابتداء على خبر ان المخففة للفرق بينها وبين النافية وتسمى (الفارقة) وتدخل أيضا على اسم ان المتأخر

٤٧



دمنة يعترف والفهد يسمع

تُعَذَّبَ فِي الدُّنْيَا بِجُرْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ[1] مَعَ الْإِثْمِ . قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ ، وَلَٰكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ ، وَعِقَابَ الْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ . وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي السِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ[2] ، يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ . فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ

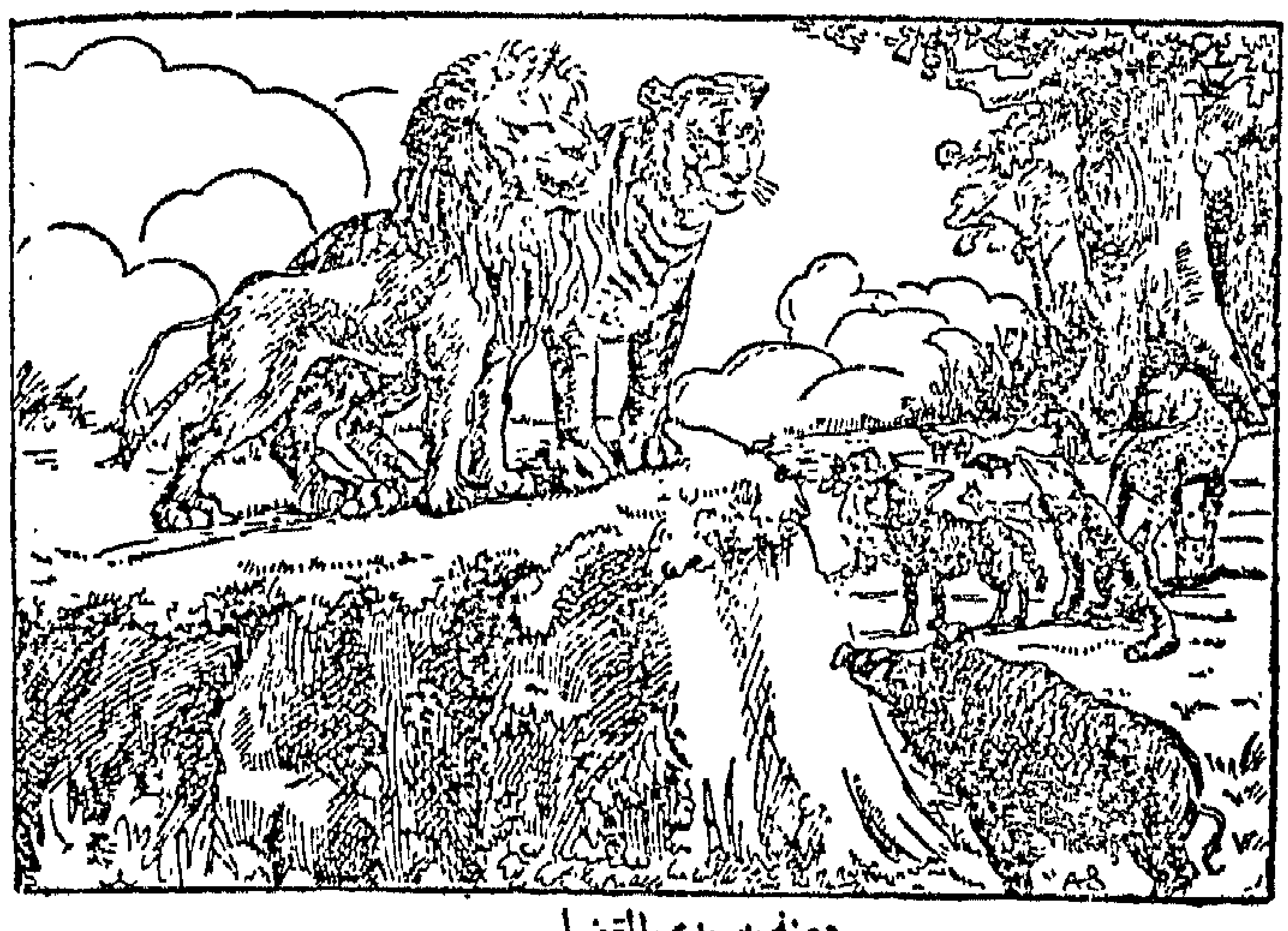
ولللام الابتداء الصدارة الا فى باب ان (بالكسر) ولذلك يعلق بها الفعل فى مثل : علمت لزيد منطلق ومنعت من النصب على الاشتغال فى نحو زيد لأنا أكرمه ، كذلك منعت الخبر من أن يتقدم عليها فى مثل لزيد قائم ، وكذلك تمنع تقدم المبتدا فى مثل لقائم زيد

١ جهنم : مكان العقاب الأخروى ٢ الفهد بالفتح : حيوان من فصيلة الكلاب البرى له مزاج كمزاج النمر وفى طبعه مشابهة لطباع

كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ ، وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعَظِيمِ ذَنْبِهِ ، تَحَفَّظَ الْمُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا ، وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَدَخَلَتْ أُمُّ الْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَسَدِ . وَقَالَتْ لَهُ :
— يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ — حُوشِيتَ[١] أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِالْأَمْسِ ، وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ لِوَقْتِهِ ، وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ الْعِبَادِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى فِي الْجِدِّ لِلتَّقْوَى ، بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ الْأَثِيمِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ : وَهُوَ صَاحِبُ الْقَضَاءِ . فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِلْجَوَّاسِ الْعَادِلِ[٢] : أُجْلِسَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، وَنَادِيَا فِي الْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ . أَنْ يَحْضُرُوا ، وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ دِمْنَةَ ، وَيَبْحَثُوا عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ ، وَيُثْبِتُوا قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ الْقَضَاءِ . وَارْفَعَا إِلَيَّ ذَلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا : فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّمِرُ وَالْجَوَّاسُ الْعَادِلُ — وَكَانَ

الكلاب ، ولذلك زعم (أرسطو) أنه يتولد بين نمر وأسد . كثير النمو ثقيل الجثة ومن خلقه الغضب وله وثبات شديدة . ومعتقل مقيد ومحبوس ١ حوشيت : نزهت ٢ الجواس اسم من أسماء الأسد

٤٨



دمنة بين يدي القضاة

هَذَا الْجَوَّاسُ عَمُّ الْأَسَدِ — قَالَا : سَمْعاً وَطَاعَةً ١ لِمَا أَمَرَ الْمَلِكُ وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَأُتِيَ بِهِ . فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْجَمَاعَةُ حُضُورٌ . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ الْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّهَا الْجَمْعُ ، إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السِّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتَلَ

١ سمعا وطاعة منصوبتين على المصدر والتقدير اسمع سمعا وأطيع طاعة ، واذا رفعتا كان ذلك على تقدير مبتدا محذوف وجوبا تقديره (أمري سمع وطاعة أو على أنهما مبتدآن والتقدير : لي أو عندي سمع وطاعة)

شَتْرَبَةَ خَائِرَ النَّفْسِ[1] ، كَثِيرَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ : يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَتْرَبَةَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةَ وَنَمِيمَتِهِ . وَهٰذَا الْقَاضِي قَدْ أُمِرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ ، وَيَبْحَثَ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلْيَقُلْ ذَلِكَ ، وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْجَمْعِ وَالْأَشْهَادِ ، لِيَكُونَ الْقَضَاءُ فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ . فَإِذَا اسْتَوْجَبَ الْقَتْلَ فَالتَّثَبُّتُ فِي أَمْرِهِ أَوْلَى . وَالْعَجَلَةُ مِنَ الْهَوَى ، وَمُتَابَعَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْبَاطِلِ ذُلٌّ . فَعِنْدَهَا قَالَ الْقَاضِي : أَيُّهَا الْجَمْعُ ، اسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ . وَلَا تَكْتُمُوا مَا عَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ ، وَاحْذَرُوا فِي السَّتْرِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ :

إِحْدَاهُنَّ — وَهِيَ أَفْضَلُهُنَّ — أَلَّا تَزْدَرُوا فِعْلَهُ ، وَلَا تَعُدُّوهُ يَسِيرًا ؛ فَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا قَتْلُ الْبَرِيءِ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا الْكَذَّابِ الَّذِي اتَّهَمَ الْبَرِيءَ بِكَذِبِهِ وَنَمِيمَتِهِ شَيْئًا فَسَتَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ .

وَالثَّانِيَةُ إِذَا اعْتَرَفَ الْمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ كَانَ أَسْلَمَ لَهُ وَأَحْرَى بِالْمَلِكِ وَجُنْدِهِ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُ وَيَصْفَحُوا .

وَالثَّالِثَةُ تَرْكُ مُرَاعَاةِ أَهْلِ الذَّمِّ وَالْفُجُورِ ، وَقَطْعُ أَسْبَابِهِ

[1] خائر النفس : مختلطها

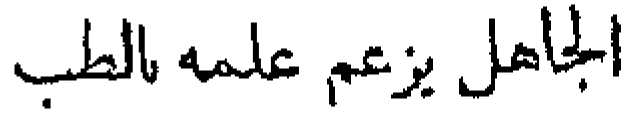
مُوَاصَلَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ . فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا الْمُحْتَالِ شَيْئًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلْيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا عَلِمَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ الْجَمْعُ كَلَامَهُ أَمْسَكُوا عَنِ الْقَوْلِ . فَقَالَ دِمْنَةُ : مَا يُسْكِتُكُمْ ؟ ! تَكَلَّمُوا بِمَا عَلِمْتُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَوَابًا . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ يَشْهَدْ بِمَا لَمْ يَرَ وَيَقُلْ مَا لَا يَعْلَمُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الطَّبِيبَ الَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ . إِنِّي أَعْلَمُهُ قَالَتِ الْجَمَاعَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ طَبِيبٌ لَهُ رِفْقٌ وَعِلْمٌ . وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعَالَجَاتِ : فَكَبِرَ ذٰلِكَ الطَّبِيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكَانَ لِمَلِكِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ابْنَةٌ قَدْ زَوَّجَهَا لِابْنِ أَخٍ لَهُ ، فَعَرَضَ لَهَا مَا يَعْرِضُ لِلْحَامِلِ مِنَ الْأَوْجَاعِ . فَجِيءَ بِهٰذَا الطَّبِيبِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ وَجَعِهَا وَمَا تَجِدُ . فَأَخْبَرَتْهُ . فَعَرَفَ دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا ، وَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَجَمَعْتُ الْأَخْلَاطَ عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْنَاسِهَا ، وَلَا أَثِقُ فِي ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي . وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ سَفِيهٌ . فَبَلَغَهُ الْخَبَرُ فَأَتَاهُمْ وَادَّعَى عِلْمَ الطِّبِّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ



الملك يشاور الطبيب الاعمى





الجاهل يزعم علمه بالطب

بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير ، عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة . فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية ، فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته . فلما دخل السفيه الخزانة ، وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدرى : ما هى ولا له بها معرفة ، أخذ فى جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته ، وخلطه فى الأدوية ، ولا علم له به ، ولا معرفة عنده بجنسه . فلما تمت أخلاط الأدوية سقى الجارية منه ، فماتت لوقتها . فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه ، فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته .

٥٠ -



الجاهل يجمع الدواء فى بيت الحكمة





الجاهل يؤمر بشرب الدواء القاتل

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكُمْ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا مَا يَدْخُلُ عَلَى الْقَائِلِ وَالْعَامِلِ مِنَ الزَّلَّةِ بِالشُّبْهَةِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْحَدِّ. فَمَنْ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذٰلِكَ الْجَاهِلَ، وَنَفْسُهُ الْمَلُومَةُ. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: رُبَّمَا جَرَى الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ، وَالْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ. فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ[١]

---

[١] الخنزير : حيوان من ذوات الثدى يأخذ من السبع الناب وأكل الجيف ومن البهيم الظلف وأكل العشب والعلف. ومنه البرى الداجن، والآبد، والبحرى. ويولد العفر (ولده) كامل الأسنان ونكبر كلما تقدم فى السن ولا سيما النابان التحتيان وأما النابان الفوقيان

لإدْلَالِهِ [١] وَتِيهِهِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الأَسَدِ . فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّرَفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، اسْمَعُوا مَقَالَتِي ، وَعُوا بِأَحْلَامِكُمْ كَلَامِي . فَالْعُلَمَاءُ قَدْ قَالُوا فِي شَأْنِ الصَّالِحِينَ : إِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ [٢] . وَأَنْتُمْ — مَعَاشِرَ ذَوِي الْاقْتِدَارِ بِحُسْنِ صُنْعِ اللهِ لَكُمْ ، وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ لَدَيْكُمْ — تَعْرِفُونَ الصَّالِحِينَ بِسِيمَاهُمْ وَصُوَرِهِمْ وَتَخْبُرُونَ الشَّيْءَ الْكَبِيرَ بِالشَّيْءِ الصَّغِيرِ . وَهٰهُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هٰذَا الشَّقِيِّ دِمْنَةَ ، وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ . فَاطْلُبُوهَا عَلَى ظَاهِرِ جِسْمِهِ ، لِتَسْتَيْقِنُوا وَتَسْكُنُوا إِلَى ذَلِكَ . فَقَالَ الْقَاضِي

....

نيا لشحذ سائر الأسنان ويقال : إن الخنزير له طاقة على الجرى ٢٥ دقيقة بسرعة أسرع الخيل . وله ستة أو سبعة أضراس على كل جانب فوقية وتحتية ، والأمامية منها تشابه أضراس أكلة اللحوم والخلفية أضراس الانسان واستدل بذلك على أنه يأكل النبات واللحم كما أن له ستة قواطع في كل فك . وقد تلد الانثى عشرين في بعض الأحايين .

أما طعامه فجميع أنواع الأغذية كاللحم والحبوب والأعشاب كما يشرب الماء القذر . وسيد الخنازير هذا كان خادماً على مائدة الملك كما يفهم مما بعد وقد جاء في بعض النسخ مكان لفظ سيد الخنازير كلمة (صاحب المائدة)

١ الادلال . مصدر أدل عليه : وثق بصحبته فأفرط عليه ، ويريد تكلم سيد الخنازير لوثوقه بصحبته الملك وإعجابه بنفسه

٢ يعرفون بما يظهر على وجوههم من علامات الصلاح

لِسَيِّدِ الْخَنَازِيرِ : قَدْ عَلِمْتُ وَعَلِمَ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرُونَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الصُّوَرِ مِنْ عَلَامَاتِ السُّوءِ . فَفَسِّرْ لَنَا مَا تَقُولُ ، وَأَطْلِعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ هٰذَا الشَّقِيِّ . فَأَخَذَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ يَذُمُّ دِمْنَةَ وَقَالَ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنَ الْيُمْنَى ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ[1] وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ فَهُوَ شَقِيٌّ خَبِيثٌ : قَالَ لَهُ دِمْنَةُ . . . . شَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا الْقَذِرُ ! ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ الْقَبِيحَةِ . ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جَرَاءَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ مَا بِجِسْمِكَ مِنَ الْقَذَرِ وَالْقُبْحِ ، وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ . أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ ؟! وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي الَّذِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ لَكِنْ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ ، وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي عَنْ إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ ، وَبَهَتَّنِي فِي وَجْهِي[2] ، وَقُمْتَ بِعَدَاوَتِي ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ عَلَى رُؤُوسِ الْحَاضِرِينَ ، فَإِنِّي لَأَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ مِنْ عُيُوبِكَ وَتَعْرِفُهُ الْجَمَاعَةُ ،

---

[1] اختلجت العين : انتفضت أجفانها بحركة اضطرارية

[2] من قولهم : بهته : إذ قال عليه ما لم يفعل

وَحَقٌّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكَ مِنَ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ . فَلَوْ كُلِّفْتَ أَنْ تَعْمَلَ الزِّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْخِذْلَانِ فِيهَا. فَالْأَحْرَى بِكَ أَلَّا تَدْنُوَ إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَلَّا تَكُونَ دَبَّاغًا وَلَا حَجَّامًا لِعَامِّيٍّ فَضْلًا[1] عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ . قَالَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ : أَتَقُولُ لِي هٰذِهِ الْمَقَالَةَ وَتَلْقَانِي بِهٰذَا الْمَلْقَى ؟! قَالَ دِمْنَةُ : نَعَمْ ! وَحَقًّا[2] قُلْتُ فِيكَ ، وَإِيَّاكَ[3] أَعْنِي ، أَيُّهَا الْأَعْرَجُ[4] الْمَكْسُورُ ، الْأَفْدَعُ الرِّجْلِ[5] ، الْمَنْفُوخُ الْبَطْنِ ، الْأَفْلَحُ الشَّفَتَيْنِ[6] ، السَّيِّءُ الْمَنْظَرِ وَالْمَخْبَرِ . فَلَمَّا قَالَ ذٰلِكَ دِمْنَةُ تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ ، وَاسْتَعْبَرَ[7] ، وَاسْتَحْيَى ، وَتَلَجْلَجَ لِسَانُهُ ،

---

١ فضلا منصوب بفعل محذوف تقديره : يفضل فضلا ، وهو مثل قولهم : لايملك درهماً ولا ديناراً وملكه الدينار أولى بالانتفاء كأنه قيل : لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً ونصبه ـ كما علمت ـ على المصدر . والتقدير أنه فقد ملك الدرهم فقداً يفضل فقد ملك دينار . وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي . وقال أبو حيان : ولم أظفر بنص على مثل هذا التركيب من كلام العرب ٢ حقا نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف إذ كان وصفاً للمصدر والتقدير قلت قولا حقاً ٣ أيا : مبني على السكون في محل نصب مفعولا مقدماً وجوباً ٤ أي : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص والاعرج نعت له ٥ الأفدع : الاعرج ٦ أفلح الشفتين : مشقوقهما ٧ استعبر : بكى وسالت عبرته

وَاُسْتَكَانَ [١] ، وَفَتَرَ نَشَاطُهُ [٢] . فَقَالَ دِمْنَةُ : — حِينَ رَأَى أُنْكِسَارَهُ وَبُكَاءَهُ — إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاؤُكَ إِذَا أُطْلِعَ الْمَلِكُ عَلَى قَذَرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ ، وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خِدْمَتِهِ ، وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا [٣] كَانَ الْأَسَدُ قَدْ جَرَّبَهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا ، فَرَتَّبَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ ، وَيُطْلِعَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَامَ الشَّعْهَرُ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ [٤] فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِعَزْلِ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَى وَجْهَهُ ، وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُسْجَنَ . وَقَدْ مَضَى مِنَ النَّهَارِ أَكْثَرُهُ ، وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ قَدْ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النَّمِرِ . وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ

ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا يُقَالُ لَهُ رَوْزَبَةُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِيلَةَ إِخَاءٌ

---

١ استكان : ذل ٢ فتر : سكن بعد حدته ولان بعد شدته

٣ الشعهر : لم أعثر لهذا اللفظ على معنى لا فى معجمات اللغة ولا فى معجمات الحيوان التى استطعت البحث فيها . غير أنى رأيت ما يقرب من ذلك ولعله الحقيقة ، ذلك هو لفظ (الشغبر) بشين مثلثة وغين معجمة وباء موحدة بعدها راء ، ويفسره الثقات بابن آوى

٤ جلية الامر : الخبر اليقين أو ما ظهر من حقيقته

وَمَوَدَّةٌ . وَكَانَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَجِيهًا ، وَعَلَيْهِ كَرِيمًا وَاتَّفَقَ أَنْ كَلِيلَةَ أَخَذَهُ الْوَجْدُ إِشْفَاقًا وَحَذَرًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَخِيهِ ، فَمَرِضَ وَمَاتَ . فَانْطَلَقَ هَـٰذَا الشَّغْهَرُ إِلَى دِمْنَةَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَلِيلَةَ ، فَبَكَى وَحَزِنَ ، وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَخِ الصَّفِيِّ ، وَلَـٰكِنْ أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى حَيْثُ[1] لَمْ يَمُتْ كَلِيلَةُ حَتَّى أَبْقَى لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي أَخًا مِثْلَكَ ، فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ فِيمَا رَأَيْتُ مِنِ اهْتِمَامِكَ بِي وَمُرَاعَاتِكَ لِي ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَائِي وَرُكْنِي فِيمَا أَنَا فِيهِ . فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانِ كَذَا ، فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَمَعْتُهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا وَسَعْيِنَا وَمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى ، فَتَأْتِيَنِي بِهِ . فَفَعَلَ الشَّغْهَرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ دِمْنَةُ . فَلَمَّا وَضَعَ الْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عَلَى الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ عَلَى الْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَفَرَّغْ لِشَأْنِي ، وَاصْرِفِ اهْتِمَامَكَ إِلَيَّ ، وَاسْمَعْ مَا أُذْكَرُ بِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُصُومِ ، وَمَا

---

١ حيث : كلمة دالة على المكان وزعم الأخفش أنها تأتي للزمان قال الأصمعي: ومما تخطىء فيه العامة والخاصة باب حين وحيث : غلط فيه العلماء مثل أبي عبيدة وغيره وأما هي في هـذا المقام فمعناه يخرج عن هذين وهو التعليل ولست واقفاً لذلك على نظير من كلامهم .

يَبْدُو مِنْ أُمِّ الأَسَدِ فِي حَقِّي، وَمَا تَرَى مِنْ مُتَابَعَةِ الأَسَدِ لَهَا، وَمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي وَاحْفَظْ ذَلِكَ كُلَّهُ. فَأَخَذَ الشَّعْهَرُ مَا أَعْطَاهُ دِمْنَةُ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ. فَانْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَوَضَعَ الْمَالَ فِيهِ ثُمَّ إِنَّ الأَسَدَ بَكَّرَ مِنَ الْغَدِ فَجَلَسَ، حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ النَّهَارِ سَاعَتَانِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَوَضَعُوا الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا أُمَّهُ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي الْكِتَابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا: إِنْ أَنَا أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَا تَلُمْنِي، فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضَرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ سَمَاعِهِ؟ لِأَنَّهُ كَلَامُ هَذَا الْمُجْرِمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنَا، الْغَادِرِ بِدِمَّتِنَا. ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مُغْضَبَةً — وَذَلِكَ بِعَيْنِ الشَّعْهَرِ الَّذِي آخَاهُ دِمْنَةُ وَبِسَمْعِهِ — فَخَرَجَ فِي أَثَرِهَا مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى دِمْنَةَ، فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ رَسُولٌ فَانْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى الْجَمْعِ عِنْدَ الْقَاضِي. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي اسْتَفْتَحَ سَيِّدُ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا دِمْنَةُ قَدْ أَنْبَأَنِي بِخَبَرِكَ الأَمِينُ الصَّادِقُ. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْحَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا: إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا سَبَبًا وَمِصْدَاقًا لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّهَا دَارُ الرُّسُلِ

وَالْأَنْبِيَاءِ الدَّالِّينَ عَلَى الْخَيْرِ ، الْهَادِينَ إِلَى الْجَنَّةِ ، الدَّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى . وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ عِنْدَنَا ، وَأَخْبَرَنَا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنَا بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّ سَيِّدَنَا أَمَرَنَا بِالْعَوْدِ فِي أَمْرِكَ ، وَالْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَنَا ظَاهِرًا بَيِّنًا . قَالَ دِمْنَةُ : أَرَاكَ — أَيُّهَا الْقَاضِي — لَمْ تَتَعَوَّدِ الْعَدْلَ فِي الْقَضَاءِ¹ وَلَيْسَ فِي عَدْلِ الْمُلُوكِ دَفْعُ الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَى قَاضٍ غَيْرِ عَادِلٍ ، بَلِ الْمُخَاصَمَةُ عَنْهُمْ وَالذَّوْدُ . فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخَاصِمْ ، وَتُعَجِّلُ ذَلِكَ مُوَافَقَةً لِهَوَاكَ ، وَلَمْ تَمْضِ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ؟ وَلَكِنْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ : إِنَّ الَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ الْبِرِّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ . قَالَ الْقَاضِي : إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ أَنَّ الْقَاضِيَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ لِيُجَازِيَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ ، فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا ازْدَادَ الْمُحْسِنُونَ حِرْصًا عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالْمُسِيئُونَ اجْتِنَابًا لِلذُّنُوبِ . وَالرَّأْيُ لَكَ — يَا دِمْنَةُ — أَنْ تَنْظُرَ الَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ ، وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ ، وَتُقِرَّ بِهِ ، وَتَتُوبَ . فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ : إِنَّ صَالِحِي الْقُضَاةِ لَا يَقْطَعُونَ بِالظَّنِّ ،

---

¹ العدل : مفعول لتعود ، ومن الخطأ أن يعدى هذا الفعل بعلى فلا يجوز أن يقال تعودت على المكرمات، وإنما إسقاط الحرف واجب

وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ ، لَا فِي الْخَاصَّةِ وَلَا فِي الْعَامَّةِ ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا . وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ ، وَعِلْمِي بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَعِلْمُكُمْ بِي غَايَةُ الشَّكِّ وَإِنَّمَا قَبَّحَ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي ، فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كَاذِبًا عَلَيْهَا ؟! فَأَسْلَمْتُهَا لِلْقَتْلِ وَالْعَطَبِ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِبَرَاءَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ بِهِ[1] وَنَفْسِي أَعْظَمُ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً ، وَأَوْجَبُهَا حَقًّا ، فَلَوْ فَعَلْتُ هٰذَا بِأَقْصَاكُمْ وَأَدْنَاكُمْ لَمَا وَسِعَنِي فِي دِينِي[2] ، وَلَا حَسُنَ بِي فِي مُرُوءَتِي ، وَلَا حَقَّ لِي أَنْ أَفْعَلَهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي ؟! فَاكْفُفْ — أَيُّهَا الْقَاضِي — عَنْ هٰذِهِ الْمَقَالَةِ ، فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِنْكَ نَصِيحَةً ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ مَوْضِعَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً فَإِنَّ أَقْبَحَ الْخِدَاعِ مَا نَظَرْتَهُ وَعَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مَعَ أَنَّ الْخِدَاعَ وَالْمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ صَالِحِي الْقُضَاةِ ، وَلَا تُقَاةِ الْوُلَاةِ

وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجُهَّالُ وَالْأَشْرَارُ سُنَّةً يَقْتَدُونَ بِهَا ، لِأَنَّ أُمُورَ الْقُضَاةِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ ،

---

١ قرفت به : اتهمت به ٢ لما جاز لى

وَبِخَطَئِهَا أَهْلُ الخطا وَالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلُو الْوَرَعِ . وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ — أَيُّهَا الْقَاضِي — مِنْ مَقَالَتِكَ هٰذِهِ أَعْظَمَ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا . وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْجُنْدِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَاضِلاً فِي رَأْيِكَ ، مُقْنِعًا فِي عَدْلِكَ ، مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ ، وَعَفَافِكَ وَفَضْلِكَ . وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ كَيْفَ أُنْسِيتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي ؟!

. . . .

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى الاسَدِ عَلَى وَجْهِهِ . فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ دَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرَتْ كَلَامَ دِمْنَةَ لِلْأَسَدِ : لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا أَتَخَوَّفُ مِنَ احْتِيَالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَعْظَمَ مِنَ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسِّعَايَةِ حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : أَخْبِرِينِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكِ عَنْ دِمْنَةَ بِمَا أَخْبَرَكِ فَيَكُونَ حُجَّةً لِي فِي قَتْلِ دِمْنَةَ . فَقَالَتْ : إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أُفْشِيَ سِرَّ مَنِ اسْتَكْتَمَنِيهِ ، فَلَا يَهْنِئُنِي سُرُورِي بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي اسْتَظْهَرْتُ عَلَيْهِ بِرُكُوبِ مَا نَهَتْ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ كَشْفِ السِّرِّ . وَلٰكِنِّي

أُطَالِبُ الَّذِي أُسْتَوْدَعَنِيهِ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِنْ ذِكْرِهِ لَكَ ، وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَمَا سَمِعَهُ مِنْهُ . ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّمِرِ ، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ مُعَاوَنَتِهِ الْأَسَدَ عَلَى الْحَقِّ ، وَإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي لَا يَكْتُمُهَا مِثْلُهُ ، مَعَ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِينَ ، وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ . فَإِنَّهُ قَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ كَتَمَ حُجَّةَ مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ فَلَمَّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذَلِكَ أَرْسَلَ الْفَهْدُ الْمَحْبُوسُ الَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً فَأَخْرَجُوهُ ، فَشَهِدَ عَلَى دِمْنَةَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ . فَقَالَ لَهُمَا الْأَسَدُ مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا ؟ وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَاهْتِمَامَنَا بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ شَهَادَةَ الْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا ، فَكَرِهْنَا التَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْضِي بِهِ الْحُكْمُ ، حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ الْآخَرُ بِشَهَادَتِهِ ، فَقَبِلَ الْأَسَدُ قَوْلَهُمَا وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ فِي حَبْسِهِ فَقُتِلَ أَشْنَعَ قِتْلَةٍ

٥١



شهادة الفهد والنمر — قتل دمنة في سجنه

فَمَنْ نَظَرَ فِي هٰذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ غَيْرِهِ بِالْخِلَابَةِ[١] وَالْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيُجْزَى عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

(انتهى باب الفحص عن أمر دمنة)

١ الخلابة بالكسر : الخديعة والمكر

الحمامة المطوقة

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَابَّيْنِ : كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ ؟ وَإِلَى مَا ذَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ؟ فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ

---

١ الحمام : فرع من الأسرة الدجاجية ذو منقار ضعيف وحوصلة مفيبة غشائية ومعدة عضلية والأجنحة معتدلة أو قصيرة . وطعامه الأصلى الحبوب وبعضها يأكل بذوراً وقد يضطر الى أكل الحشرات وهو موصوف بالدعة واللطف والطهارة والحنو ولا يألف إلا أنثاه ولا تألف الأنثى إلا ذكرها عادة . ويتعاونان على تربية الزغاليل .. وأنواعه كثيرة منه البرى والأهلى والوراشين ، قالوا : ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ . وربما صيد وغاب عن وطنه عشر حجج فلا يزال على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه الى وطنه حتى يجد الفرصة فيطير اليه ، ولذلك اتخذ منه النوع المعروف بحمام الرسائل ويعرف أيضاً بحمام البطاق ويستخدم فى الحروب والمحاصرات والتجارة وغيرها لحمل الأخبار ، ويقال : إن أول مرة استعمل فيها هذا الحمام هى سنة ٤٢ قبل الميلاد لما إن حصر انطنيوس مدينة (مودينه) فأرسل رئيس الحكومة الى حاكم احدى المدن رسالة منوطة بخيط فى عنق حمامة فأجابه برسالة معلقة برجلها وحكايات هذا النوع كثيرة مشهورة وأكثر هذا الحمام من النوع ذى الطوق الأبيض لأنه يدجن ويتعلم سريعاً

الصَّفَاءِ : كَيْفَ يُبْتَدَأُ تَوَاصُلُهُمْ ، وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ .
قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا ، فَالْإِخْوَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْمُؤَاسُونَ عِنْدَ مَا يَنُوبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ[1] وَالظَّبْيِ وَالْغُرَابِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ ، يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرَقِ ، فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ سَيِّءِ الْخَلْقِ عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ ، وَفِي يَدِهِ عَصًا مُقْبِلًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ . فَذُعِرَ مِنْهُ الْغُرَابُ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ، إِمَّا حَيْنِي[2] وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي .

١ الجرذ : حيوان قراض ينطوى تحته جميع أنواع الجرذان والفيران التى تعيش فى البيوت والحقول ، وأنواعه كثيرة منها الأسمر والأسود ، ومن أنواعه أيضاً جرذ السلف أو الجرذ الأبيض البطن وجميع أنواع الجرذ تحب القتال ، ومع أنها تقتات بما تيسر لها فان بعضها يفترس بعضاً ولا تكتفى بأكل من تقتله من أبناء جنسها بل تأكل صغارها ، ولها من القوة ما تقرض به العاج وسن الفيل .

٢ الحين بالفتح : الأجل والهلاك

فَلأَثْبُتَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ : مَاذَا يَصْنَعُ ؟ ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَكَمَنَ [١] قَرِيبًا مِنْهَا . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ : يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ ، وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيَتْ هِيَ وَأَصْحَابُهَا عَنِ الشَّرَكِ ، فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ . فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ . وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ فَرِحًا مَسْرُورًا فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَضْطَرِبُ فِي حَبَائِلِهَا [٢] ، وَتَلْتَمِسُ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا . قَالَتِ الْمُطَوَّقَةُ : لَا تَخَاذَلْنَ فِي الْمُعَالَجَةِ [٣] ، وَلَا تَكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا ، وَلَكِنْ نَتَعَاوَنُ جَمِيعًا ، فَنَقْلَعُ الشَّبَكَةَ ، فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَقَلَعْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ . وَعَلَوْنَ فِي الْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعِ الصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ . وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يُجَاوِزْنَ إِلَّا قَرِيبًا وَيَقَعْنَ . فَقَالَ الْغُرَابُ : لَأَتْبَعُهُنَّ ، وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ . فَالْتَفَتَتِ الْمُطَوَّقَةُ . فَرَأَتِ الصَّيَّادَ يَتْبَعُهُنَّ . فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ : هَذَا الصَّيَّادُ مُجِدٌّ فِي طَلَبِكُنَّ . فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي الْفَضَاءِ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُنَا . وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعُمْرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَانْصَرَفَ . وَبِمَكَانِ

---

١ كمن : من باب سمع وقعد ٢ الحبائل جمع حبالة بالكسر : وهي المصيدة ٣ أصلها تتخاذلن، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا

٥٢



الصياد يفرح بصيده والغراب ينظر إليه



الصياد يتبع الحمام

كَذَا جُرَذٌ هُوَ أَخٌ لِي، فَلَوِ انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هٰذَا الشَّرَكَ.
فَفَعَلْنَ ذٰلِكَ، وَأَيِسَ الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ، وَانْصَرَفَ. وَتَبِعَهُنَّ الْغُرَابُ.
فَلَمَّا انْتَهَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرَذِ أَمَرَتِ الْحَمَامَ أَنْ
يَسْقُطْنَ. فَوَقَعْنَ، وَكَانَ لِلْجُرَذِ مِائَةُ جُحْرٍ لِلْمَخَاوِفِ. فَنَادَتْهُ
الْمُطَوَّقَةُ بِاسْمِهِ وَكَانَ اسْمُهُ زِيرَكَ فَأَجَابَهَا الْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ:
مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ. أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمُطَوَّقَةُ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرَذُ
يَسْعَى. فَقَالَ لَهَا: مَا أَوْقَعَكِ فِي هٰذِهِ الْوَرْطَةِ؟ قَالَتْ لَهُ: أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى مَنْ
تُصِيبُهُ الْمَقَادِيرُ، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْنِي فِي هٰذِهِ الْوَرْطَةِ، فَقَدْ
لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا، وَقَدْ

تتكسف الشمس والقمر إذا قضى ذلك عليهما. ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة: ابدأ بقطع عقد سائر[1] الحمام، وبعد ذلك أقبل على عقدي، وأعادت ذلك عليه مرارا، وهو لا يلتفت إلى قولها. فلما أكثرت عليه القول وكررت، قال لها: لقد كررت القول علي، كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة، ولا ترعين لها حقا. قالت: إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن قطع ما بقي، وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي، وكنت أنا الأخيرة لم ترض — وإن أدركك الفتور — أن أبقى في الشرك. قال الجرذ: هذا مما يريد الرغبة والمودة فيك ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها، فانطلقت المطوقة وحمامها معها

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته، فجاء وناداه باسمه. فأخرج الجرذ رأسه، فقال له: ما حاجتك؟ قال: إني أريد مصادقتك. قال الجرذ: ليس بيني وبينك تواصل. وإنما العاقل ينبغي له أن يلتمس ما يجد إليه

---

[1] سائر: بمعنى بقية، ويخطئ أو يكاد من يستعملها بمعنى جميع



الجرذ جاد في قطع الحبائل



الغراب يطلب ود الجرذ

سَبِيلاً ، وَيَتْرُكَ الْتِمَاسَ مَا لَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ الْآكِلُ وَأَنَا طَعَامٌ لَكَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ لِي طَعَامًا مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آنَسُ لِي مِمَّا ذَكَرْتَ ، وَلَسْتَ بِحَقِيقٍ إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا . فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا رَغَّبَنِي فِيكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذَلِكَ . فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ . كَالْمِسْكِ الَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ النَّشْرِ [1] الطَّيِّبِ وَالْأَرَجِ الْفَائِحِ [2] . قَالَ الْجُرَذُ : إِنَّ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ الْجَوْهَرِ . وَهِيَ عَدَاوَتَانِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِئٌ

---

١ الرائحة الطيبة ٢ الأرج محركة : نفحة ريح الطيب

كَعَدَاوَةِ الْفِيلِ وَالْأَسَدِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ الْأَسَدُ الْفِيلَ أَوْ الْفِيلُ الْأَسَدَ وَمِنْهَا مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ كَعَدَاوَةِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ السِّنَّوْرِ [1]، وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَنَا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ، وَإِنَّمَا ضَرَرُهَا عَائِدٌ عَلَيَّ. فَإِنَّ الْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنْ إِطْفَائِهِ النَّارَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَصَاحِبِ الْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ. وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى الْعَدُوِّ الْأَرِيبِ.

قَالَ الْغُرَابُ: قَدْ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ، وَأَنْتَ خَلِيقٌ أَنْ تَأْخُذَ بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ، وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالَتِي، وَلَا تُصَعِّبَ عَلَيَّ الْأَمْرَ بِقَوْلِكَ: لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ. فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ الْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ عَلَى مَعْرُوفٍ جَزَاءً. وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا، بَطِيءٌ انْقِطَاعُهَا. وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْكُوزِ مِنَ الذَّهَبِ بَطِيءُ الِانْكِسَارِ، سَرِيعُ الْإِعَادَةِ، هَيِّنُ الْإِصْلَاحِ

---

[1] السنور بكسر السين وفتح النون مشددة: القط وهو حيوان لطيف ظريف منه البري والأهلي يمسح بلعابه وجهه، وإذا تلطخ شيء من بدنه نظفه، وإذا جاعت الأنثى أكلت أولادها، وإذا ألف السنور منزلا منع غيره دخوله. له نفس غضوب. يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الانسان في أمور منها أنه يعطش ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده

إنْ أصابَهُ ثَلْمٌ أوْ كَسْرٌ . وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الأشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا ، بَطِيءٌ اتِّصَالُهَا . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْكُوزِ مِنَ الْفَخَّارِ ، سَرِيعُ الانْكِسَارِ ، يَنْكَسِرُ مِنْ أدْنَى عَيْبٍ ، وَلَا وَصْلَ لَهُ أبَدًا . وَالْكَرِيمُ يَوَدُّ الْكَرِيمَ ، وَاللَّئِيمُ لَا يَوَدُّ أحَدًا إلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أوْ رَهْبَةٍ . وَأنَا إلَى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتَاجٌ ، لِأنَّكَ كَرِيمٌ . وَأنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ ، غَيْرَ ذَائِقٍ طَعَامًا حَتَّى تُؤَاخِيَنِي . قَالَ الْجُرَذُ : قَدْ قَبِلْتُ إخَاءَكَ فَإنِّي لَمْ أرْدُدْ أحَدًا عَنْ حَاجَةٍ قَطُّ . وَإنَّمَا بَدَأْتُكَ بِمَا بَدَأْتُكَ بِهِ إرَادَةَ التَّوَثُّقِ لِنَفْسِي فَإنْ أنْتَ غَدَرْتَ بِي لَمْ تَقُلْ : إنِّي وَجَدْتُ الْجُرَذَ سَرِيعَ الانْخِدَاعِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ ، فَوَقَفَ عِنْدَ الْبَابِ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إلَيَّ ؟ وَالِاسْتِئْنَاسِ بِي . فَهَلْ فِي نَفْسِكَ مِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ رِيبَةٌ ؟ قَالَ الْجُرَذُ : إنَّ أهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أمْرَيْنِ ، وَيَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهِمَا ، وَهُمَا ذَاتُ النَّفْسِ وَذَاتُ الْيَدِ . فَالْمُتَبَاذِلُونَ ذَاتَ النَّفْسِ هُمُ الأصْفِيَاءُ . وَأمَّا الْمُتَبَاذِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمُ الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الِانْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا : فَإنَّمَا مَثَلُهُ فِيمَا يَبْذُلُ وَيُعْطِي كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَإلْقَائِهِ الْحَبَّ لِلطَّيْرِ : لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَ الطَّيْرِ ، وَإنَّمَا

يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعَاطِي ذَاتِ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعَاطِي ذَاتِ الْيَدِ . وَإِنِّي وَثِقْتُ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ ، وَمَنَحْتُكَ مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ سُوءُ ظَنٍّ بِكَ ، وَلَكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ[1] ، وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِيَّ كَرَأْيِكَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا ، وَلِعَدُوِّ عَدُوِّهِ عَدُوًّا . وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبٍ وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا . وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةُ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ جَوْهَرِي . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ إِلَى الْغُرَابِ ، فَتَصَافَحَا وَتَصَافَيَا ، وَأَنِسَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ . حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَهُمَا أَيَّامٌ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ . وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيَكَ بَعْضُ الصِّبْيَانِ بِحَجَرٍ . وَلِي مَكَانٌ فِي عُزْلَةٍ ، وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ . وَهُوَ مُخْصِبٌ مِنَ السَّمَكِ . وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ . فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى هُنَاكَ لِنَعِيشَ آمِنَيْنِ . قَالَ الْجُرَذُ : إِنَّ لِي أَخْبَارًا وَقِصَصًا سَأَقُصُّهَا عَلَيْكَ إِذَا انْتَهَيْنَا حَيْثُ تُرِيدُ .

---

[1] جوهر الشيء : أصله

٥٤



الغراب يحمل الجرذ الى مكان السلحفاة



الجرذ يقص على السلحفاة والغراب قصصه

فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ . فَأَخَذَ الْغُرَابُ بِذَنَبِ الْجُرَذِ . وَطَارَ بِهِ حَيْثُ أَرَادَ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِيهَا السُّلَحْفَاةُ بَصُرَتِ السُّلَحْفَاةُ بِغُرَابٍ وَمَعَهُ جُرَذٌ . فَذُعِرَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا . فَنَادَاهَا . فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَّتِهِ حِينَ تَبِعَ الْحَمَامَ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرَذِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ شَأْنَ الْجُرَذِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ وَرَحَّبَتْ بِهِ . وَقَالَتْ لَهُ : مَا سَاقَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ؟ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : اقْصُصْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تُحَدِّثُنِي بِهَا . فَأَخْبِرْنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلَتِ السُّلَحْفَاةُ ، فَإِنَّهَا عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي . فَبَدَأَ الْجُرَذُ وَقَالَ :

كانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ ، في بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ ، وَكَانَ خَالِيًا مِنَ الأَهْلِ وَالعِيَالِ ، وَكَانَ يُؤْتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بِسَلَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، وَيُعَلِّقُ البَاقِيَ . وَكُنْتُ أَرْصُدُ النَّاسِكَ حَتَّى يَخْرُجَ ، وَأَثِبُ إِلَى السَّلَّةِ ، فَلَا أَدَعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ ، وَأَرْمِي بِهِ إِلَى الجِرْذَانِ . فَجَهِدَ النَّاسِكُ مِرَارًا أَنْ يُعَلِّقَ السَّلَّةَ مَكَانًا لَا أَنَالُهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلَا جَمِيعًا . ثُمَّ أَخَذَا فِي الحَدِيثِ . فَقَالَ النَّاسِكُ لِلضَّيْفِ : مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ تُرِيدُ الآنَ ؟ وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ جَابَ الآفَاقَ [١] ، وَرَأَى عَجَائِبَ . فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا وَطِئَ [٢] مِنَ البِلَادِ ، وَرَأَى مِنَ العَجَائِبِ . وَجَعَلَ النَّاسِكُ خِلَالَ ذَلِكَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنَفِّرَنِي عَنِ السَّلَّةِ . فَغَضِبَ الضَّيْفُ ، وَقَالَ : أَنَا أُحَدِّثُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَدِيثِي . فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا أُصَفِّقُ بِيَدِي لِأُنَفِّرَ جُرَذًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَسْتُ أَضَعُ فِي البَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ . فَقَالَ الضَّيْفُ : جُرَذٌ وَاحِدٌ أَمْ جِرْذَانٌ كَثِيرَةٌ ؟ فَقَالَ النَّاسِكُ : جِرْذَانُ البَيْتِ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنَّ فِيهَا جُرَذًا وَاحِدًا هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي ، فَمَا

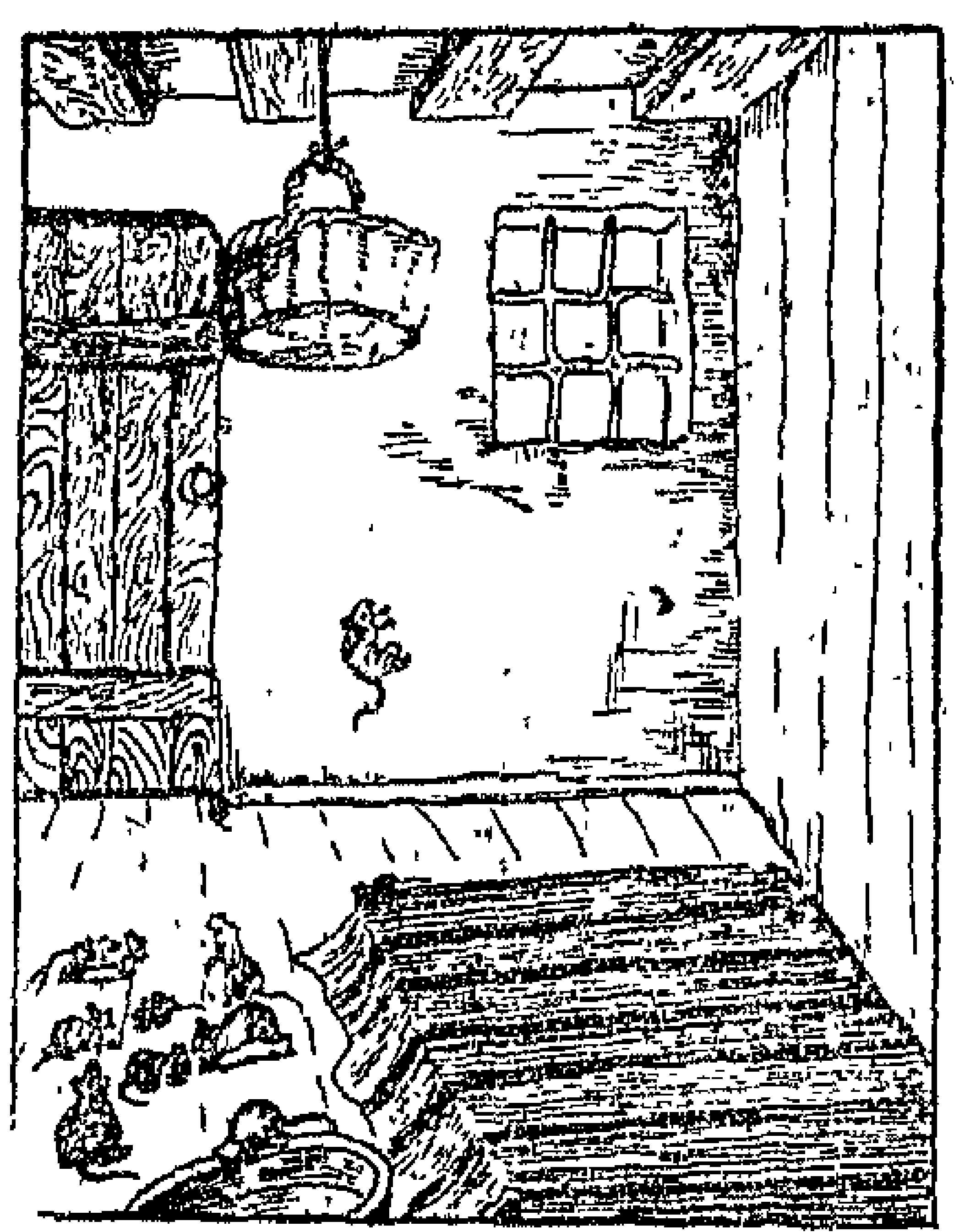
---

١ طاف النواحي   ٢ نزل

٥٥



الضيف يغضب لتضييق الناسك



الجرذان تنعم بعيش الناسك

أَسْتَطِيعُ لَهُ حِيلَةً . قَالَ الضَّيْفُ : لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قَوْلَ الَّذِي قَالَ : لِأَمْرٍ مَا [١] بَاعَتْ هٰذِهِ الْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . قَالَ النَّاسِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟

قَالَ الضَّيْفُ : نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانِ كَذَا فَتَعَشَّيْنَا ، ثُمَّ فَرَشَ لِي ، وَانْقَلَبَ الرَّجُلُ عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ لِامْرَأَتِهِ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ غَدًا رَهْطًا [٢] لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا ، فَاصْنَعِي لَهُمْ طَعَامًا . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : كَيْفَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ ؟ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ عَنْ عِيَالِكَ ، وَأَنْتَ

---

١ أي لأمر عظيم وتعرب ما نكرة في محل جر صفة لأمر .

٢ الرهط يطلق على ما دون العشرة وليس له واحد من لفظه



الخنزير يدرك القانص





الذئب وقد أصابته سية القوس فقتلته

وَرَجُلٌ لاَ تُبْقِي شَيْئًا وَلاَ تَدَّخِرُهُ . قَالَ الرَّجُلُ : لاَ تَنْدَمِي عَلَى شَيْءٍ أَطْعَمْنَاهُ وَأَنْفَقْنَاهُ ، فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالِادِّخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَةِ الذِّئْبِ . قَالَتِ الْمَرْأَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ الرَّجُلُ : زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قَانِصٌ [١] وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشَّابُهُ [٢] ، فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى رَمَى ظَبْيًا [٣] .

---

١ صائد ٢ النشاب بالضم : السهام وهو جمع نشابة

٣ الظبي : الغزال وجمعه أظب وظباء ، والظباء مختلفة الألوان وهي أصناف : صنف يقال له الآرام : وهي ظباء خالصة البياض ومساكنها الرمال ، ويقال إنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوما وشحوما. وصنف يسمى العفر وألوانه الحمرة وهي قصار الأعناق وأقل الظباء عددا

فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طَالِبًا مَنْزِلَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ . فَرَمَاهُ بِنُشَّابَةٍ نَفَذَتْ مِنْهُ ، فَأَدْرَكَهُ الْخِنْزِيرُ ، وَضَرَبَهُ بِأَنْيَابِهِ ضَرْبَةً أَطَارَتْ مِنْ يَدِهِ الْقَوْسَ . وَوَقَعَا مَيِّتَيْنِ . فَأَتَى عَلَيْهِمْ ذِئْبٌ ، فَقَالَ : هٰذَا الرَّجُلُ وَالظَّبْيُ وَالْخِنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلُهُمْ مُدَّةً ، وَلٰكِنْ أَبْدَأُ بِهٰذَا الْوَتَرِ فَآكُلُهُ ، فَيَكُونُ قُوتَ يَوْمِي فَعَالَجَ الْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ . فَلَمَّا انْقَطَعَ طَارَتْ سِيَةُ الْقَوْسِ [1] ، فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكِ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْجَمْعَ وَالِادِّخَارَ وَخِيمُ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : نِعْمَ مَا [2] قُلْتَ . وَعِنْدَنَا مِنَ الْأَرُزِّ وَالسِّمْسِمِ مَا يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ [3] أَوْ سَبْعَةً . فَأَنَا غَادِيَةٌ [4] عَلَى اصْطِنَاعِ الطَّعَامِ . فَادْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سِمْسِمًا فَقَشَرَتْهُ ، وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ لِيَجِفَّ . وَقَالَتْ لِغُلَامٍ لَهُمْ : اُطْرُدْ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالْكِلَابَ . وَتَفَرَّغَتِ الْمَرْأَةُ لِصُنْعِهَا ، وَتَغَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السِّمْسِمِ . فَجَاءَ كَلْبٌ فَعَاثَ فِيهِ [5]

تألف المواضع المرتفعة من الأرض والاماكن الصلبة . وصنف يسمى الأدم طوال الاعناق وبيض البطون

[1] سية القوس بكسر ففتح : ما عطف من طرفها

[2] ما : فاعل نعم على الصحيح

[3] النفر : من ثلاثة الى عشرة وقيل الى سبعة ولا يقال نفر فيما زاد على العشر ولذلك صلح أن يقال ثلاثة نفر وثلاثة أنفار

[4] مبكرة

[5] أفسده

فَاسْتَقْذَرَتْهُ الْمَرْأَةُ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعَامًا لَنَا. فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ. فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَايَضَةً سِمْسِمًا غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلًا بِمِثْلٍ. وَأَنَا[١] وَاقِفٌ فِي السُّوقِ. فَقَالَ رَجُلٌ: لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ الْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ. وَكَذٰلِكَ قَوْلِي فِي هٰذَا الْجُرَذِ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَا شَكَوْتَ مِنْهُ. فَالْتَمِسْ لِي فَأْسًا، لَعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ، فَأَطَّلِعَ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ. فَاسْتَعَارَ النَّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَأْسًا، فَأَتَى بِهَا الضَّيْفَ. وَأَنَا[٢] حِينَئِذٍ فِي جُحْرٍ غَيْرِ جُحْرِي، أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا. وَفِي جُحْرِي كِيسٌ فِيهِ مِائَةُ دِينَارٍ لَا أَدْرِي مَنْ وَضَعَهَا. فَاحْتَفَرَ الضَّيْفُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا، وَقَالَ لِلنَّاسِكِ: مَا كَانَ هٰذَا الْجُرَذُ يَقْوَى عَلَى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِبُ إِلَّا بِهٰذِهِ الدَّنَانِيرِ، فَإِنَّ الْمَالَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَزِيَادَةً فِي الرَّأْيِ وَالتَّمَكُّنِ. وَسَتَرَى بَعْدَ هٰذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِبُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَ الْجِرْذَانُ الَّتِي كَانَتْ مَعِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَصَابَنَا الْجُوعُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا. فَانْطَلَقْتُ وَمَعِيَ الْجِرْذَانُ إِلَى الْمَكَانِ

---

١ هذا الضمير للضيف وهو يحدث الناسك ٢ هذا الضمير ضمير الجرذ وهو يحدث السلحفاة والغراب عن أمره

الَّذِى كُنْتُ أَثِبُ مِنْهُ إِلَى السَّلَّةِ . فَحَاوَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ فَاسْتَبَانَ لِلجِرذَانِ نَقْصُ حَالِي فَسَمِعْتُهُنَّ يَقُلْنَ : انْصَرِفْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ ، فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالًا لَا نَحْسَبُهُ إِلَّا قَدِ احْتَاجَ مَعَهَا إِلَى مَنْ يَعُولُهُ . فَتَرَكْنَنِي ، وَلَحِقْنَ بِأَعْدَائِي ، وَجَفَوْنَنِي ، وَأَخَذْنَ فِي غِيبَتِي عِنْدَ مَنْ يُعَادِينِي وَيَحْسُدُنِي . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا الْإِخْوَانُ وَلَا الْأَعْوَانُ وَلَا الْأَصْدِقَاءُ إِلَّا بِالْمَالِ . وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَعَدَ بِهِ الْعُدْمُ[1] عَمَّا يُرِيدُهُ : كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأَوْدِيَةِ مِنْ مَطَرِ الشِّتَاءِ : لَا يَمُرُّ إِلَى نَهْرٍ ، وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ ، فَتَشْرَبُهُ أَرْضُهُ . وَوَجَدْتُ مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ[2] ، وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ وَإِخْوَانُهُ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السِّبَاخِ[3] الْمَأْكُولَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَحَالِ الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَوَجَدْتُ الْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ ، وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلَّ مَقْتٍ وَمَعْدِنَ النَّمِيمَةِ . وَوَجَدْتُ

---

١ العدم بالضم : الفقر ٢ ما لم يكن من العاملين الذين قد أقاموا لهم فى الحياة آثاراً ٣ السباخ بالكسر : جمع سبخة بالتحريك وهى الأرض ذات الملح والنز

الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ اتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا ، وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ فِيهِ حَسَنًا . فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتُّهْمَةِ مَوْضِعًا ، وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ . فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ [1] ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُبَذِّرًا ، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا . فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي تُحْوِجُ صَاحِبَهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ [2] ، وَلَا سِيَّمَا مَسْأَلَةِ الْأَشِحَّاءِ [3] وَاللِّئَامِ ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ كُلِّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمًّا فَيَبْتَلِعَهُ كَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ الْبَخِيلِ اللَّئِيمِ . وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا النَّاسِكَ . فَجَعَلَ النَّاسِكُ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ [4] عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ . فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرُدَّهُ إِلَى جُحْرِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ فِي قُوَّتِي ، وَيُرَاجِعَنِي بِسَبَبِهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي . فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّاسِكِ وَهُوَ نَائِمٌ حَتَّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ . وَوَجَدْتُ الضَّيْفَ يَقْظَانَ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ . فَضَرَبَنِي عَلَى رَأْسِي ضَرْبَةً مُوجِعَةً . فَسَعَيْتُ إِلَى جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ عَنِّي الْأَلَمُ

---

١ أي أحمق طائشا ٢ سؤال الناس ٣ البخلاء : جمع بخيل وهو الشحيح ٤ الخريطة : الكيس من الجلد وغيره

هَيَّجَنِي الْحِرْصُ وَالشَّرَهُ . فَخَرَجْتُ طَمَعًا كَطَمَعِي الْأَوَّلِ . وَإِذَا الضَّيْفُ يَرْصُدُنِي . فَضَرَبَنِي ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّي الدَّمَ . فَتَقَلَّبْتُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ إِلَى جُحْرِي ، فَخَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ ، فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ مَا بَغَّضَ إِلَيَّ الْمَالَ . حَتَّى لَا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَدَاخَلَنِي مِنْ ذِكْرِ الْمَالِ رِعْدَةٌ وَهَيْبَةٌ . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ ، فَوَجَدْتُ الْبَلَاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ الْحِرْصُ وَالشَّرَهُ . وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَوَجَدْتُ تَجَشُّمَ الْأَسْفَارِ الْبَعِيدَةِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ بَسْطِ الْيَدِ إِلَى السَّخِيِّ بِالْمَالِ . وَلَمْ أَرَ كَالرِّضَا شَيْئًا . فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَنِعْتُ . وَانْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ . وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الْحَمَامِ فَسِيقَتْ إِلَيَّ بِصَدَاقَتِهِ صَدَاقَةُ الْغُرَابِ . ثُمَّ ذَكَرَ لِي الْغُرَابُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ الْمَجِيءَ إِلَيْكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ مَعَهُ ، فَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْ سُرُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَانِ ، وَلَا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ الْبُعْدَ عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ الْكَفَافِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَهُوَ الْيَسِيرُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى صِحَّةِ الْبَدَنِ وَرَفَاهَةِ الْبَالِ . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وُهِبَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَا

فِيهَا لَمْ يَكُ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقَلِيلِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْحَاجَةَ . فَأَقْبَلْتُ مَعَ الْغُرَابِ إِلَيْكَ عَلَى هٰذَا الرَّأْيِ ، وَأَنَا لَكَ أَخٌ . فَلْتَكُنْ مَنْزِلَتِي عِنْدَكَ كَذَلِكَ

فَلَمَّا فَرَغَ الْجُرَذُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ السُّلَحْفَاةُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ عَذْبٍ ، وَقَالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا تَحَدَّثْتَ بِهِ ! إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَجِدْ لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً . فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ ، وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ الْمَالِ . فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ : كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا [١] ، وَالْغَنِيَّ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ : كَالْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ بِهِ وَإِنْ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ بِالذَّهَبِ . فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ . فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ : كَالْأَسَدِ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ إِلَّا وَمَعَهُ قُوَّتُهُ . فَلْتُحْسِنْ تَعَاهُدَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ ، كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ انْحِدَارَهُ . وَإِنَّمَا جُعِلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ

---

١ . آويا الى عرينه

الْبَصِيرِ بِالْأُمُورِ . وَأَمَّا الْكَسْلَانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ . . . وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ : ظِلِّ الْغَمَامَةِ فِي الصَّيْفِ ، وَخُلَّةِ الْأَشْرَارِ ١ ، وَالْبِنَاءِ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، وَالْمَالِ الْكَثِيرِ . فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقِلَّتِهِ ، وَإِنَّمَا مَالُ الْعَاقِلِ عَقْلُهُ ، وَمَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . فَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يُسْلَبُ مَا عَمِلَ ، وَلَا يُؤَاخَذُ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ ، وَهُوَ خَلِيقٌ أَلَّا يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً ، لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ . وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مَا لَكَ مِنْ حَقٍّ قِبَلَنَا ، لِأَنَّكَ أَخُونَا ، وَمَا عِنْدَنَا مِنَ النُّصْحِ مَبْذُولٌ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلَامَ السُّلَحْفَاةِ لِلْجُرَذِ وَرَدَّهَا عَلَيْهِ وَمُلَاطَفَتَهَا إِيَّاهُ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : لَقَدْ سَرَرْتِنِي ، وَأَنْعَمْتِ عَلَيَّ ، وَأَنْتِ جَدِيرَةٌ أَنْ تَسُرِّي نَفْسَكِ بِمِثْلِ مَا سَرَرْتِنِي بِهِ . وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ السُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبْعُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَعْمُورًا ، وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ

---

١ مصادقتهم

٥٧



الغراب يحلق ليرى هل للظبي طالب



الظبي والجرذ والغراب والسلحفاة مستأنسين

بِالْمِرْصَادِ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَثَرَ لَا يَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكِرَامُ :
كَالْفِيلِ إِذَا وَحِلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفِيَلَةُ

فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى . فَذُعِرَتْ مِنْهُ السُّلَحْفَاةُ . فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ . وَخَرَجَ الْجُرَذُ إِلَى جُحْرِهِ . وَطَارَ الْغُرَابُ فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَّقَ فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ : هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ ؟ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا . فَنَادَى الْجُرَذَ وَالسُّلَحْفَاةَ وَخَرَجَا . فَقَالَتِ السُّلَحْفَاةُ لِلظَّبْيِ حِينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ : اشْرَبْ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ ، وَلَا تَخَفْ ، فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا الظَّبْيُ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلَحْفَاةُ وَحَيَّتْهُ ،

وَقَالَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْنَحُ [١] بِهٰذِهِ الصَّحَارِي . فَلَمْ تَزَلِ الأَسَاوِرَةُ [٢] تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا ، فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا . قَالَتْ : لاَ تَخَفْ ، فَإِنَّا لَمْ نَرَ هٰهُنَا قَانِصًا قَطُّ . وَنَحْنُ نَبْذُلُ لَكَ وُدَّنَا وَمَكَانَنَا ، وَالْمَاءُ وَالْمَرْعَى كَثِيرَانِ عِنْدَنَا ، فَارْغَبْ فِي صُحْبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّبْيُ مَعَهُمْ . وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ [٣] يَجْتَمِعُونَ فِيهِ ، وَيَتَذَاكَرُونَ الأَحَادِيثَ وَالأَخْبَارَ . فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرَذُ وَالسُّلَحْفَاةُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ غَابَ الظَّبْيُ . فَتَوَقَّعُوهُ سَاعَةً فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا [٤] أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ [٥] . فَقَالَ الْجُرَذُ وَالسُّلَحْفَاةُ لِلْغُرَابِ : اُنْظُرْ : هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا شَيْئًا ؟ فَحَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ فَإِذَا الظَّبْيُ فِي الْحَبَائِلِ مُقْتَنَصًا . فَانْقَضَّ مُسْرِعًا ، فَأَخْبَرَهُمَا بِذٰلِكَ . فَقَالَتِ السُّلَحْفَاةُ وَالْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : هٰذَا أَمْرٌ لاَ يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ . فَأَغِثْ أَخَاكَ . فَسَعَى الْجُرَذُ مُسْرِعًا . فَأَتَى الظَّبْيَ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَقَعْتَ فِي

---

١ سنح الظبي والطير وغيرهما سنوحا : مر من المياسر الي الميامن: ولكن المراد هنا أنه يرتع ويرعى ٢ الاساورة : جمع أسوار بالضم والكسر وهو الرامى بالسهام ٣ العريش : المكان يستظل به عند الظهيرة وجمعه عرش بضمتين ٤ خافوا ٥ العنت : الأمر الشاق

هٰذِهِ الْوَرْطَةِ ؟ وَأَنْتَ مِنَ الأَكْيَاسِ [1] . قَالَ الظَّبْيُ : هَلْ يُغْنِي الْكَيْسُ مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا ؟ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَدِيثِ إِذْ وَافَتْهُمَا السُّلَحْفَاةُ . فَقَالَ لَهَا الظَّبْيُ : مَا أَصَبْتِ بِمَجِيئِكِ إِلَيْنَا ، فَإِنَّ الْقَانِصَ لَوِ انْتَهَى إِلَيْنَا — وَقَدْ قَطَعَ الْجُرَذُ الْحَبَائِلَ — اسْتَبَقْتُهُ عَدْوًا ، وَلِلْجُرَذِ أَجْحَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَالْغُرَابُ يَطِيرُ ، وَأَنْتِ ثَقِيلَةٌ لَا سَعْيَ لَكِ وَلَا حَرَكَةَ ، وَأَخَافُ عَلَيْكِ الْقَانِصَ . قَالَتْ : لَا عَيْشَ مَعَ فِرَاقِ الأَحِبَّةِ ، وَإِذَا فَارَقَ الأَلِيفُ أَلِيفَهُ فَقَدْ سُلِبَ فُؤَادُهُ ، وَحُرِمَ سُرُورَهُ ، وَغُشِّيَ بَصَرُهُ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهُمَا حَتَّى وَافَى الْقَانِصُ . وَوَافَقَ ذَلِكَ فَرَاغَ الْجُرَذِ مِنْ قَطْعِ الشَّرَكِ . فَنَجَا الظَّبْيُ بِنَفْسِهِ . وَطَارَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا . وَدَخَلَ الْجُرَذُ بَعْضَ الأَجْحَارِ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السُّلَحْفَاةِ . وَدَنَا الصَّيَّادُ فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ مُقَطَّعَةً . فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا . فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ السُّلَحْفَاةِ تَدِبُّ . فَأَخَذَهَا وَرَبَطَهَا فَلَمْ يَلْبَثِ الْغُرَابُ وَالْجُرَذُ وَالظَّبْيُ أَنِ اجْتَمَعُوا ، فَنَظَرُوا الْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ السُّلَحْفَاةَ . فَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ . وَقَالَ الْجُرَذُ : مَا أَرَانَا نُجَاوِزُ عَقَبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا فِي أَشَدَّ مِنْهَا ، وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ : لَا يَزَالُ

---

[1] الأَكْيَاس : جمع كيس كسيد وهو الفطن الظريف .

الْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعْثُرْ، فَإِذَا عَثَرَ لَجَّ[1] بِهِ الْعِثَارُ وَإِنْ مَشَى فِي جَدَدِ[2] الْأَرْضِ. وَحَذَرِي عَلَى السَّاحْفَاةِ خَيْرِ الْأَصْدِقَاءِ الَّتِي خِلَّتُهَا[3] لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا لِالْتِمَاسِ مُكَافَأَةٍ، وَلَكِنَّهَا خِلَّةُ الْكَرَمِ وَالشَّرَفِ، خِلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خِلَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، خِلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْمَوْتُ. وَيْحٌ[4] لِهَذَا الْجَسَدِ الْمُوَكَّلِ بِهِ الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ، وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ، وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ: كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ النُّجُومِ طُلُوعٌ، وَلَا لِلْآفِلِ مِنْهَا أُفُولٌ. لَكِنْ لَا يَزَالُ الطَّالِعُ مِنْهَا آفِلًا، وَالْآفِلُ طَالِعًا: وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ الْكُلُومِ[5] وَانْتِقَاضُ[6] الْجِرَاحَاتِ، كَذَلِكَ مَنْ قَرِحَتْ كُلُومُهُ[7] بِفَقْدِ

---

١ لج : عادى ٢ جدد : محركة : الارض المستوية

٣ الخلة بالكسر : الصحبة ٤ ويح : كلمة ترحم وتوجع، وقد تقال بمعنى المدح والتعجب وقيل هى بمعنى ويل، يقال ويح لزيد وويحاً له (ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار الفعل) كأنك قلت : ألزمه الله ويحاً وتقول : «ويح زيد وويحه وويحما زيد» بزيادة (ما) ونصبها به أيضاً. وقيل : أصله ويحه فوصلت بباء موحدة مرة وبحاء مهملة أخرى وبخاء معجمة تارة وبسين أخرى وبلام آونة وبهاء أخرى، فقيل : ويب وويح وويخ وويس وويل وويه

٥ الكلوم : جمع كلم وهو الجرح ٦ انتقاضها : انتكاسها

٧ قرحت : يقال : قرح الرجل قرحاً بالتحريك : خرجت فيه القروح

إِخْوَانِهِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ بِهِمْ . فَقَالَ الظَّبْيُ وَالْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : إِنَّ حَذَرَنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ — وَإِنْ كَانَ بَلِيغًا — كُلٌّ مِنْهَا لَا يُغْنِي عَنِ السُّلَحْفَاةِ شَيْئًا . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ : إِنَّمَا يُخْتَبَرُ النَّاسُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَذُو الأَمَانَةِ عِنْدَ الأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، وَالأَهْلُ وَالْوَلَدُ عِنْدَ الْفَاقَةِ ، كَذَلِكَ يُخْتَبَرُ الإِخْوَانُ عِنْدَ النَّوَائِبِ . قَالَ الْجُرَذُ : أَرَى مِنَ الْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ — أَيُّهَا الظَّبْيُ — فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ الْقَانِصِ كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعَ الْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ ، وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا مِنَ الْقَانِصِ مُرَاقِبًا لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا مَعَهُ مِنَ الآلَةِ ، وَيَضَعُ السُّلَحْفَاةَ ، وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ ، رَاجِيًا تَحْصِيلَكَ . فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُوَيْدًا ، بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ مِنْكَ وَمَكِّنْهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا . وَانْحُ مِنْهُ هَذَا النَّحْوَ مَا اسْتَطَعْتَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتُ الْحَبَائِلَ عَنِ السُّلَحْفَاةِ ، وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ الْغُرَابُ وَالظَّبْيُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ الْجُرَذُ . وَتَبِعَهُمَا الْقَانِصُ . فَاسْتَجَرَّهُ الظَّبْيُ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الْجُرَذِ وَالسُّلَحْفَاةِ ، وَالْجُرَذُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ الْحَبَائِلِ حَتَّى قَطَعَهَا ، وَنَجَا بِالسُّلَحْفَاةِ . وَعَادَ

٥٨



الظبي يتراءي للقانص كأنه جريح



الظبي يستطرد للقانص

القَانِصُ مَجْهُودًا لاغِبًا[1] . فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ مُقَطَّعَةً . فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظَّبْيِ المُتَظَلِّعِ[2] . فَظَنَّ أَنَّهُ خُولِطَ فِي عَقْلِهِ . وَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الظَّبْيِ وَالغُرَابِ الَّذِي كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَقَرْضِ حِبَالَتِهِ . فَاسْتَوْحَشَ مِنَ الأَرْضِ ، وَقَالَ : هٰذِهِ أَرْضُ جِنٍّ[3] أَوْ سَحَرَةٍ[4] فَرَجَعَ مُوَلِّيًا لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . وَاجْتَمَعَ الغُرَابُ وَالظَّبْيُ وَالجُرَذُ وَالسُّلَحْفَاةُ إِلَى عَرِيشِهِمْ سَالِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ

---

١ لاغبا : تعبا ٢ المتصنع العرج ٣ جن : الجن خلاف الانس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين ،

٤ السحرة : جمع ساحر وهو من يعمل للسحر ، وفسروه باخراج الشيء في أوفق مظاهره حتى يخدع أو يفتن

٥٩



الظبي والجرذ والغراب والسلحفاة في عريشهم آمنين

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها، وثبات قلبه عليها ، واستمتاعه مع أصحابه بعضهم ببعض ، فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد. فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة

(انتهى باب الحمامة المطوقة)

البوم والغربان[١]

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَتَعَاوُنِهِمْ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : مَنِ اغْتَرَّ بِالْعَدُوِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَدُوًّا أَصَابَهُ

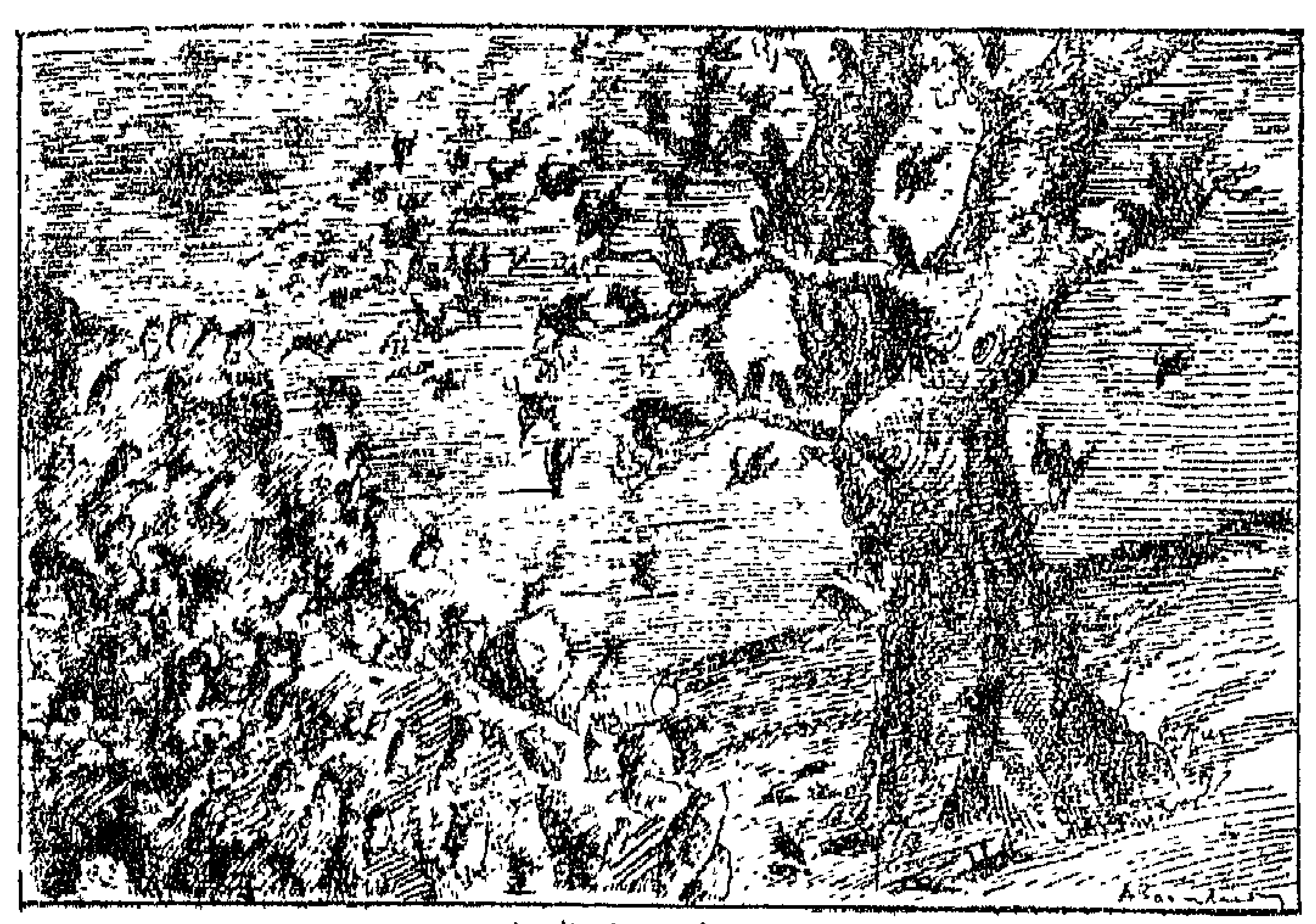
---

١ البوم : طائر قصير ضخم ورأسه كبير بالنسبة الى جسمه ، وربما نتأ فيه مثل القرون أو الآذان ، وعيناه كبيرتان جداً في حدقتين مستديرتين تتجهان الى الامام ، وهي في أكثر الأنواع معدة للنظر غلسا أو عند الزوال أو ليلا فاذا عرضت لضوء النهار تفرست دون أن تبصر ، وأذناه كبيرتان لهما شبه غطاء ، وجناحاه معتدلان عريضان مستديران مجهزان بما يكسبهما نشاطا دون صوت مساء وغلسا

وريش البوم ناعم وأنثاه أكبر من ذكره وهي تشبه الذكر في لونها ، وهيئة الوجه والعينين أشبه بهيئة الهر . وتبيض الانثى من بيضتين الى خمس بيضات

أما أنواعه فكثيرة جداً ، وأكثرها ليلي ولا يطير منه في النهار الا القليل . وأكبره يغتذى بالحشرات وخصوصاً الفيران والعصافير ، وأصغره يغتذى أيضاً بالحشرات الصغيرة . ولبعضه أصوات مختلفة فربما نبح كالكلب أو أتى بأصوات كصوت المنادى أو المستغيث فيضل بها السافر ليلا ظنا منه أنها صادرة من العمار

٦٠



هجوم البوم على الغربان

مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغِرْبَانِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الدَّوْحِ [1] ، فِيهَا وَكْرُ أَلْفِ غُرَابٍ . وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ . وَكَانَ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ [2] فِيهِ أَلْفُ بُومَةٍ ، وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ [3] — وَفِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةُ لِمَلِكِ الْغِرْبَانِ ، وَفِي نَفْسِ الْغِرْبَانِ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذَلِكَ لِلْبُومِ — فَأَغَارَ مَلِكُ الْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الْغِرْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا ، فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا ،

١ الدوح : جمع دوحة : وهى الشجرة العظيمة ٢ الكهف : المغارة ٣ يريد : ذهابه وإيابه

وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم ، وما منا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح ، أو منتوف الريش ، أو مقطوف الذنب . وأشد مما أصابنا ضراً علينا جراءتهن علينا ، وعلمهن بمكاننا ، وهن عائدات إلينا غير منقطعات عنا : لعلمهن بمكاننا . فإنما نحن لك ، ولك الرأي أيها الملك ، فانظر لنا ولنفسك . وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأي ، يسند إليهن في الأمور ، ويلقى عليهن أزمة[1] الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهن في الأمور ، ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأي قد سبقتنا إليه العلماء ، وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحنق[2] إلا الهرب منه . قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : رأيي ما رأى هذا من الهرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً : أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ، ولا ينبغي لنا ذلك . ولكن نجمع أمرنا ، ونستعد لعدونا ، ونذكي[3] نار

---

[1] جمع زمام   [2] الحنق : الشديد الغيظ   [3] نشعل ونضرم

الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ، وَنَحْتَرِسُ مِنَ الْغِرَّةِ [١] إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا ، فَنَلْقَاهُ مُسْتَعِدِّينَ ، وَنُقَاتِلُهُ قِتَالاً غَيْرَ مُرَاجِعِينَ فِيهِ ، وَلاَ مُقَصِّرِينَ عَنْهُ ، وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِّ ، وَنَتَحَرَّزُ بِحُصُونِنَا ، وَنُدَافِعُ عَدُوَّنَا : بِالأَنَاةِ مَرَّةً ، وَبِالْجِلاَدِ [٢] أُخْرَى ، حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنَا وَبُغْيَتَنَا ، وَقَدْ ثَنَيْنَا عَدُوَّنَا عَنَّا .

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّالِثِ : مَا رَأْيُكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَرَى مَا قَالاَ رَأْياً ، وَلَكِنْ نَبُثُّ الْعُيُونَ [٣] ، وَنَبْعَثُ الْجَوَاسِيسَ ، وَنُرْسِلُ الطَّلاَئِعَ [٤] بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ، فَنَعْلَمُ : أَيُرِيدُ صُلْحَنَا ؟ أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا ؟ أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ [٥] ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ لَمْ نَكْرَهِ الصُّلْحَ عَلَى خَرَاجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنَا ، وَنَطْمَئِنُّ فِي أَوْطَانِنَا . فَإِنَّ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ عَدُوِّهِمْ فَخَافُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلاَدِهِمْ ، أَنْ يَجْعَلُوا الأَمْوَالَ جُنَّةَ الْبِلاَدِ [٦] وَالْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ .

---

١ الغرة بالكسر : الغفلة ٢ الجلاد : الشدة والصبر

٣ أى نرسل الجواسيس والرقباء ٤ الطلائع : جمع طليعة وهى ما ترسل أمام الجيش من الجنود لاستكشاف مكامن العدو

٥ ما يعطى من المال عوض المفدى عنه ٦ أى حصنا نقى البلاد طوارئ الأعداء

قَالَ الْمَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ : لَا أَرَاهُ رَأْيًا . بَلْ أَنْ نُفَارِقَ أَوْطَانَنَا وَنَصْبِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا ، وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ ، مَعَ أَنَّ الْبُومَ لَوْ عَرَضْنَا ذٰلِكَ عَلَيْهِنَّ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِالشَّطَطِ[١]. وَيُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ : قَارِبْ عَدُوَّكَ بَعْضَ الْمُقَارَبَةِ لِتَنَالَ حَاجَتَكَ . وَلَا تُقَارِبْهُ كُلَّ الْمُقَارَبَةِ : فَيَجْتَرِئَ عَلَيْكَ ، وَيُضْعِفَ جُنْدَكَ ، وَتَذِلَّ نَفْسُكَ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الْخَشَبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ : إِذَا أَمَلْتَهَا قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهَا ، وَإِذَا جَاوَزْتَ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ الظِّلُّ . وَلَيْسَ عَدُوُّنَا رَاضِيًا مِنَّا بِالدُّونِ فِي الْمُقَارَبَةِ . فَالرَّأْيُ لَنَا وَلَكَ الْمُحَارَبَةُ

قَالَ الْمَلِكُ لِلْخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تَرَى ؟ الْقِتَالَ أَمِ الصُّلْحَ ؟ أَمِ الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا[٢] ، مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا . فَإِنَّ مَنِ اسْتَصْغَرَ عَدُوًّا فَقَدِ اغْتَرَّ بِهِ ، وَمَنِ اغْتَرَّ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وَأَنَا لِلْبُومِ

---

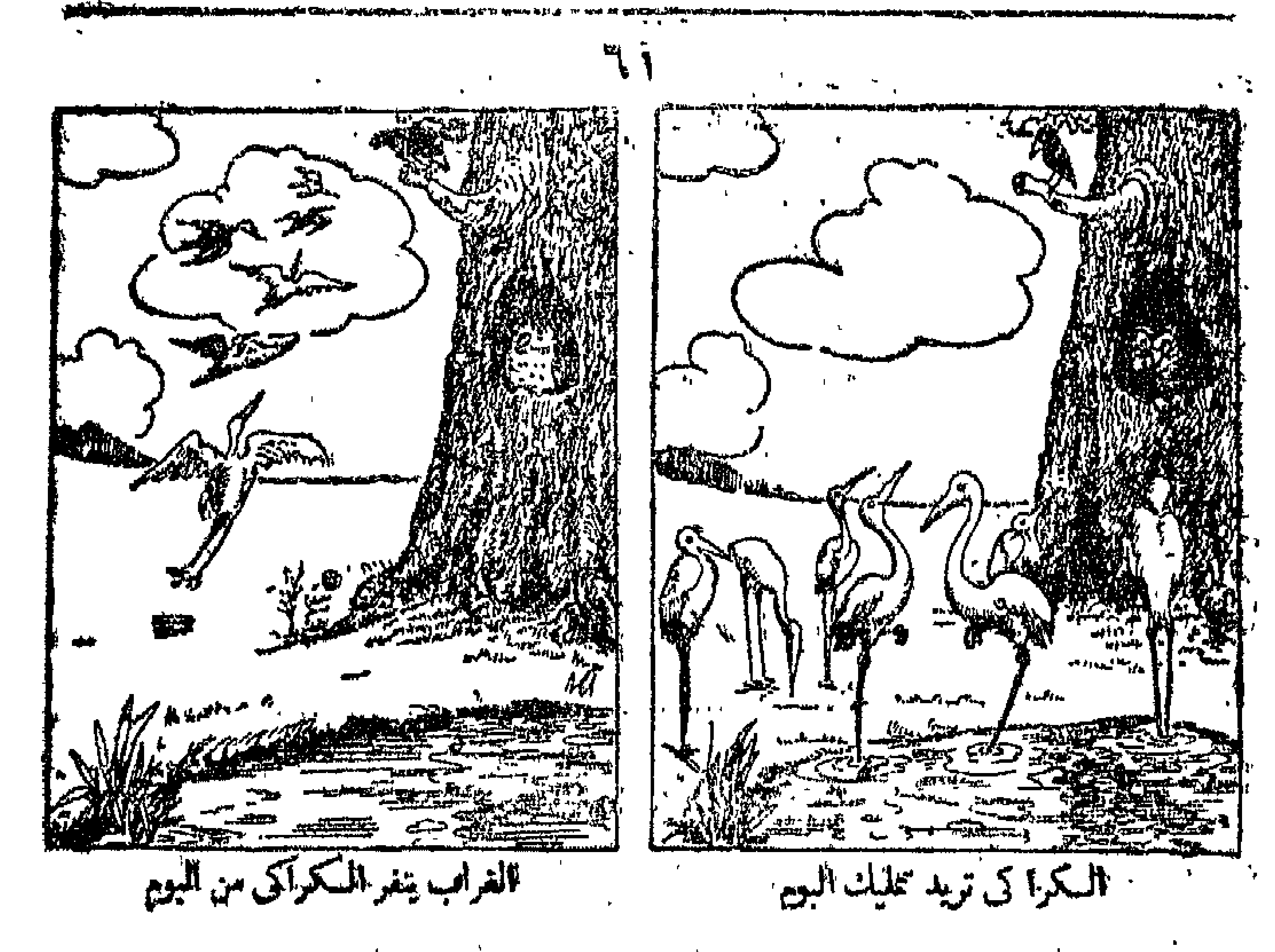
١ الشطط : مجاوزة الحد ٢ هلاكها ٣ قريبا

شَدِيدُ الْهَيْبَةِ ، وَإِنْ أَضْرَبْنَ عَنْ قِتَالِنَا . وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ : فَإِنَّ الْحَازِمَ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ : فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُكْثِبًا [١] لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ . وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَكْيَسُهُمْ مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ النَّفَقَةِ فِيهِ : فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَالْقِتَالُ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ . فَلَا يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصِّنًا [٢] لِلْأَسْرَارِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْوُزَرَاءِ ، مَهِيبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ ، كَانَ خَلِيقًا أَلَّا يُسْلَبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ . وَأَنْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — كَذٰلِكَ . وَقَدِ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ جَوَابُكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَانِيَةٌ ، وَفِي بَعْضِهِ سِرٌّ . وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ [٣] وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِالْقَوْمِ ، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ . وَلَسْتُ أَرَى لِهٰذَا السِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ . فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَلَا بِهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ

---

١ قريبا ٢ كاتما لها ٣ الرهط : الأقارب

٦١



الغراب ينفر الكراكى من البوم — الكراكى تريد تمليك البوم

قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ عَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكَرَاكِيِّ[1] لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ ، فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ يُمَلِّكْنَ عَلَيْهِنَّ مَلِكَ الْبُومِ ، فَبَيْنَمَا هِيَ فِي مَجْمَعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ ، فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا

---

١ الكراكى : جمع كركى وهو طائر رمادى يقرب من الوز غير أنه أبتر الذيل فى خده لمعات سود قليل اللحم صلب العظم طويل الساقين لا تصلح جماعاته الا برئيس لان فى طبعه الحذر والتحارس بالنوبة فاذا قضى نوبته قام الذى كان نائما حتى يقضى حراسته ، ومن طبعه أيضا التناصر فلا تطير الجماعة منه متفرقة بل تكون صفا صفا يتقدمها واحد رئيسا لها ثم تتبعه أطوع له من الظل ثم يخلفه غيره ولا يزال كذلك حتى يتناول كل فرد هذه الرياسة بعد الطائر الآخر

هٰذَا الْغُرَابُ لَاسْتَشَرْنَاهُ فِي أَمْرِنَا ، فَلَمْ يَلْبَثْنَ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الْغُرَابُ . فَاسْتَشَرْنَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَفُقِدَ الطَّاوُوسُ [١] وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ [٢] وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَا اضْطُرِرْتُنَّ إِلَى أَنْ تُمَلِّكْنَ عَلَيْكُنَّ الْبُومَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنْظَرًا ، وَأَسْوَأُهَا خُلُقًا ، وَأَقَلُّهَا عَقْلًا ، وَأَشَدُّهَا غَضَبًا ، وَأَبْعَدُهَا

---

١ الطاووس : زينة الطيور ومظهر جمالها ، وهو نوعان : وحشى لا يألف الدور ، وأهلى يربيه الناس لمجرد الزينة والتفكه بمرآه البديع لأن لحمه جاف صلب عسر الهضم ، وفى رأسه قنبرة مؤلفة من أربع وعشرين ريشة صغيرة قائمة خضراء أطرافها ذهبية اللون ، ولونه الى حيث بطنه يريك حمرة وردية وخضرة زبرجدية فى صفرة عسجدية ذات بريق يكاد يذهب بنور العين ، وجناحاه قصيران لا يساعدانه على الطيران إلا قليلا ، وذيله طويل وكبير جداً يتألف من ريشات جميلات ، فترى فى وسط كل ريشة منه دائرة يتخللها الألوان السبعة : وهو مطبوع على الزهو بنفسه والاعجاب بريشه ولا سيما اذا كانت أنثاه أو الناس تنظر اليه ، فانه إذ ذاك ينشر ذيله ويسدل ثوب خيلائه أمامهم ذاهباً وآيباً حتى كأنما هو الملك يختال بين رعيته .

٢ النعام : اسم جنس مفرده نعامة ، وهو طائر كبير يشبه الجمل فى عنقه ووظيفته ويشارك الطير فى الجناح والريش والمنقار ، وليس للنعام حاسة السمع ولكن به الشم البليغ فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه الى السمع وربما شم القانص من بعيد ولذلك يقال : أشم من نعامة . قيل وليس فى الدنيا حيوان لا يشرب الماء أبداً إلا النعام ، ومتى دميت

مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ، مَعَ عَمَاهَا وَمَا بِهَا مِنَ الْعَشَا [١] بِالنَّهَارِ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفَهُهَا وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا. إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ تُمَلِّكْنَهَا وَتَكُنَّ أَنْتُنَّ تُدَبِّرْنَ الْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكُنَّ وَعُقُولِكُنَّ، كَمَا فَعَلَتِ الْأَرْنَبُ الَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ الْقَمَرَ مَلِكُهَا، ثُمَّ عَمِلَتْ بِرَأْيِهَا. قَالَ الطَّيْرُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟!

قَالَ الْغُرَابُ: زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي الْفِيَلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا السُّنُونَ [٢]، وَأَجْدَبَتْ، وَقَلَّ مَاؤُهَا، وَغَارَتْ [٣] عُيُونُهَا، وَذَوَى [٤] نَبْتُهَا، وَيَبِسَ شَجَرُهَا، فَأَصَابَ الْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ: فَشَكَوْنَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوَّادَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ،

....

رجل واحدة لم تنتفع بالأخرى بل تجثم فى مكانها حتى تهلك. ومن خواصها سرعة الجرى وأشد ما يكون اذا استقبلت الريح وقد تبتلع الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه

ويقال إنها تقسم بيضها أثلاثا: فمنه ما تحضنه ومنه ما تأخذ صفرته غذاء ومنه ما تفتحه وتتركه فى الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود تغذى به فراخها اذا خرجت. ويضرب بها المثل فى الحمق قيل لانها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها. وقيل لانها اذا رأت القانص وضعت رأسها خلف الكثيب ظانة أنها قد استخفت عليه مادامت هى لم تره

١ سوء البصر ٢ السنون: جمع سنة بمعنى الجدب هنا

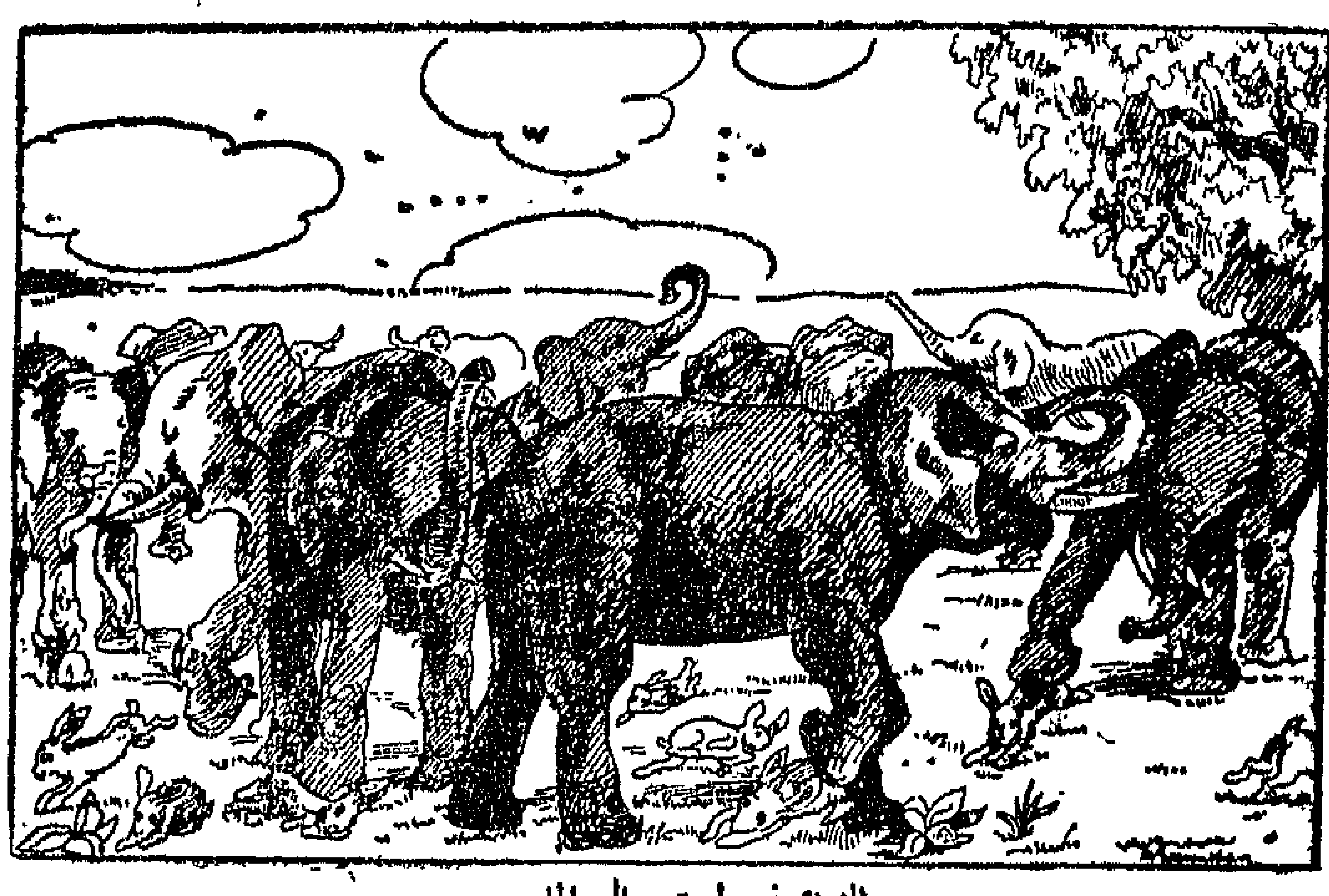
٣ غارت: جفت ٤ ذوى: ذبل

فَأَخْبَرَهُ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانِ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ ، كَثِيرَةَ الْمَاءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ وَفِيَلَتُهُ . وَكَانَتِ الْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَانِبِ ، فَوَطِئْنَ الْأَرَانِبَ فِي أَجْحَارِهِنَّ ، فَأَهْلَكْنَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا . فَاجْتَمَعَتِ الْأَرَانِبُ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْفِيَلَةِ ؟ فَقَالَ : لِيَحْضُرْ مِنْكُنَّ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ مِنَ الْأَرَانِبِ ، يُقَالُ لَهَا (فَيْرُوزُ) . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْفِيَلَةِ ، وَيُرْسِلَ مَعِي أَمِينًا ، لِيَرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ ، وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ [1] . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ أَمِينَةٌ ، وَنَرْضَى بِقَوْلِكِ ، فَانْطَلِقِي إِلَى الْفِيَلَةِ ، وَبَلِّغِي عَنِّي مَا تُرِيدِينَ . وَاعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكِ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالتَّأَنِّي ، فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ إِذَا رَفَقَ ، وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا خَرِقَ [2] . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْنَبَ انْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى الْفِيَلَةِ ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ ،

---

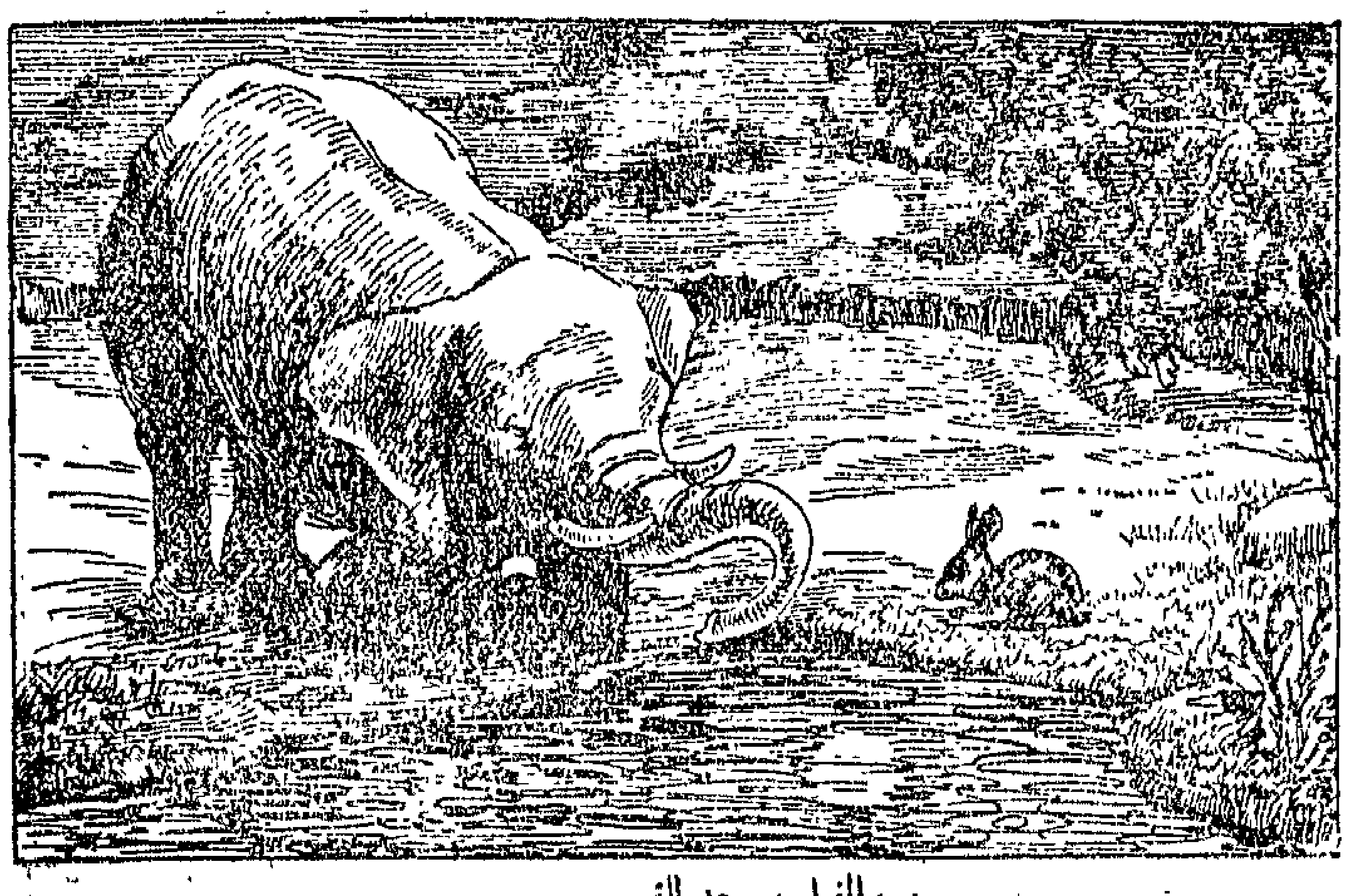
١ جواب الشرط حذف لانه يفهم من المقام والتقدير : أن رأى الملك الخ فعل ذلك   ٢ خرق : حمق وبابها علم

٦٢



الفيلة في طريقهم الي الماء

فَيَقْتُلْنَهَا ، وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، وَنَادَتْ مَلِكَ الْفِيَلَةِ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ ، وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ فِي شَأْنِ الْأَقْوِيَاءِ قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الضُّعَفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ ، فَغَرَّكَ ذَلِكَ ، فَعَمَدْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِاسْمِي ، فَشَرِبْتَ مِنْهَا ، وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ : فَأُنْذِرُكَ أَلَّا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أُغْشِ بَصَرَكَ ، وَأُتْلِفْ نَفْسَكَ . وَإِنْ



الفيل يسجد للقمر

كُنتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ ١ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ ؛ فَإِنِّي مُوَافِيكَ بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ ، فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا ، رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ ، وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ ، فَتَحَرَّكَ فَخُيِّلَ لِلْفِيلِ أَنَّ

---

١ هلم : كلمة بمعنى الدعاء الى الشيء كتعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كهلم شهداءكم أى أحضروهم ، ويجوز أن تلزم حالة واحدة فى خطاب المفرد والمثنى والجمع وهو الأفصح ، ويجوز أن تتصرف فيقال : هلم يا رجل وهلما يارجلان وهلمى وهلموا وهلممن إلا أنها فى الأولى اسم فعل وفى الثانية فعل

الْقَمَرَ ارْتَعَدَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ ؟! أُرَاهُ[١] غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي الْخُرْطُومَ فِي الْمَاءِ . قَالَتْ فَيْرُوزُ الْأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ ، وَشَرَطَ أَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فِيَلَتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ فَإِنَّ فِيهَا الْخِبَّ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ الْمُخَادِعُ ، وَمَنِ ابْتُلِيَ بِسُلْطَانٍ مُخَادِعٍ وَخَدَمَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ وَالصِّفْرِدَ[٢] حِينَ احْتَكَمَا إِلَى السِّنَّوْرِ . قَالَتِ الْكَرَاكِيُّ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ الْغُرَابُ : كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الصَّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي ، وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ ، فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى مَكَانِ الصِّفْرِدِ فَسَكَنَتْهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُخَاصِمَ الْأَرْنَبَ . فَلَبِثَتْ فِيهِ زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ الصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ الْأَرْنَبَ . فَقَالَ لَهَا : هَذَا الْمَكَانُ لِي ، فَانْتَقِلِي عَنْهُ . قَالَتِ الْأَرْنَبُ : الْمَسْكَنُ لِي وَتَحْتَ يَدِي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ .

---

١ ترى : مبنية للمجهول بمعنى تظن ٢ الصفرد بالكسر : طائر صغير كالعصفور . قيل إنه من خساس الطير ويضرب به المثل في الجبن فيقال : أجبن من صفرد

فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَاسْتَعْدِ[1] بِإِثْبَاتِهِ عَلَيَّ. قَالَ الصِّفْرِدُ: الْقَاضِي مِنَّا قَرِيبٌ: فَهَلُمِّي بِنَا إِلَيْهِ قَالَتِ الأَرْنَبُ: وَمَنِ الْقَاضِي؟ قَالَ الصِّفْرِدُ: إِنَّ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ سِنَّوْرًا مُتَعَبِّدًا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً، وَلَا يُهَرِيقُ[2] دَمًا، عَيْشُهُ مِنَ الْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ إِلَيْهِ الْبَحْرُ فَإِنْ أَحْبَبْتِ تَحَاكَمْنَا إِلَيْهِ، وَرَضِينَا بِهِ. قَالَتِ الأَرْنَبُ: مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ! فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ، فَتَبِعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ. ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا بَصُرَ السِّنَّوْرُ بِالأَرْنَبِ وَالصِّفْرِدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ انْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي، وَأَظْهَرَ

---

[1] من قولهم استعدى الامير على فلان: استنصره واستعانه عليه أو من قولهم استعد للأمر بتشديد الدال: تهيأ له

[2] يهريق فعل مضارع ماضيه هراق والمصدر هراقة (بالكسر) معناه صب الماء وغيره، وأصله أراقه يريقه إراقة أبدلت الهمزة هاء

وأصل هراقه هريقه على وزن دحرجه ولذلك فتحت الهاء فى المضارع كما فتحت الدال فى (يدحرج) والامر هرق بفتح فسكون والاصل هريق على وزن دحرج استثقلت الكسرة تحت الياء فحذفت فالتقى ساكنان الراء والياء حذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ويقال فى المثنى هريقا وفى الجمع هريقوا

وقد يجتمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقه يهريقه أهراقة ساكن الهاء فى الجميع واسم الفاعل منه مهريق واسم المفعول مهراق بتسكين الهاء ويجوز تحريكها

الْخُشُوعَ وَالتَّنَسُّكَ . فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنَوَا مِنْهُ هَائِبَيْنِ لَهُ ، وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَأَلاَهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا . فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُصَّا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلاَ . فَقَالَ لَهُمَا : قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أُذُنَايَ : فَادْنُوَا مِنِّي ، فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولاَنِ . فَدَنَوَا مِنْهُ ، وَأَعَادَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، وَسَأَلاَهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا ، وَأَنَا مُبْتَدِئُكُمَا بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَكُمَا . فَأَنَا آمُرُكُمَا بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَلَّا تَطْلُبَا إِلَّا الْحَقَّ : فَإِنَّ طَالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذِي يَفْلَجُ[1] وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبَ الْبَاطِلِ مَخْصُومٌ[2] ، وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ ، لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ . فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ، وَأَنْ يَمْقُتَ بِسَعْيِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا : فَإِنَّ مَنْزِلَةَ الْمَالِ عِنْدَ الْعَاقِلِ بِمَنْزِلَةِ الْمَدَرِ[3] . . . وَمَنْزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ ، وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ السِّنَّوْرَ لَمْ يَزَلْ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى أَنِسَا إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلاَ عَلَيْهِ ، وَدَنَوَا مِنْهُ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا .

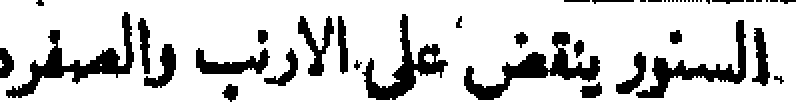
---

١ يظفر على خصمه ٢ مخصوم : مغلوب بالخصام ٣ المدر بالتحريك : قطع الطين اليابس



السنور يتظاهر بالصلاح والتقوى





السنور ينقض على الارنب والصفرد

قَالَ الْغُرَابُ: ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ تَجْمَعُ — مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ الشُّؤْمِ — سَائِرَ الْعُيُوبِ. فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ الْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ

فَلَمَّا سَمِعَ الْكَرَاكِيُّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِيكِ الْبُومِ. وَكَانَ هُنَاكَ بُومٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا. فَقَالَ لِلْغُرَابِ: لَقَدْ وَتَرْتَنِي أَعْظَمَ التِّرَةِ [1]، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هَذَا. وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْفَأْسَ يُقْطَعُ بِهِ الشَّجَرُ فَيَعُودُ يَنْبُتُ، وَالسَّيْفَ يَقْطَعُ اللَّحْمَ ثُمَّ يَعُودُ فَيَنْدَمِلُ [2]، وَاللِّسَانَ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُؤْسَى [3] مَقَاطِعُهُ. وَالنَّصْلُ مِنَ السَّهْمِ

---

١ يقال وتره ترة اذا أصابه بمكروه ٢ اندمل الجرح: التأم وتراجع الى البرء ٣ تؤسى: تداوى

يغيبُ فِي اللَّحمِ ، ثُمَّ يُنزَعُ فيُخرَجُ ، وأشباهَ النَّصلِ مِنَ الكلامِ إِذا وصَلَتْ إلى القلبِ لَمْ تُنزَعْ ولَمْ تُستخرَجْ . ولِكلِّ حَريقٍ مُطفِئ : فلِلنَّارِ الماء ، ولِلسُّمِّ الدَّواء ، ولِلحُزنِ الصَّبرُ ، ونارُ الحِقدِ لا تخبُو أبدًا . وقد غرَستُم — معاشرَ الغِربانِ — بينَنا وبينَكُم شجَرَ الحِقدِ والعَداوةِ والبَغضاءِ

فلمَّا قضَى البُومُ مقالتَهُ ولَّى مُغضَبًا ، فأخبَرَ مَلِكَ البُومِ بِما جرَى وبكُلِّ ما كانَ مِن قولِ الغُرابِ . ثُمَّ إنَّ الغُرابَ نَدِمَ عَلى ما فرَطَ مِنه ، وقالَ : واللهِ لقد خرِقتُ في قولِي الذي جلَبتُ بِهِ العَداوةَ والبَغضاءَ عَلى نفسِي وقَومِي ! وليتَنِي لَمْ أُخبِرِ الكَراكِيَّ بِهذهِ الحالِ ! ولا أعلَمتُها بِهذا الأمرِ ! ولعَلَّ أكثَرَ الطَّيرِ قد رأى أكثرَ مِمَّا رأيتُ ، وعَلِمَ أضعافَ ما علِمتُ ، فمنَعَها مِنَ الكلامِ بِمِثلِ ما تكلَّمتُ اتِّقاءُ ما لَمْ أتَّقِ ، والنَّظرُ فيما لَمْ أنظُرْ فيهِ مِن حِذارِ العَواقِبِ ، لا سِيَّما إذا كانَ الكلامُ أفظَعَ كلامٍ ، يَلقَى مِنهُ سامِعُهُ وقائِلُهُ المَكروهَ مِمَّا يُورِثُ الحِقدَ والضَّغينةَ ، فلا ينبَغِي لأشباهِ هذا الكلامِ أن تُسمَّى كلامًا ، ولكِن سِهامًا . والعاقِلُ وإن كانَ واثِقًا بقُوَّتِهِ وفَضلِهِ لا ينبَغِي أن يحمِلَهُ ذلكَ عَلى أن يجلِبَ العَداوةَ عَلى نفسِهِ اتِّكالًا عَلى ما عِندَهُ مِنَ الرَّأيِ والقُوَّةِ ، كَما أنَّهُ وإن كانَ عِندَهُ

التِّرْيَاقُ[1] لاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ السُّمَّ اتِّكَالاً عَلَى مَا عِنْدَهُ. وَصَاحِبُ حُسْنِ العَمَلِ — وَإِنْ قَصَّرَ بِهِ القَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الأَمْرِ — كَانَ فَضْلُهُ بَيِّنًا وَاضِحًا فِي العَاقِبَةِ وَالاخْتِبَارِ وَصَاحِبُ حُسْنِ القَوْلِ — وَإِنْ أَعْجَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلأُمُورِ — لَمْ تُحْمَدْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ وَأَنَا صَاحِبُ القَوْلِ الَّذِي لاَ عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ. أَلَيْسَ مِنْ سَفَهِي اجْتِرَائِي عَلَى التَّكَلُّمِ فِي الأَمْرِ الجَسِيمِ لاَ أَسْتَشِيرُ فِيهِ أَحَدًا؟! وَلَمْ أُعْمِلْ فِيهِ رَأْيًا وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ النُّصَحَاءَ الأَوْلِيَاءَ، وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ النَّظَرِ وَالرَّوِيَّةِ لَمْ يَغْتَبِطْ[2] بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ. فَمَا كَانَ[3] أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هٰذَا! وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الهَمِّ! وَعَاتَبَ الغُرَابُ نَفْسَهُ بِهٰذَا الكَلاَمِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ فَهٰذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنِ ابْتِدَاءِ العَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ البُومِ

وَأَمَّا القِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ، وَكَرَاهَتِي لَهُ. وَلٰكِنَّ عِنْدِي مِنَ الرَّأْيِ وَالحِيلَةِ غَيْرَ القِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ الفَرَجُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. فَإِنَّهُ رُبَّ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا بِآرَائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِمَا أَرَادُوا. وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الجَمَاعَةِ الَّذِينَ ظَفِرُوا

---

١ الترياق: دواء السموم ٢ يسر ٣ كان زائدة

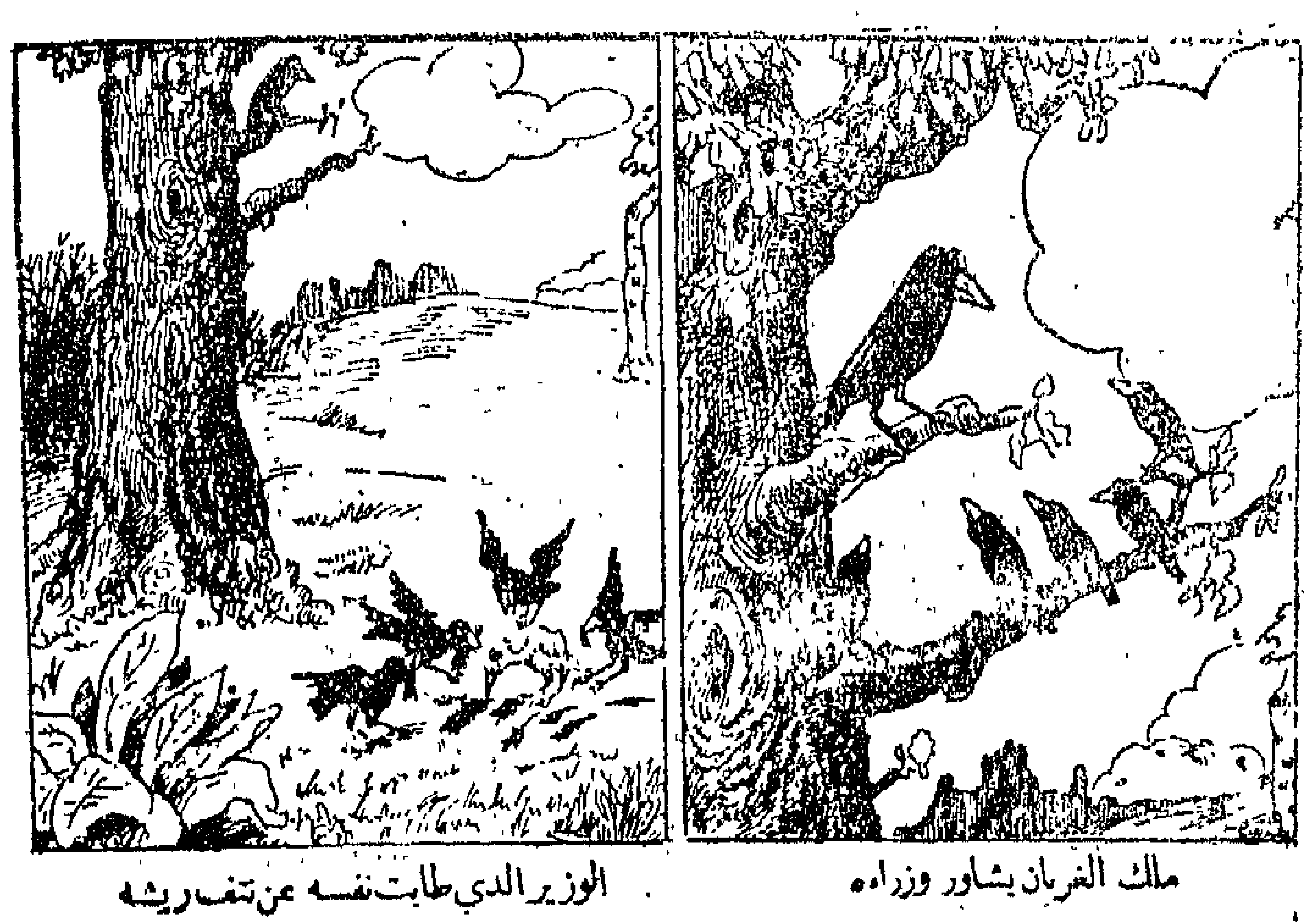


الناسك وقد خدع فسلبوه عريضه

بِالنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ[1]. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟!

قَالَ الغُرَابُ: زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا، فَانْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ. فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكَرَةِ. فَائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَن يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ. فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: — أَيُّهَا النَّاسِكُ — مَا هٰذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ؟! ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الْآخَرُ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: مَا هٰذَا نَاسِكٌ، لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا. فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ الَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ، وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَهُ. فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ. فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ الْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ

1 العريض من المعز ما أتى عليه سنة



ملك الغربان يشاور وزراءه — الوزير الذي طابت نفسه عن نتف ريشه

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرِّفْقِ وَالْحِيلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَنْتِفَ رِيشِي وَذَنَبِي ، ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ . وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ هُوَ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا . فَأَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ ، وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ ، وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ فَأُخَادِعُهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجُمَ عَلَيْهِمْ ، وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذٰلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذٰلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ . فَجَعَلَ

الْغُرَابُ يَئِنُّ وَيَهْمِسُ[1] ، حَتَّى رَأَتْهُ الْبُومُ وَسَمِعَتْهُ يَئِنُّ . فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذَلِكَ . فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْغِرْبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بُومًا أَنْ يَسْأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ الْغِرْبَانُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا اسْمِي فَفُلَانٌ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ الْبُومِ : هَذَا وَزِيرُ مَلِكِ الْغِرْبَانِ ، وَصَاحِبُ رَأْيِهِ ، فَنَسْأَلُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ ، فَسُئِلَ الْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا اسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فِيكُنَّ . وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَقَالَ — أَيُّهَا الْغِرْبَانُ — مَا تَرَوْنَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — : لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ الْبُومِ ، لِأَنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشًا ، وَأَحَدُّ قَلْبًا مِنَّا . وَلَكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ الصُّلْحَ . ثُمَّ نَبْذُلَ الْفِدْيَةَ فِي ذَلِكَ . فَإِنْ قَبِلَتِ الْبُومُ ذَلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ كَانَ خَيْرًا لَهُنَّ وَشَرًّا لَنَا ، فَالصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ ، وَأَمَرْتُهُنَّ بِالرُّجُوعِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَضَرَبْتُ لَهُنَّ الْأَمْثَالَ فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ لَهُنَّ : إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ وَغَضَبَهُ مِثْلُ الْخُضُوعِ لَهُ : أَلَا تَرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ : كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ لِلِينِهِ

[1] الهمس : الصوت الخفي

وَتَمِيلُ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ. فَعَصَيْنَنِي فِي ذَلِكَ، وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ الْقِتَالَ، وَاتَّهَمْنَنِي فِيمَا قُلْتُ. وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَأْتَ ا الْبُومَ عَلَيْنَا، وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي، وَعَذَّبْنَنِي بِهٰذَا الْعَذَابِ، وَتَرَكَنِي الْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَارْتَحَلَ. وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْبُومِ مَقَالَةَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ: مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ؟ وَمَا تَرَى فِيهِ؟ قَالَ: مَا أَرَى إِلَّا الْمُعَاجَلَةَ لَهُ بِالْقَتْلِ: فَإِنَّ هٰذَا أَفْضَلُ عُدَدِ الْغِرْبَانِ، وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ مِنْ مَكْرِهِ، وَفَقْدُهُ عَلَى الْغِرْبَانِ شَدِيدٌ. وَيُقَالُ: مَنْ ظَفِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ الْعَمَلُ، ثُمَّ لَا يُعَاجِلُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ، فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ. وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ، فَأَمْكَنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ، فَاتَهُ الْأَمْرُ، وَهُوَ خَلِيقٌ أَلَّا تَعُودَ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً. وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا، وَلَمْ يُنْجِزْ قَتْلَهُ، نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ

قَالَ الْمَلِكُ لِوَزِيرٍ آخَرَ: مَا تَرَى أَنْتَ فِي هٰذَا الْغُرَابِ؟ قَالَ: أَرَى أَلَّا تَقْتُلَهُ: فَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُسْتَبْقَى وَيُرْحَمَ وَيُصْفَحَ عَنْهُ، لَا سِيَّمَا الْمُسْتَجِيرُ الْخَائِفُ: فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَمَّنَ

. . . .

١ ساعدتهن وتواطأت معهن

قَالَ مَلِكُ الْبُومِ لِوَزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ. وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا ، وَيَرَى اشْتِغَالَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ بِبَعْضٍ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَجَاةً كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللِّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلُوبًا . فَانْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا ، وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلِّصِّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا اللِّصُّ ، أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هَذِهِ الْبَقَرَةَ مِنَ النَّاسِكِ إِذَا نَامَ . فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الشَّيْطَانُ أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَانْتَهَيَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ . فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ . وَدَخَلَا خَلْفَهُ . وَأَدْخَلَ الْبَقَرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ ، وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللِّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ فِيهِ . وَاخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلًا . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلِّصِّ : إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ الْبَقَرَةِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقَظَ وَصَاحَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ . فَأَنْظِرْنِي[1] رَيْثَمَا آخُذُهُ ، وَشَأْنَكَ

١ أي أعطني زمناً يسع ما أريده



اللص والشيطان يتجادلان في أيهما يسبق بعمله



صاحب البقرة يصحو على صراخ اللص والشيطان

وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ اللِّصُّ إِنْ بَدَأَ بِاخْتِطَافِهِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقَظَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ الْبَقَرَةِ فَقَالَ : لَا . بَلْ أَنْظِرْنِي أَنْتَ حَتَّى آخُذَ الْبَقَرَةَ ، وَشَأْنَكَ وَمَا تُرِيدُ . فَلَمْ يَزَالَا فِي الْمُجَادَلَةِ حَتَّى نَادَى اللِّصُّ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ ، فَهٰذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ اخْتِطَافَكَ . وَنَادَى الشَّيْطَانُ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ ، فَهٰذَا اللِّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقَرَتَكَ . فَانْتَبَهَ النَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا . وَهَرَبَ الْخَبِيثَانِ . قَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ الْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ ، وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ الْغَبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ . فَتُرِدْنَ أَنْ تَضَعْنَ الرَّأْيَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . فَمَهْلًا مَهْلًا — أَيُّهَا الْمَلِكُ — عَنْ هٰذَا الرَّأْيِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ ....

وَأَمَرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْبُومِ وَيُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا .

ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا — وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُومِ وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ — أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ الْغِرْبَانِ . وَأَنَّهُ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ أَخْذِي بِثَأْرِي مِنْهُنَّ . وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذَٰلِكَ ، فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا رُمْتُ ، لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا : مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يُحْرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ لِلّٰهِ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ : لَا يَدْعُو عِنْدَ ذَٰلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ[١] . فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي ، وَأَدْعُوَ رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُومًا فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَى الْغِرْبَانِ . لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ . قَالَ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أُشَبِّهُكَ فِي خَيْرِ مَا تُظْهِرُ ، وَشَرِّ مَا تُخْفِي إِلَّا بِالْخَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ وَالرِّيحِ ، الْمُنْقَعِ فِيهَا السُّمُّ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ أَكَانَ جَوْهَرُكَ وَطِبَاعُكَ مُتَغَيِّرَةً ؟ أَلَيْسَتْ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُمَا دُرْتَ ؟ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَٰلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطِينَتِكَ : كَالْفَأْرَةِ الَّتِي خُيِّرَتْ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرِّيحِ وَالسَّحَابِ وَالْجَبَلِ ، فَلَمْ يَقَعِ

---

١ ذلك على اعتقاد الهنود من التقرب الى الله باحراق الأجساد .

أخْتِيَارُهَا إِلاَّ عَلَى الْجُرَذِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ فِي رِجْلِهَا دِرْصُ فَأْرَةٍ [١] . فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ . وَأَدْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةٌ ، فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي رُدْنِهِ [٢] ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ خَافَ أَنْ تَشُقَّ عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيَتُهَا . فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً . فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسْنَاءَ . فَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : هٰذِهِ ابْنَتِي . فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكِ بِوَلَدِي . فَلَمَّا كَبِرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ : يَا بُنَيَّةِ اخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكِ بِهِ . فَقَالَتْ : أَمَّا إِذَا خَيَّرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الأَشْيَاءِ . فَقَالَ النَّاسِكُ : لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْخَلْقُ الْعَظِيمُ لِي جَارِيَةٌ وَقَدْ طَلَبَتْ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الأَشْيَاءِ . فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَتِ الشَّمْسُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : السَّحَابُ الَّذِي يُغَطِّينِي ، وَيَرُدُّ حَرَّ شُعَاعِي ، وَيَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلَى السَّحَابِ . فَقَالَ لَهُ : مَا قَالَ لِلشَّمْسِ .

---

١ أي ولد فأرة ٢ الردن بالضم : أصل الكم ، وفي بعض النسخ لفها في ورقة وهو خطأ

فَقَالَ السَّحَابُ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي . فَاذْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ ، وَتَذْهَبُ بِي شَرْقًا وَغَرْبًا . فَجَاءَ النَّاسِكُ إِلَى الرِّيحِ . فَقَالَ لَهَا : كَقَوْلِهِ لِلسَّحَابِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ . فَمَضَى إِلَى الْجَبَلِ . فَقَالَ لَهُ : الْقَوْلَ الْمَذْكُورَ فَأَجَابَهُ الْجَبَلُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الْجُرَذُ الَّذِي لَا أَسْتَطِيعُ الِامْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا ثَقَبَنِي وَاتَّخَذَنِي مَسْكَنًا . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرَذِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ هٰذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُهَا وَجُحْرِي ضَيِّقٌ . وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرَذُ الْفَأْرَةَ فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ . وَذٰلِكَ بِرِضَا الْجَارِيَةِ . فَأَعَادَهَا اللهُ إِلَى عُنْصُرِهَا الْأَوَّلِ . فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرَذِ فَهٰذَا مَثَلُكَ أَيُّهَا الْمُخَادِعُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُومِ إِلَى ذٰلِكَ الْقَوْلِ ، وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ ، وَلَمْ يَزْدَدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا . حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ رَاغَ رَوْغَةً . فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ . فَاحْتَكِمْ : كَيْفَ شِئْتَ

٦٨



الغراب يخدع البوم ليقبلوه





الغراب يتغفل البوم فيدب الى أهله

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْبُومَ بِمَكَانِ كَذَا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ . وَنَحْنُ مُصِيبُونَ هُنَاكَ نَارًا ، وَنُلْقِيهَا فِي أَنْقَابِ الْبُومِ ، وَنَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ ، وَنَتَرَاوَحُ عَلَيْهَا ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ . فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ احْتَرَقَ ، وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِالدُّخَانِ مَوْضِعَهُ فَفَعَلَ الْغِرْبَانُ ذَلِكَ . فَأَهْلَكْنَ الْبُومَ قَاطِبَةً . وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغِرْبَانِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ الْبُومِ ؟ ! وَلَا صَبْرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ .

فَقَالَ الغُرَابُ : إِنَّ مَاقُلْتَهُ ـ أَيُّهَا الْمَلِكُ ـ لَكَذَلِكَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ الْفَظِيعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ الْجَائِحَةَ [١] عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ لَهُ ، لِمَا يَرْجُو أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ الْخَيْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ لِذَلِكَ أَلَمًا . وَلَمْ تَكْرَهْ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ الْبُومِ . قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلاً إِلاَّ الَّذِي كَانَ يَحُثُّهُنَّ عَلَى قَتْلِي . وَكَانَ قَدْ حَرَّضَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ مِرَارًا . فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا . فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي الْغِرْبَانِ ، وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَتَخَوَّفْنَ مَكْرِي وَحِيلَتِي ، وَلاَ قَبِلْنَ مِنَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ [٢] ، وَلاَ أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ النَّمِيمَةِ ، وَلاَ يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ الْبُومَ فِي نَفْسِي إِلاَّ الْبَغْيُ وَضَعْفُ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمُوَافَقَتُهُ وُزَرَاءَ السُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : صَدَقْتَ ـ أَيُّهَا الْمَلِكُ ـ إِنَّهُ

---

١ الجائحة : الشدة المهلكة ٢ . كذلك رأي الناصح الشفيق ضيع بين الأدعياء ومن قد نال منهم الخرق والخداع .

قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بِغِنًى وَلَمْ يَطْغَ . وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ إِلاَّ مَرِضَ ، وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَاءِ السُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ وَكَانَ يُقَالُ : لاَ يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَلاَ الْخَبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ، وَلاَ السَّيِّئُ الأَدَبِ فِي الشَّرَفِ ، وَلاَ الشَّحِيحُ فِي الْبِرِّ ، وَلاَ الْحَرِيصُ فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلاَ الْمَلِكُ الْمُخْتَالُ الْمُتَهَاوِنُ بِالأُمُورِ الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلاَحِ رَعِيَّتِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدِ احْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ لِلْبُومِ وَتَضَرُّعِكَ لَهُنَّ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّهُ مَنِ احْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا ، وَنَحَّى عَنْ نَفْسِهِ الأَنَفَةَ وَالْحَمِيَّةَ ، وَوَطَّنَهَا عَلَى الصَّبْرِ حَمِدَ غِبَّ رَأْيِهِ[1] : كَمَا صَبَرَ الأَسْوَدُ عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ[2] عَلَى ظَهْرِهِ ، وَشَبِعَ بِذَلِكَ وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

---

١ عاقبه ٢ الضفادع جمع ضفدع : دابة من الزواحف ، وأنواعها كثيرة : منها العادية والمتسلقة (الطيارة وغير الطيارة) والسامة تأكل الحشرات والدود وما يشابهما ولا تشرب الماء . ومن غريب أمرها أنك اذا فتحت فاها مدة طويلة اختنقت وماتت كما يقتل الانسان اذا سد فمه وأنفه لانها تتناول الاكسجين من الماء أثناء مروره من الخياشيم . وتتنفس الضفادع أيضا بواسطة جلدها سواء أكانت فى الماء أم فى الهواء . واذا نزعت رئتاها عاشت بتنفس الجلد مايقارب ستة أسابيع

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا . وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ . وَأَنَّهُ انْسَابَ [1] يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ الضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلُ ، فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ . فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ ضِفْدِعٌ : مَا لِي أَرَاكَ — أَيُّهَا الْأَسْوَدُ — كَئِيبًا حَزِينًا ؟ ! قَالَ : وَمَنْ أَحْرَى بِطُولِ الْحُزْنِ مِنِّي ؟ وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ . فَابْتُلِيتُ بِبَلَاءٍ . وَحُرِّمَتْ عَلَيَّ الضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ . حَتَّى إِنِّي إِذَا الْتَقَيْتُ بِبَعْضِهَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهِ . فَانْطَلَقَ الضِّفْدِعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِعِ إِلَى الْأَسْوَدِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : سَعَيْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِعٍ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَاضْطَرَرْتُهُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ . وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي الظُّلْمَةِ . وَفِي الْبَيْتِ ابْنٌ لِلنَّاسِكِ .

تقيم الضفادع فى الماء معظم الاوقات ويضرب بها المثل فى السباحة وتستطيع اجتياز المسافات الشاسعة طلبا للماء فتسير وثبا لطول أرجلها وهى تنق أصواتا تختلف فى القوة والكثافة فيتعذر على سامعها أن يعرف ما بينه وبينها من البعد بصوتها ، وقيل إن بعضها يبلغ عمره الاربعين من السنين

[1] الانسياب : دبيب الحية



مَلكُ الضفادع يتخذ الاسود مركبا



الاسود يتناول غذاءه

فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ . فَظَنَنْتُ أَنَّهَا الضِّفْدَعُ ، فَلَدَغْتُهُ فَمَاتَ . فَخَرَجْتُ هَارِبًا ، فَتَبِعَنِي النَّاسِكُ فِي أَثَرِي ، وَدَعَا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي وَقَالَ : كَمَا قَتَلْتَ ابْنِي الْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ الضَّفَادِعِ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَخْذَهَا ؛ وَلَا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا بِذَلِكَ ، رَاضِيًا بِهِ . فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ : وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ . فَرَكِبَهُ وَاسْتَطَابَ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ : قَدْ عَلِمْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنِّي مَحْرُومٌ . فَاجْعَلْ لِي رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ : لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ إِذْ

كُنْتَ مَرْكَبِي، فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدَعَيْنِ يُؤْخَذَانِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ الذَّلِيلِ . بَلِ انْتَفَعَ بِذَلِكَ ، وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً . وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ الْتِمَاسًا لِهَذَا النَّفْعِ الْعَظِيمِ الَّذِي اجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الْأَمْنُ وَالظَّفَرُ وَهَلَاكُ الْعَدُوِّ وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ اللِّينِ وَالرِّفْقِ أَصْرَعَ وَأَشَدَّ اسْتِئْصَالًا لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ الْمُكَابَرَةِ . فَإِنَّ النَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا أَصَابَتِ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا ، وَالْمَاءُ بِبَرْدِهِ وَلِينِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا : النَّارُ ، وَالْمَرَضُ ، وَالْعَدُوُّ ، وَالدَّيْنُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : إِذَا طَلَبَ اثْنَانِ أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مُرُوءَةً ، فَإِنِ اعْتَدَلَا فِي الْمُرُوءَةِ فَأَشَدُّهُمَا عَزْمًا ، فَإِنِ اسْتَوَيَا فِي الْعَزْمِ فَأَسْعَدُهُمَا جَدًّا . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ حَارَبَ الْمَلِكَ الْحَازِمَ الْأَرِيبَ الْمُتَضَرِّعَ [1] الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ ، وَلَا تُدْهِشُهُ الضَّرَّاءُ ، كَانَ هُوَ دَاعِيَ الْحَتْفِ إِلَى نَفْسِهِ [2] ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ

---

[1] الحسن الاحتيال [2] الحتف : الهلاك

الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ الشِّدَّةِ وَاللِّينِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ ، وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَاةِ ، النَّاظِرُ فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ .
قَالَ الْمَلِكُ لِلْغُرَابِ : بَلْ بِرَأْيِكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْنِ طَالِعِكَ كَانَ ذَلِكَ فَإِنَّ رَأْيَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ الْعَاقِلِ الْحَازِمِ أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ الْعَدُوِّ مِنَ الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ . وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبْثِكَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْبُومِ [1] ، تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْغَلِيظَ ، ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ . قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِأَدَبِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ : أَصْحَبُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَالْمُبَالَغَةِ وَالْمُؤَاتَاةِ [2] . قَالَ الْمَلِكُ : أَصْبَحْتُ وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ ، وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ : لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ فَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكَ مِنَّةً عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَلَا الشَّرَابِ وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ .
وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَلَا الرَّجُلُ الشَّرِهُ الَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ ، وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ

---

١ يقال : (أقام بين ظهريهم وظهرانيهم) بالتثنية ، ولا تكسر النون وبين (أظهرهم) أى فى وسطهم ٢ المؤاتاة : الموافقة

وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ . وَمَنْ وَضَعَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ عَنْ يَدَيْهِ فَقَدْ أَرَاحَ نَفْسَهُ . وَمَنْ آمَنَ عَدُوَّهُ ثَلِجَ صَدْرُهُ [١]

قَالَ الْغُرَابُ : أَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمَتِّعَكَ بِسُلْطَانِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ رَعِيَّتِكَ ، وَيُشْرِكَهُمْ فِي قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمُلْكِكَ . فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةُ عُيُونِ رَعِيَّتِهِ فَمَثَلُهُ مَثَلُ زَنَمَةِ الْعَنْزِ الَّتِي يَمُصُّهَا [٢] ، وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلَمَةَ الضَّرْعِ . فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا . قَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ ، كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْبُومِ وَمَلِكِهَا فِي حُرُوبِهَا ؟ وَفِيمَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ وَخُيَلَاءَ وَعَجْزٍ وَفَخْرٍ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلَّا الْوَزِيرَ الَّذِي كَانَ يُشِيرُ بِقَتْلِي ، فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا فَيْلَسُوفًا حَازِمًا عَالِمًا ، قَلَّمَا يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَكَمَالِ الْعَقْلِ وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَأَيَّ خَصْلَةٍ رَأَيْتَ مِنْهُ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ ؟ قَالَ : خَلَّتَانِ . إِحْدَاهُمَا رَأْيُهُ فِي قَتْلِي ، وَالْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنِ اسْتَثْقَلَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ

---

١ اطمأن قلبه ٢ أي قطعة لحم تتدلى من عنقه

كَلامَهُ كَلامَ عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ . وَلٰكِنَّهُ كَلامُ رِفْقٍ وَلِينٍ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ ، وَلاَ يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ . بَلْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ ، وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ ، فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ ، فَلاَ يَجِدُ مَلِكُهُ إِلى الْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلاً . وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ : إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لاَ يَظْفَرُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ قَلِيلٌ ، وَلاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْحَزْمِ . فَإِنَّ الْمُلْكَ عَزِيزٌ ، فَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ فِي قِلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقَاءِ الظِّلِّ عَنْ وَرَقِ النَّيْلَوْفَرِ ، وَهُوَ فِي خِفَّةِ زَوَالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَالرِّيحِ ، وَفِي قِلَّةِ ثَبَاتِهِ كَاللَّبِيبِ مَعَ اللِّئَامِ ، وَفِي سُرْعَةِ اضْمِحْلالِهِ كَحَبَابِ الْمَاءِ مِنْ وَقْعِ الْمَطَرِ . فَهٰذَا مَثَلُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الَّذِينَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ ، وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا .

(انتهى باب البوم والغربان)

القرد والغيلم

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هَذَا المَثَلَ. فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا. قَالَ الفَيْلَسُوفُ: إِنَّ طَلَبَ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ الِاحْتِفَاظِ بِهَا. وَمَنْ ظَفِرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ القِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الغَيْلَمَ[1]. قَالَ المَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟!

قَالَ بَيْدَبَا: زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا[2] يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ القِرَدَةِ. وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ. فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ

---

١ الغيلم : ذكر السلحفاة

٢ القرد : حيوان في مقدمة الحيوانات دوات الثدى وليس فيها من هو أقرب منه الى الانسان ، سواء فى أصابعه وعينيه وجبهته وهيكله ، كذلك فى استعداده للتهذيب . وهو نشط شديد القوة والعضلات . وأكثر أنواعه تعيش على هيئة قبائل فى الغابات . تلد أنثاه واحداً أو اثنين ، وقد يعمر الى الاربعين

أما أنواعه فكثيرة جداً تختلف اختلافاً بيناً فى الجسم والشكل ، وليس يقرب الى الانسان غير أنواع ثلاثة منه : وهى الغوريل وليس له ذنب والشامبانزيه وهو أرق من الاول : يكثر المشى على أرجله الاورنغ أوتنغ وهو أرق من الاولين ولايمشى إلاعلى أربع رقيق طائع

بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ . فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ التِّينِ . فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُقَامَهُ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التِّينِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ . فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ طَرْحِ التِّينِ فِي الْمَاءِ . وَثَمَّ[1] غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ ، وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلِفَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلَمِ عَنْ زَوْجَتِهِ . فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ ، وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا ، وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَاغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ زَوْجَكِ بِالسَّاحِلِ ، قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ الْقِرْدُ ، فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ . وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْكِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكِ حَتَّى تَحْتَالِي لِهَلَاكِ الْقِرْدِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالَتْ جَارَتُهَا : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكِ فَتَمَارَضِي . فَإِذَا سَأَلَكِ عَنْ حَالِكِ فَقُولِي : إِنَّ الْحُكَمَاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ

---

١ ثم بالفتح : ظرف متعلق بمحذوف يعرب خبرا مقدما وجوبا والغيلم مبتدأه



ابتداء الصحبة بين القرد والغيلم



القرد والغيلم متصافيين

الْغَيْلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا الْغَيْلَمُ : مَا لِي أَرَاكِ هٰكَذَا ؟! فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا ، وَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ . وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الْغَيْلَمُ : هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ . مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ ؟! لٰكِنْ سَأَحْتَالُ لِصَدِيقِي . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَائِي . فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ ؟ وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي ، فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ . فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ

القِرْدُ فِي ذٰلِكَ وَنَزَلَ فَرَكِبَ ظَهْرَ الغَيْلَمِ . فَسَبَحَ بِهِ . حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الغَدْرِ . فَنَكَسَ لَهُ رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ القِرْدُ : مَالِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ ! قَالَ الغَيْلَمُ : إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ المَرَضِ . وَذٰلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ القِرْدُ : إِنَّ الَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مُؤُونَةَ التَّكَلُّفِ . قَالَ الغَيْلَمُ : أَجَلْ . وَمَضَى بِالقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ القِرْدِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا احْتِبَاسُ الغَيْلَمِ وَإِبْطَاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي ، وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي ، فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ القَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَغْفُلَ عَنِ التِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَعِنْدَ القِيَامِ وَالقُعُودِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي القُلُوبِ . وَقَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ : إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِالحَزْمِ فِي التَّحَفُّظِ مِنْهُ ، وَلْيَتَفَقَّدْ ذٰلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِالسَّلَامَةِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِرَ بِالحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ ذٰلِكَ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ :

مَا الَّذِي يَحْبِسُكَ ؟! وَمَالِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟! كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى . قَالَ : يُهِمُّنِي أَنْ تَأْتِيَ مَنْزِلِي فَلَا تَجِدَ أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ ، لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ فَإِنَّ الْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، وَلٰكِنِ الْتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لِيَبْذُلْ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ ، وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ ، وَعَلَى الْبَنِينَ ، وَعَلَى الْأَزْوَاجِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ وَقَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَا أَسَفَاهُ ! لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ وَالشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ : يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا ، وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرَهِ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ ، وَإِنِّي قَدِ احْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي الْتِمَاسِ الْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي ؟ حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . فَهٰذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ . إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، أَوْ فِي مَوْضِعِهِ ، لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرُمِ[1]

---

[1] الحرم بضمتين : نساء الرجل الواحد ، وبالتحريك ما يحميه الرجل ويقاتل عليه .

٧١



القرد يعود على ظهر الغيلم ليحضر قلبه





القرد يعلو الشجرة ويسخر من الغيلم

الْمَزُورِ وَلَيْسَتْ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ الْآنَ ؟ قَالَ : خَلَّفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ . فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَى الشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيَكَ بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ . وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ السَّاحِلَ وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ نَادَاهُ : يَا خَلِيلِي احْمِلْ قَلْبَكَ وَانْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هَيْهَاتَ أَتَظُنُّ أَنِّي كَالْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ ؟ قَالَ الْغَيْلَمُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ الْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ . وَكَانَ مَعَهُ

أُبْنُ آوى يَأْكُلُ مِنْ فَوَاضِلِ طَعَامِهِ . فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعْفٌ شَدِيدٌ وَجَهْدٌ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ أُبْنُ آوى : مَا بَالُكَ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ ؟! قَالَ : هٰذَا الْجَرَبُ الَّذِي قَدْ أَجْهَدَنِي . وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ . قَالَ أُبْنُ آوى مَا أَيْسَرَ هٰذَا ! وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانِ كَذَا حِمَارًا مَعَ قَصَّارٍ[1] يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، وَأَنَا آتِيكَ بِهِ . ثُمَّ دَلَفَ[2] إِلَى الْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ . مَالِي أَرَاكَ مَهْزُولًا ؟! قَالَ : مَا يُطْعِمُنِي صَاحِبِي شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ تَرْضَى الْمُقَامَ مَعَهُ عَلَى هٰذَا ؟ قَالَ : فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي الْهَرَبِ مِنْهُ . فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضَرَّ بِي إِنْسَانٌ ، فَكَدَّنِي وَأَجَاعَنِي . قَالَ أُبْنُ آوى : فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْزُولٍ عَنِ النَّاسِ لَا يَمُرُّ بِهِ إِنْسَانٌ ، خَصِيبِ الْمَرْعَى ، فِيهِ قَطِيعٌ مِنَ الْحُمُرِ لَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَهَا حُسْنًا وَسِمَنًا . قَالَ الْحِمَارُ : وَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهَا ؟ فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهَا . فَانْطَلَقَ بِهِ أُبْنُ آوى نَحْوَ الْأَسَدِ . وَتَقَدَّمَ أُبْنُ آوى . وَدَخَلَ الْغَابَةَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ الْحِمَارِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ . وَتَخَلَّصَ الْحِمَارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِعًا[3]

---

١ محور الثياب ٢ تقدم ٣ جزعا لا يلوى على شىء فى طريقه

٧٢

ابن آوى يزين للأسد افتراس الحمار

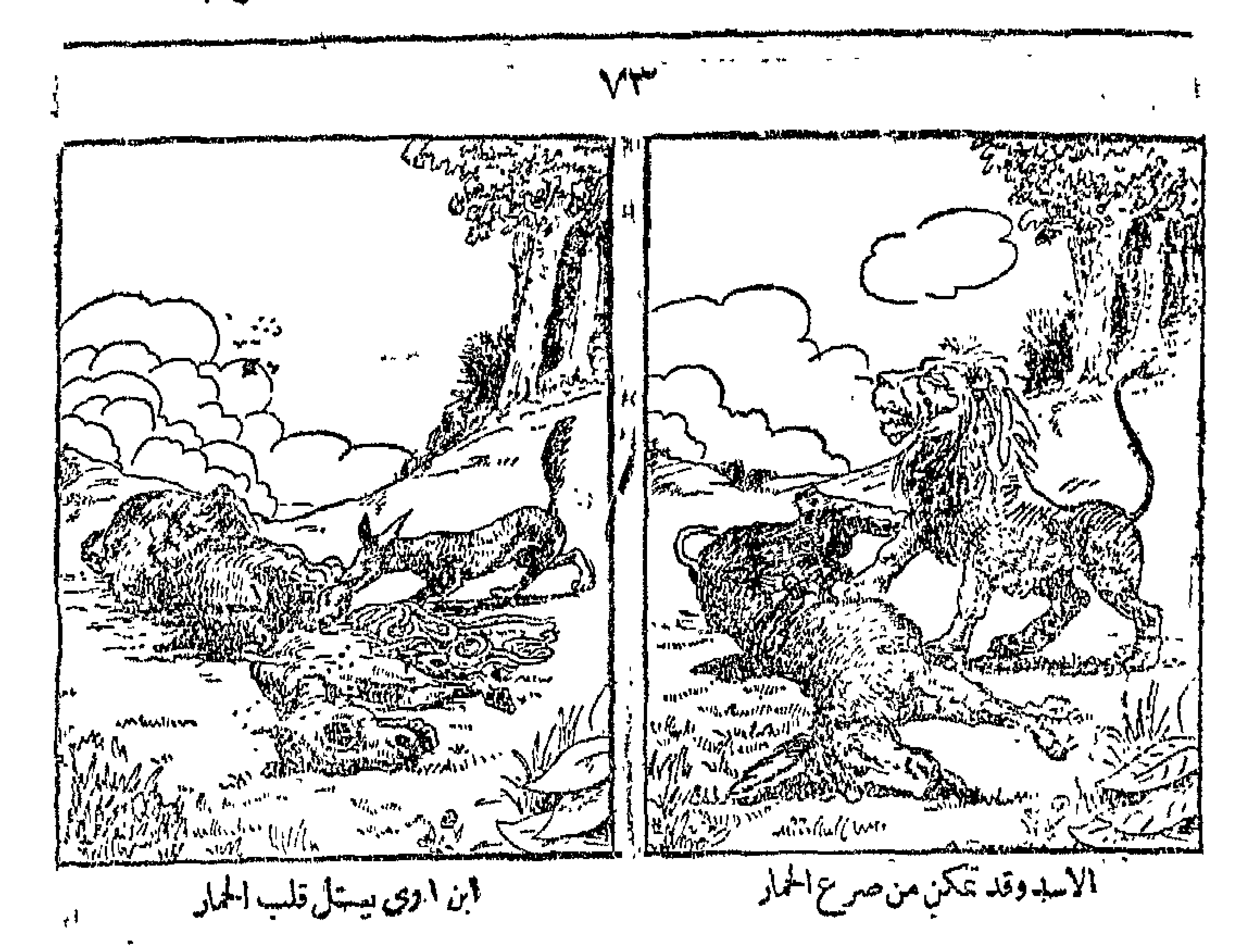
الأسد وقد خارت قواه فلم يقو على افتراسه

عَلَى وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ الأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الحِمَارِ قَالَ لَهُ : أَعَجَزْتَ يَا سَيِّدَ السِّبَاعِ إِلَى هٰذِهِ الْغَايَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُوَ مِنِّي أَبَدًا . فَمَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الحِمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى عَلَيْكَ ؟ إِنَّ أَحَدَ الْحُمُرِ رَآكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ ، وَلَوْ ثَبَتَّ لَهُ لَآنَسَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الحِمَارُ كَلَامَ ابْنِ آوَى وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَهُ . وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الأَسَدِ [1] . فَسَبَقَهُ ابْنُ آوَى إِلَى الأَسَدِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ ، وَقَالَ لَهُ : اسْتَعِدَّ لَهُ ، فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكَنَّكَ الضَّعْفُ فِي

---

١ يريد : قصد نحوه

٧٣



الأسد وقد تمكن من صرع الحمار — ابن آوى يستل قلب الحمار

هٰذِهِ النَّوْبَةِ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ فَلَنْ يَعُودَ مَعِي أَبَدًا . فَجَأَشَ جَأْشُ الْأَسَدِ [١] لِتَحْرِيضِ ابْنِ آوَى لَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ الْحِمَارِ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ افْتَرَسَهُ بِهَا . ثُمَّ قَالَ : قَدْ ذَكَرَتِ الْأَطِبَّاءُ : أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الْغُسْلِ وَالطُّهُورِ . فَاحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ ، وَأَتْرُكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ قُوتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ ، عَمَدَ ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ ، فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ الْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِابْنِ آوَى : أَيْنَ قَلْبُ الْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ

---

١ هاج وجمع قواه

كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَفْقَهُ بِهِ ، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا ، لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا أَفْلَتَ وَنَجَا مِنَ الْمَلَكَةِ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّى لَسْتُ كَذَلِكَ الْحِمَارِ الَّذِى زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَأُذُنَانِ . وَلٰكِنَّكَ احْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي ، فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ ، وَاسْتَدْرَكْتُ فَارِطَ أَمْرِي وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ لِصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِنْ وَقَعَ فِى وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ : كَالرَّجُلِ الَّذِى يَعْثُرُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْهَا مُعْتَمِدًا . فَهٰذَا مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِى يَطْلُبُ الْحَاجَةَ ، فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا .

(انتهى باب القرد والغيلم)

الناسك وابن عرس

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ .. فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الْعَجْلَانِ فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتًا ، لَمْ يَزَلْ نَادِمًا ، وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ عِرْسٍ [1] ، وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُودًا . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا مِنَ النُّسَّاكِ كَانَ بِأَرْضِ جُرْجَانَ . وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ . فَمَكَثَا زَمَانًا لَمْ يُرْزَقَا وَلَدًا . ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ بَعْدَ الْإِيَاسِ [2] . فَسُرَّتِ الْمَرْأَةُ ، وَسُرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ . فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْلُ ذَكَرًا . وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ : أَبْشِرِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا لَنَا فِيهِ مَنَافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ ، أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، وَأُحْضِرُ لَهُ سَائِرَ الْأُدَبَاءِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا يَحْمِلُكَ — أَيُّهَا

---

[1] ابن عرس : حيوان كالفأر واعتده بعضهم من أنواع الفأر وعنده العداوة للحية والتمساح وهو المعروف عند العامة في أيامنا (بالعرسة) أو العروسة [2] الإياس بالكسر : اليأس والقنوط

الرَّجُلُ — عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا لَا تَدْرِي : أَيَكُونُ أَمْ لَا ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ الَّذِي أَرَاقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ . قَالَ لَهَا : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تَاجِرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ . وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوتَهُ وَحَاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ الْبَاقِيَ وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُهَا فِي وَتِدٍ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ حَتَّى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ — وَالْعُكَّازَةُ فِي يَدِهِ ، وَالْجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ عَلَى رَأْسِهِ — فَكَّرَ فِي غَلَاءِ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَقَالَ : سَأَبِيعُ مَا فِي هَذِهِ الْجَرَّةِ بِدِينَارٍ وَأَشْتَرِي بِهِ عَشَرَةَ أَعْنُزٍ فَيَحْبَلْنَ وَيَلِدْنَ فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بَطْنًا . وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ غَنَمًا كَثِيرَةً إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ثُمَّ حَزَرَ[1] عَلَى هَذَا النَّحْوِ بِسِنِينَ ، فَوَجَدَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ عَنْزٍ فَقَالَ : أَنَا أَشْتَرِي بِهَا مِائَةً مِنَ الْبَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُزٍ ثَوْرًا أَوْ بَقَرَةً . وَأَشْتَرِي أَرْضًا وَبَذْرًا وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً[2] ، وَأَزْرَعُ عَلَى الثِّيرَانِ ، وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِ الْإِنَاثِ وَنِتَاجِهَا فَلَا يَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ

---

١ يقال : حزر الشيء ويحزر كيضرب وينصر حزراً ومحزرة : قدره بالحدس والتخمين ٢ جمع أكار : وهو العامل



لناسك يتخيل ماسيجنيه من جرة السمن والعسل



الناسك وقد سال ما في الجرة على رأسه

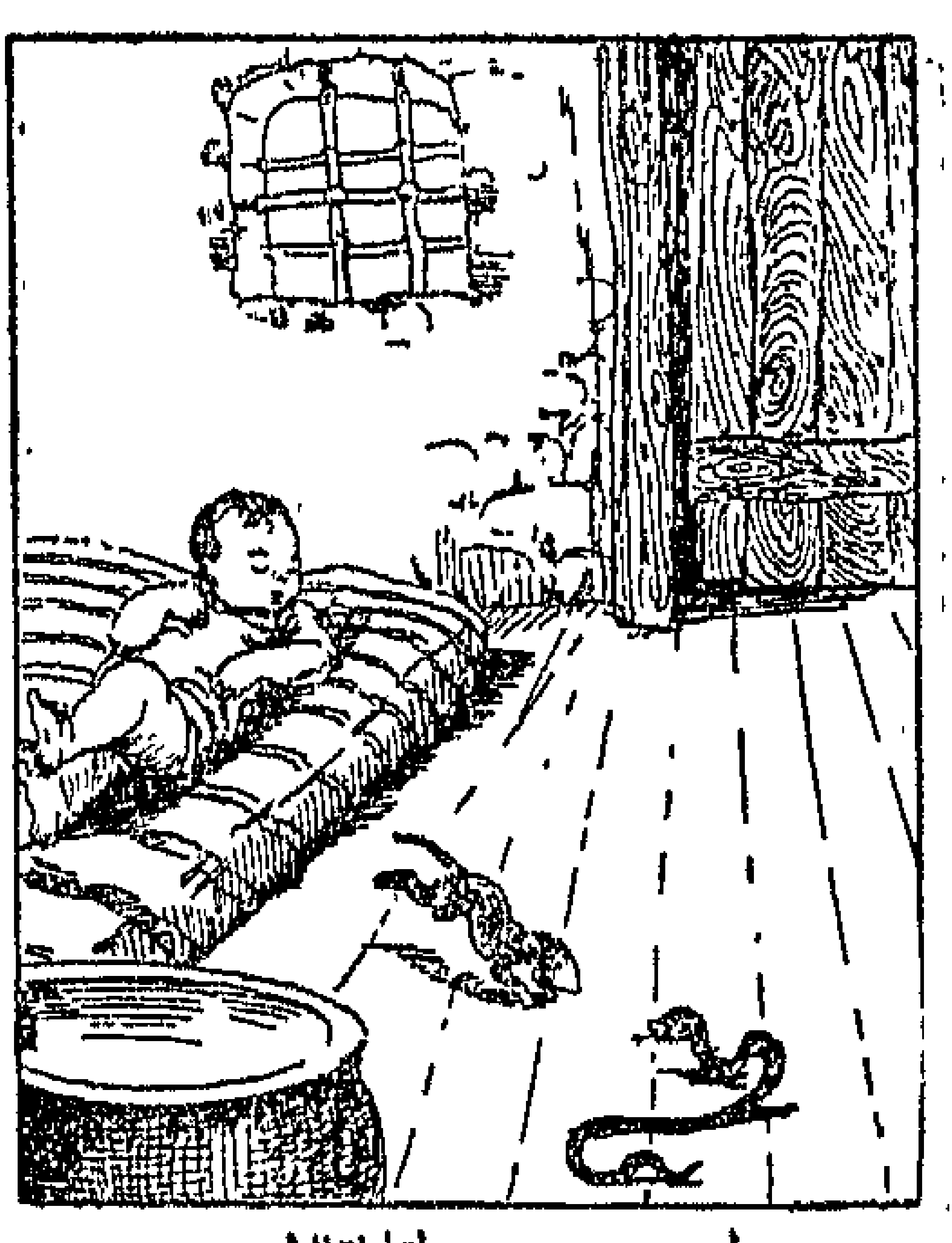
أَصَبْتُ مِنَ الزَّرْعِ مَالاً كَثِيرًا . فَأَبْنِي بَيْتًا فَاخِرًا وَأَشْتَرِي إِمَاءً ¹ وَعَبِيدًا ، وَأَتَزَوَّجُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ذَاتَ حُسْنٍ . ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيٍّ نَجِيبٍ . فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ . فَإِذَا تَرَعْرَعَ أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيبَهُ ، وَأُشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ . فَإِنْ يَقْبَلْ مِنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُ رَأْسَهُ بِهٰذِهِ الْعُكَّازَةِ هٰكَذَا . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَرَّةِ فَكَسَرَهَا . فَسَالَ مَا كَانَ فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ ، وَمَا لَا تَدْرِي : أَيَصِحُّ أَمْ لَا يَصِحُّ ؟ فَاتَّعَظَ النَّاسِكُ بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا

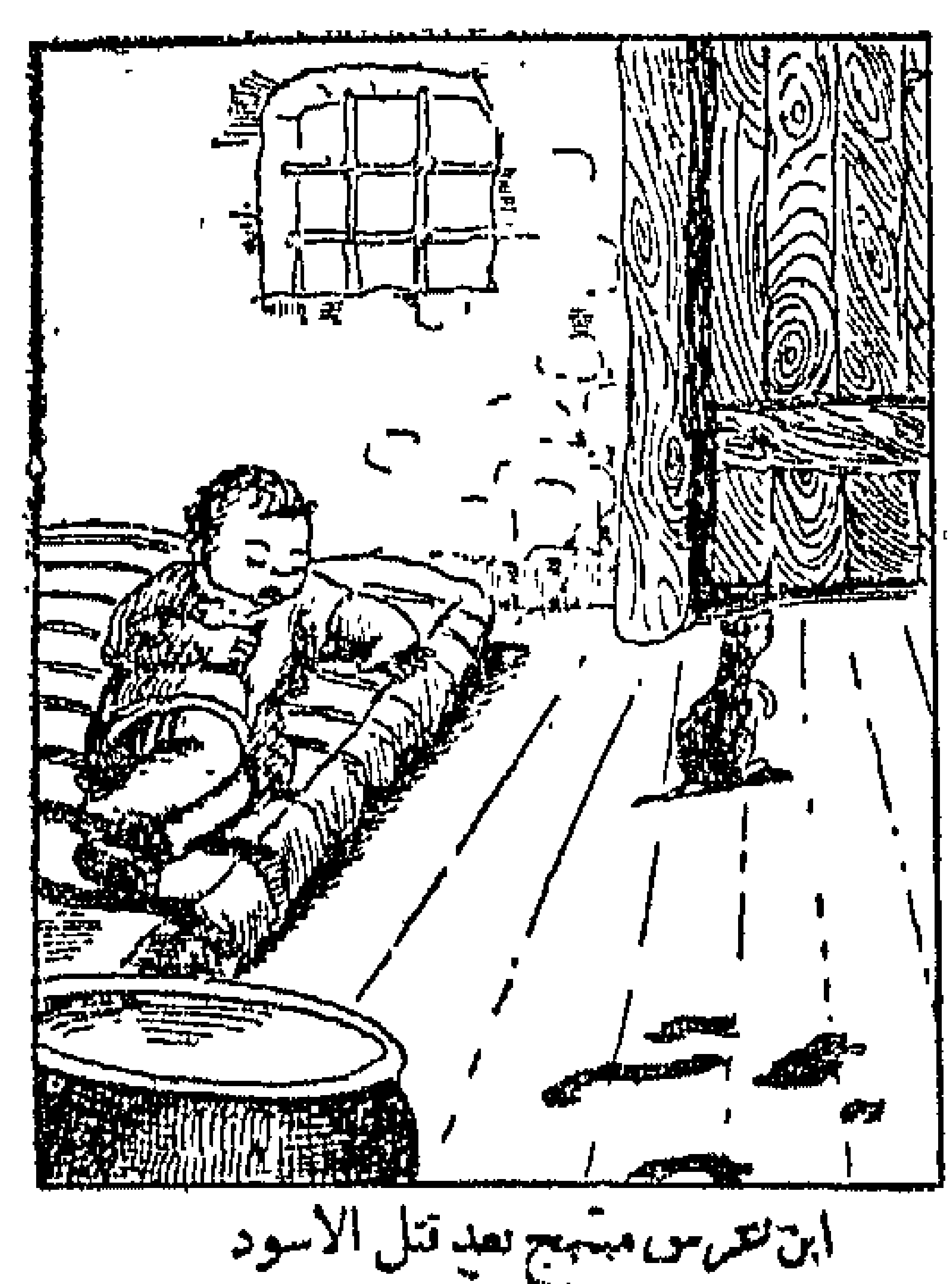
---

١ جمع أمة

٧٥



ابن عرس يهجم لمقاتلة الأسود



ابن عرس مبتهج بعد قتل الأسود

جَمِيلاً ، فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ . وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَتَطَهَّرَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلنَّاسِكِ : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا انْطَلَقَتْ إِلَى الْحَمَّامِ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عِرْسٍ دَاجِنٍ [١] عِنْدَهُ : كَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا ، فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ ، وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ فَدَنَتْ مِنَ الْغُلَامِ ، فَضَرَبَهَا ابْنُ عِرْسٍ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَطَّعَهَا وَامْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ النَّاسِكُ ، وَفَتَحَ الْبَابَ . فَالْتَقَاهُ ابْنُ عِرْسٍ

---

١ أَلُوف



الناسك يقتل ابن عرس



الناسك يندم وزوجه تؤنبه

كَالْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَتْلِ الْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِالدَّمِ
— وَهُوَ مَذْعُورٌ — طَارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ ، وَلَمْ
يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَيَعْمَلَ
بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ عَجَّلَ عَلَى ابْنِ عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ
كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَمَاتَ . وَدَخَلَ النَّاسِكُ ، فَرَأَى الْغُلَامَ
سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَلَمَّا عَرَفَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ
فِعْلِهِ فِي الْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هَذَا الْوَلَدَ ، وَلَمْ
أَغْدِرْ هَذَا الْغَدْرَ . وَدَخَلَتِ امْرَأَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ
لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ
لَهُ . فَقَالَتْ : هَذِهِ ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ . فَهَذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ ، بَلْ
يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِالسُّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ (انتهى باب الناسك وابن عرس)

الجرذ والسنور

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَأَحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَلَاكِ فَالْتَمَسَ النَّجَاةَ وَالْمَخْرَجَ بِمُوَالَاةِ بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحَتِهِ ، فَسَلِمَ مِنَ الْخَوْفِ وَأَمِنَ ، ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْمَوَدَّةَ وَالْعَدَاوَةَ لَا تَثْبُتَانِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ الْمَوَدَّةُ إِلَى الْعَدَاوَةِ ، وَصَارَتِ الْعَدَاوَةُ وِلَايَةً وَصَدَاقَةً . وَلِهٰذَا حَوَادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ . وَذُو الرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذٰلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا : أَمَّا مِنْ قِبَلِ الْعَدُوِّ فَبِالْبَأْس . وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ الصَّدِيقِ فَبِالِاسْتِئْنَاسِ . وَلَا تَمْنَعُ ذَا الْعَقْلِ عَدَاوَةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ مِنْ مُقَارَبَتِهِ وَالِاسْتِنْجَادِ بِهِ ، عَلَى دَفْعِ مَخُوفٍ — أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ ، وَمَنْ عَمِلَ فِي ذٰلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفِرَ بِحَاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الْجُرَذِ وَالسِّنَّوْرِ حِينَ وَقَعَا فِي الْوَرْطَةِ فَنَجَوَا بِاصْطِلَاحِهِمَا جَمِيعًا مِنَ الْوَرْطَةِ وَالشِّدَّةِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كَانَ فِي أَصْلِهَا جُحْرُ سِنَّوْرٍ يُقَالُ لَهُ رُومِي . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ جُرَذٍ يُقَالُ لَهُ فَرِيدُونُ . وَكَانَ الصَّيَّادُونَ كَثِيرًا مَا يَتَدَاوَلُونَ ذَلِكَ الْمَكَانَ يَصِيدُونَ فِيهِ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ . فَنَزَلَ ذَاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبَالَتَهُ قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِي . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيهَا ، فَخَرَجَ الْجُرَذُ يَدِبُّ وَيَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ وَهُوَ حَذِرٌ مِنْ رُومِي . فَبَيْنَمَا هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي الشَّرَكِ ، فَسُرَّ وَاسْتَبْشَرَ . ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ابْنَ عِرْسٍ يُرِيدُ أَخْذَهُ ، وَفِي الشَّجَرَةِ بُومًا يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخَذَهُ ابْنُ عِرْسٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا اخْتَطَفَهُ الْبُومُ ، وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمَامَهُ افْتَرَسَهُ السِّنَّوْرُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا بَلَاءٌ قَدِ اكْتَنَفَنِي[١] ، وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ[٢] ، وَمِحَنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي

وَبَعْدَ ذَلِكَ فَمَعِي عَقْلِي فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي ، وَلَا يَهُولُنِي شَأْنِي ، وَلَا يَلْحَقُنِي الدَّهَشُ . وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شَعَاعًا[٣] فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرَقُ[٤] عِنْدَ سَدَادِ رَأْيِهِ ، وَلَا يَعْزُبُ[٥] عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ . إِنَّمَا الْعَقْلُ شَبِيهٌ بِالْبَحْرِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ

---

١ أحاط بي ٢ تعاونت ٣ متفرقا ٤ لا يخاف
٥ لا يغيب

الْبَلاءِ مِنْ ذِي الرَّأْيِ مَجْهُودَهُ فَيُهْلِكَهُ ، وَتَحَقُّقُ الرَّجَاءِ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَعْمَى عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هٰذَا الْبَلاَءِ مَخْلَصًا إِلَّا مُصَالَحَةَ السِّنَّوْرِ ، فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلاءِ مِثْلُ مَا قَدْ نَزَلَ بِي أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعَلَّهُ إِنْ سَمِعَ كَلاَمِي الَّذِي أُكَلِّمُهُ بِهِ ، وَوَعَى عَنِّي فَصِيحَ خِطَابِي ، وَمَحْضَ صِدْقِي الَّذِي لاَ خِلاَفَ فِيهِ ، وَلاَ خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ نَخْلُصْ جَمِيعًا

ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ دَنَا مِنَ السِّنَّوْرِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَ لَهُ السِّنَّوْرُ : كَمَا تُحِبُّ فِي ضَنْكٍ وَضِيقٍ . قَالَ : وَأَنَا الْيَوْمَ شَرِيكُكَ فِي الْبَلاَءِ . وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلاَصًا إِلَّا بِالَّذِي أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلاَصَ وَكَلاَمِي هٰذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلاَ خَدِيعَةٌ . وَابْنُ عِرْسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ لِي ، وَالْبُومُ يَرْصُدُنِي ، وَكِلاَهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . فَإِنْ جَعَلْتَ لِيَ الْأَمَانَ قَطَعْتُ حَبَائِلَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هٰذِهِ الْوَرْطَةِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ : كَالسَّفِينَةِ وَالرُّكَّابِ فِي الْبَحْرِ فَبِالسَّفِينَةِ يَنْجُونَ ، وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ السِّنَّوْرُ كَلاَمَ الْجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ قَالَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ هٰذَا لَشَبِيهٌ بِالْحَقِّ . وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ الْخَلاَصَ .

ثُمَّ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَسَأَشْكُرُ لَكَ مَا بَقِيتُ. قَالَ الْجُرَذُ: فَإِنِّي سَأَدْنُو مِنْكَ فَأَقْطَعُ الْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا حَبْلًا وَاحِدًا أُبْقِيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ. ثُمَّ أَخَذَ فِي قَرْضِ حَبَائِلِهِ. ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ وَابْنَ عِرْسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُوَّ الْجُرَذِ مِنَ السِّنَّوْرِ أَيِسَا مِنْهُ وَانْصَرَفَا. ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِي فِي قَطْعِ الْحَبَائِلِ فَقَالَ لَهُ: مَالِي لَا أَرَاكَ مُجِدًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي؟! فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ، وَتَوَانَيْتَ فِي حَاجَتِي، فَمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ. فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ صَاحِبِهِ. وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ مَا قَدْ رَأَيْتَ. وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تُكَافِئَنِي بِذَلِكَ، وَلَا تَذْكُرَ الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَالَّذِي حَدَثَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصُّلْحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيَكَ ذَلِكَ مَعَ مَا فِي الْوَفَاءِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ، وَمَا فِي الْغَدْرِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْإِحْسَانِ الْخِلَالَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْإِسَاءَةِ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ أَعْجَلَ الْعُقُوبَةِ عُقُوبَةُ الْغَدْرِ. وَمَنْ إِذَا تُضُرِّعَ إِلَيْهِ وَسُئِلَ الْعَفْوَ، فَلَمْ يَرْحَمْ، وَلَمْ يَعْفُ، فَقَدْ غَدَرَ. قَالَ الْجُرَذُ: إِنَّ الصَّدِيقَ صَدِيقَانِ، طَائِعٌ وَمُضْطَرٌّ، وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ الْمَضَرَّةِ: فَأَمَّا

الطَّائِعُ فَيَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ وَيُؤْمِنُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ فَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ وَفِي بَعْضِهَا يُتَحَذَّرُ مِنْهُ . وَلاَ يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ . وَلَيْسَ عَاقِبَةُ التَّوَاصُلِ مِنَ الْمُتَوَاصِلِ إِلاَّ طَلَبَ عَاجِلِ النَّفْعِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ . وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا جَعَلْتُ لَكَ ، وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذٰلِكَ ، مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ تَخَوُّفًا أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالَحَتِكَ ، وَأَلْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذٰلِكَ مِنِّي . فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حِينِهِ فَلاَ حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ . وَأَنَا قَاطِعٌ حَبَائِلَكَ كُلَّهَا ، غَيْرَ أَنِّي تَارِكٌ عُقْدَةً وَاحِدَةً أَرْتَهِنُكَ بِهَا وَلاَ أَقْطَعُهَا إِلاَّ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ . وَذٰلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَتِي الصَّيَّادَ ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ السِّنَّوْرِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ وَافَى الصَّيَّادُ . فَقَالَ لَهُ السِّنَّوْرُ : الْآنَ جَاءَ الْجِدُّ فِي قَطْعِ حَبَائِلِي فَأَجْهَدَ الْجُرَذُ نَفْسَهُ فِي الْقَرْضِ حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَثَبَ السِّنَّوْرُ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى دَهَشٍ مِنَ الصَّيَّادِ . وَدَخَلَ الْجُرَذُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ . وَجَاءَ الصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ خَائِبًا

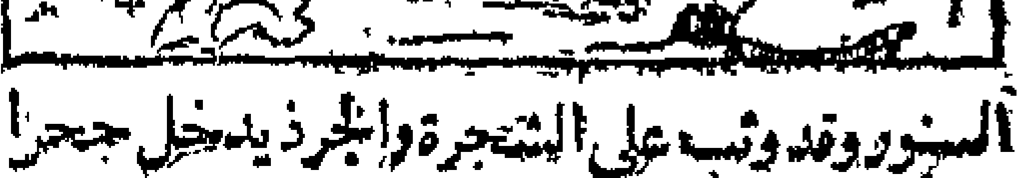
ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ السِّنَّوْرِ فَنَادَاهُ السِّنَّوْرُ : أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ذُو الْبَيَانِ الْحَسَنِ

٧٧



الجرذ أمام السنور والبوم وابن عرس





السنور وقد وثب على الشجرة والجرذ يدخل جحرا

عِنْدِي ، مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ ؟ لِأُجَازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ[1]
إِلَيَّ . هَلُمَّ إِلَيَّ ، وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي . فَإِنَّهُ مَنِ اتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ
إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ ، وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ
الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ[2] عِنْدِي لَا تُنْسَى . وَأَنْتَ
حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي ،
وَلَا تَخَافَنَّ مِنِّي شَيْئًا . وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قِبَلِي لَكَ مَبْذُولٌ . ثُمَّ حَلَفَ
وَاجْتَهَدَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا قَالَ . فَنَادَاهُ الْجُرَذُ : رُبَّ صَدَاقَةٍ
ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ ، وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعَدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ ،
فَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ نَابَ

---

١ أحسنت   ٢ نعمتك

الْفِيلِ الْمُغْتَلِمِ [١] . ثُمَّ يَغْلِبُهُ النُّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ [٢] الْفِيلِ ، فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا لِمَا يُرْجَى مِنْ نَفْعِهِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنْ ضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ . وَإِذَا خَافَ ضَرَّ الصَّدِيقِ أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى تَتَبُّعَ الْبَهَائِمِ أُمَّهَاتِهَا [٣] رَجَاءَ أَلْبَانِهَا ، فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انْصَرَفَتْ عَنْهَا . وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْهُ فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ ، لِأَنَّ أَصْلَ أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً ، ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ زَالَتْ صَدَاقَتُهُ ، فَتَحَوَّلَتْ عَدَاوَةً ، وَصَارَ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ : كَالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ بِالنَّارِ ، فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا . وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضَرَّ لِي مِنْكَ . وَقَدِ اضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمُصَالَحَةِ . وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي احْتَجْتَ إِلَيَّ وَاحْتَجْتُ

---

[١] الهائج [٢] جمع فرسن بكسرتين بينهما سكون وهو بمنزلة الخف للبعير ، ونونه زائدة [٣] الام ويقال فيها أمة وأمهة وجمع الاولى والثانية أمات ، وجمع الثالثة أمهات . وقد فرق بعض اللغويين فقال (الامهات) للعاقل (والامات) لغيره

إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ ، وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْعَزِيزِ . وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قِبَلِي حَاجَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي . وَلَا أَعْلَمُ لِي قِبَلَكَ حَاجَةً ، وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُحْتَرِسَ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا اغْتَرَّ بِالضَّعِيفِ وَاسْتَرْسَلَ[١] إِلَيْهِ . وَالْعَاقِلُ يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ ، وَيُصَانِعُهُ وَيُظْهِرُ لَهُ وُدَّهُ ، وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ الِاسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا . ثُمَّ يُعَجِّلُ الِانْصِرَافَ عَنْهُ حِينَ يَجِدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . وَاعْلَمْ أَنَّ سَرِيعَ الِاسْتِرْسَالِ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ . وَالْعَاقِلُ يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ كُلَّ الثِّقَةِ ، وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوَدُّكَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأُحِبُّ لَكَ مِنَ الْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَا[٢] عَلَيْكَ أَنْ تُجَازِيَنِي عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ ، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى اجْتِمَاعِنَا وَالسَّلَامُ

(انتهى باب الجرذ والسنور)

[illegible]

الملك والطائر فنزة

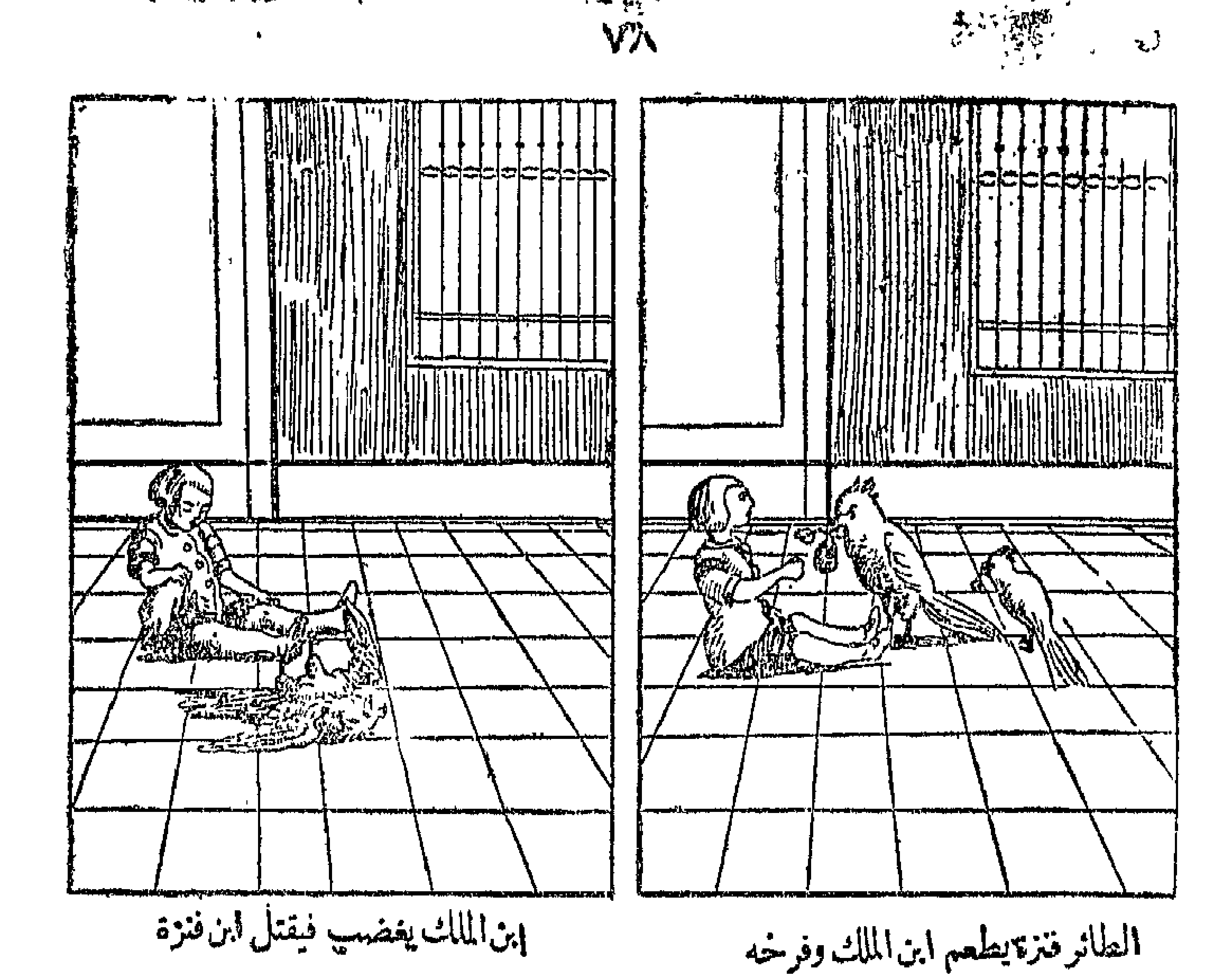
قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ. فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التِّرَاتِ[1] الَّذِينَ لَابُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنِ اتِّقَاءِ بَعْضٍ. قَالَ بَيْدَبَا: زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ[2] وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ: فَنْزَةُ[3]. وَكَانَ لَهُ فَرْخٌ. وَكَانَ هٰذَا الطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ بِهِمَا مُعْجَبًا. فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ امْرَأَتِهِ، وَأَمَرَهَا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا. وَاتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ وَلَدَتْ غُلَامًا. فَأَلِفَ الْفَرْخُ الْغُلَامَ، وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ جَمِيعًا. وَكَانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ إِلَى الْجَبَلِ كُلَّ يَوْمٍ فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ. فَيُطْعِمُ ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَهَا. وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا. فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِمَا، وَزَادَ فِي شَبَابِهِمَا، وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ فَازْدَادَ لِفَنْزَةَ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا وَمَحَبَّةً.

---

١ التِّرات: جمع تِرة بالكسر وهي الثأر

٢ بعض النسخ قد جعل لهذا الباب عنوانا هو (باب ابن الملك ..) وبعض آخر حذف لفظ «ابن» ولعله أصوب فان معناه إنما هو يدور حول الملك (لا ابنه)

٣ فنزة: اسم علم



الطائر فنزة يطعم ابن الملك وفرخه — ابن الملك يغضب فيقتل ابن فنزة

حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَفَنْزَةُ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ وَفَرْخُهُ فِي حِجْرِ[1] الْغُلَامِ ذَرَقَ فِي حِجْرِهِ ، فَغَضِبَ الْغُلَامُ وَأَخَذَ الْفَرْخَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولًا . فَصَاحَ وَحَزِنَ ، وَقَالَ : قُبْحًا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وَفَاءَ ! وَيْلٌ لِمَنِ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا حَمِيَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ[2] ، وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا ، وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ غَنَاءٍ ، وَاحْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ ، فَيُكْرِمُونَهُ لِذَلِكَ . فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ

---

١ الحجر مثلثة : الحضن   ٢ الحرمة : العهد

٧٩



الطائر فنزة يفقأ عين الغلام





الملك يريد أن يستأمن فنزة لينتقم

منه فلا ودّ، ولا إخاء، ولا إحسان، ولا غفران ذنب، ولا معرفة حقّ! . هم الذين أمرهم مبنيّ على الرّياء والفجور، وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذّنوب، ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم. ومنهم هذا الكفور الّذي لا رحمة له، الغادر بأليفه وأخيه. ثمّ وثب في شدّة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه وطار، فوقع على شجرة. ثمّ إنّه بلغ الملك ذلك فجزع أشدّ الجزع. ثمّ طمع أن يحتال له. فوقف قريباً منه وناداه. وقال له: إنّك آمن، فانزل يا فنزة

فقال له - أيّها الملك - إنّ الغادر مأخوذ بغدره وإنّه

إنْ أخطأهُ عاجلُ العقوبةِ لم يُخطِئْهُ الآجلُ[1]، حتى إنّهُ يُدرِكُ الأعقابَ[2] وأعقابَ الأعقابِ. وإنَّ ابنَكَ غدرَ بابني فتَعجَّلتْ لهُ العقوبةُ. قالَ الملكُ: لعَمري قدْ غدرْنا بابنِكَ فانتقمتَ منّا، فليسَ لكَ قِبَلَنا ولا لنا قِبَلَكَ وِترٌ[3] مطلوبٌ. فارجعْ إلينا آمِنًا. قالَ فنزةُ: لستُ براجعٍ إليكَ أبدًا. فإنَّ ذوي الرأيِ قدْ نَهَوْا عنْ قُربِ الموتورِ[4]. فإنّهُ لا يزيدُكَ لُطفُ الحقودِ ولِينُهُ وتكرِمتُهُ إيّاكَ إلّا وحشةً منهُ، وسوءَ ظنٍّ بهِ. فإنّكَ لا تجدُ للحقودِ الموتورِ أمانًا هوَ أوثقُ لكَ منَ الذُّعرِ منهُ، ولا أجودَ منَ البُعدِ عنهُ. والاحتراسُ منهُ أولى. وقدْ كانَ يُقالُ: إنَّ العاقلَ يعدُّ أبويْهِ أصدقاءَ، والإخوةَ رُفقاءَ، والأزواجَ أُلَفاءَ، والبنينَ ذِكْرًا، والبناتِ خُصَماءَ، والأقاربَ غُرَماءَ، ويعدُّ نفسَهُ فريدًا. وأنا الفريدُ الوحيدُ الغريبُ الطريدُ قدْ تزوّدتُ منْ عندِكمْ منَ الحزنِ عِبئًا ثقيلًا لا يحمِلُهُ معي أحدٌ. وأنا ذاهبٌ، فعليكَ منّي السلامُ

قالَ لهُ الملكُ: إنّكَ لوْ لمْ تكنْ قدِ اجتزيتَ منّا فيما صنعناهُ

---

[1] الآجل: خلاف العاجل، وهو البعيد [illegible] [2] الأعقاب: جمع عقب بالفتح وهو الولد [illegible] بطلق على ولد الولد [illegible] [3] الوتر: [illegible]

بِكَ . أَوْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ ابْتِدَاءٍ مِنَّا بِالْغَدْرِ كَانَ
الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . فَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ بَدَأْنَاكَ فَمَا ذَنْبُكَ ؟
وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الثِّقَةِ بِنَا ؟ هَلُمَّ فَارْجِعْ . فَإِنَّكَ آمِنٌ .
قَالَ فَنْزَةُ : اعْلَمْ أَنَّ الْأَحْقَادَ لَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوَاقِعُ مُمَكَّنَةٌ
مُوجِعَةٌ ، فَالْأَلْسُنُ لَا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ ، وَالْقَلْبُ
أَعْدَلُ عَلَى الْقَلْبِ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي
لَا يَشْهَدُ لِلِسَانِكَ ، وَلَا قَلْبَكَ لِلِسَانِي . قَالَ الْمَلِكُ : أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ؟ فَمَنْ
كَانَ ذَا عَقْلٍ كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ الْحِقْدِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ .
قَالَ فَنْزَةُ : إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ . وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْبَغِي
لِذِي الرَّأْيِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الْمَوْتُورَ الْحَقُودَ نَاسٍ مَا وُتِرَ
بِهِ ، وَلَا مَصْرُوفٌ عَنْهُ فِكْرُهُ فِيهِ . وَذُو الرَّأْيِ يَتَخَوَّفُ الْمَكْرَ
وَالْخَدِيعَةَ وَالْحِيَلَ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ
بِالشِّدَّةِ وَالْمُكَابَرَةِ حَتَّى يُصَادَ بِالرِّفْقِ وَالْمُلَايَنَةِ ، كَمَا يُصَادُ
الْفِيلُ الْوَحْشِيُّ بِالْفِيلِ الدَّاجِنِ . قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ الْعَاقِلَ الْكَرِيمَ
لَا يَتْرُكُ إِلْفَهُ وَلَا يَقْطَعُ إِخْوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ الْحِفَاظَ ، وَإِنْ هُوَ
خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، حَتَّى إِنَّ هَذَا الْخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ الدَّوَابِّ
مَنْزِلَةً . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِالْكِلَابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَهَا

وَيأْكُلُونَهَا . وَيَرَى الْكَلْبُ الَّذِي قَدْ أَلِفَهُمْ ذَلِكَ فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى مُفَارَقَتِهِمْ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ أُلْفَتِهِ إِيَّاهُمْ . قَالَ فَنْزَةُ : إِنَّ الْاحْتِقَادَ مَخُوفَةٌ حَيْثُمَا كَانَتْ . وَأَخْوَفُهَا وَأَشَدُّهَا مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ يَدِينُونَ بِالْانْتِقَامِ ، وَيَرَوْنَ الدَّرْكَ وَالطَّلَبَ بِالْوِتْرِ مَكْرُمَةً وَفَخْرًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُّ بِسُكُونِ الْحِقْدِ إِذَا سَكَنَ . فَإِنَّمَا مَثَلُ الْحِقْدِ فِي الْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكًا مَثَلُ الْجَمْرِ الْمَكْنُونِ مَا لَمْ يَجِدْ حَطَبًا ، فَلَيْسَ يَنْفَكُّ الْحِقْدُ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْعِلَلِ كَمَا تَبْتَغِي النَّارُ الْحَطَبَ ، فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَعَرَ اسْتِعَارَ النَّارِ ، فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ ، وَلَا لِينٌ ، وَلَا رِفْقٌ ، وَلَا خُضُوعٌ ، وَلَا تَضَرُّعٌ ، وَلَا مُصَانَعَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ دُونَ تَلَفِ الْأَنْفُسِ . مَعَ أَنَّهُ رُبَّ وَاتِرٍ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ الْمَوْتُورِ بِمَا يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ وَالدَّفْعِ عَنْهُ . وَلَكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ عَنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ مُنْطَوِيَةً لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ ذَلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا ، وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ وَسُوءِ ظَنٍّ مَا اصْطَحَبْنَا . فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقَ ، وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا

وَلاَ نَفْعًا ، وَأَنَّهُ لاَ شَيْءَ مِنَ الأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلاَ كَبِيرًا يُصِيبُ أَحَدًا إِلاَّ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ : وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ وَوِلاَدَةَ مَا يُولَدُ وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى لَيْسَ إِلَى الخَلاَئِقِ مِنْهُ شَيْءٌ : كَذَلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى وَهَلاَكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ فِي الَّذِي صَنَعْتَ بِابْنِي ذَنْبٌ ، وَلاَ لاِبْنِي فِيمَا صَنَعَ بِابْنِكَ ذَنْبٌ ، إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا . وَكِلاَنَا لَهُ عِلَّةٌ فَلاَ نُؤَاخَذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ القَدَرُ . قَالَ فَنْزَةُ : إِنَّ القَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ، لَكِنْ لاَ يَمْنَعُ ذَلِكَ الحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي المَخَاوِفِ وَالاِحْتِرَاسِ مِنَ المَكَارِهِ . وَلَكِنَّهُ يَجْمَعُ تَصْدِيقًا بِالقَدَرِ وَأَخْذًا بِالحَزْمِ وَالقُوَّةِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَالأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ : لِأَنَّ ابْنَكَ قَتَلَ ابْنِي ، وَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ابْنِكَ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ بِقَتْلِي وَتَخْتِلَنِي عَنْ نَفْسِي . وَالنَّفْسُ تَأْبَى المَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : الفَاقَةُ بَلاَءٌ ، وَالحُزْنُ بَلاَءٌ ، وَقُرْبُ العَدُوِّ بَلاَءٌ ، وَفِرَاقُ الأَحِبَّةِ بَلاَءٌ ، وَالسَّقَمُ بَلاَءٌ ، وَالهَرَمُ بَلاَءٌ ، وَرَأْسُ البَلاَيَا كُلِّهَا المَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ المُوجَعِ الحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا بِمَا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ . وَلاَ خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ ، لِأَنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي ابْنَكَ : لَنْ أَتَذَكَّرَ

صَنِيعَ ابْنِكَ بِابْنِي إِلَّا أَحْدَثَ ذَلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا

قَالَ الْمَلِكُ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِعْرَاضَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَيَنْسَاهُ وَيُهْمِلُهُ حَتَّى لَا يَذْكُرَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكُونَ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ . قَالَ قُنْبَرَةُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قُرْحَةٌ إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى الْمَشْيِ فَلَابُدَّ أَنْ تَنْكَأَ[1] قُرْحَتُهُ . وَالرَّجُلَ الْأَرْمَدَ الْعَيْنِ إِذَا اسْتَقْبَلَ بِهَا الرِّيحَ تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمَدًا . وَكَذَلِكَ الْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ الْمَوْتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا إِلَّا تَوَقِّي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ، وَتَقْدِيرُ الْأُمُورِ ، وَقِلَّةُ الِاتِّكَالِ عَلَى الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَقِلَّةُ الِاغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ . فَإِنَّهُ مَنِ اتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَ ، فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يُقَدِّرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَحَمَّلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَحْمِلُ فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ وَمَنْ لَا يُقَدِّرُ لُقْمَتَهُ وَعَظَّمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهُ فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنِ اغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ وَانْخَدَعَ لَهُ وَضَيَّعَ الْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ النَّظَرُ فِي الْقَدَرِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ ، وَلَا مَا يُصْرَفُ عَنْهُ . وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْحَزْمِ وَالْأَخْذُ بِالْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ .

---

[1] يقال : نكأ القرحة من باب قطع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت

وَالْعَاقِلُ لاَ يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ وَلاَ يُقِيمُ عَلَى خَوْفٍ وَهُوَ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ الْمَذَاهِبِ . وَأَرْجُو أَلَّا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ مَا يُغْنِينِي . فَإِنَّ خِلاَلاً خَمْساً مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَآنَسْنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ ، وَقَرَّبْنَ لَهُ الْبَعِيدَ ، وَأَكْسَبْنَهُ الْمَعَاشَ وَالْإِخْوَانَ : أُولاَهُنَّ كَفُّ الْأَذَى ، وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ الْأَدَبِ ، وَالثَّالِثَةُ مُجَانَبَةُ الرِّيَبِ ، وَالرَّابِعَةُ كَرَمُ الْخُلُقِ ، وَالْخَامِسَةُ النُّبْلُ(١) فِي الْعَمَلِ. وَإِذَا خَافَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَطَنِ ، فَإِنَّهُ يَرْجُو الْخَلَفَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَلَا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ خَلَفًا . وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْأَزْوَاجِ الَّتِي لَا تُؤَاتِي بَعْلَهَا(٢) ، وَشَرُّ الْوَلَدِ الْعَاصِي الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَشَرُّ الْإِخْوَانِ الْخَاذِلُ لِأَخِيهِ عِنْدَ النَّكَبَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ الَّذِي يَخَافُهُ الْبَرِيءُ وَلَا يُوَاظِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِصْبَ فِيهَا وَلَا أَمْنَ . وَإِنَّهُ لَا أَمْنَ لِي عِنْدَكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةَ لِي فِي جِوَارِكَ . ثُمَّ وَدَّعَ الْمَلِكَ وَطَارَ . فَهَذَا مَثَلُ ذَوِي الْأَوْتَارِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ .

(انتهى باب الملك والطائر)

(١) النبل بالضم : الذكاء والنجابة (٢) لا تؤاتى زوجها

الأسد والشغبر الناسك

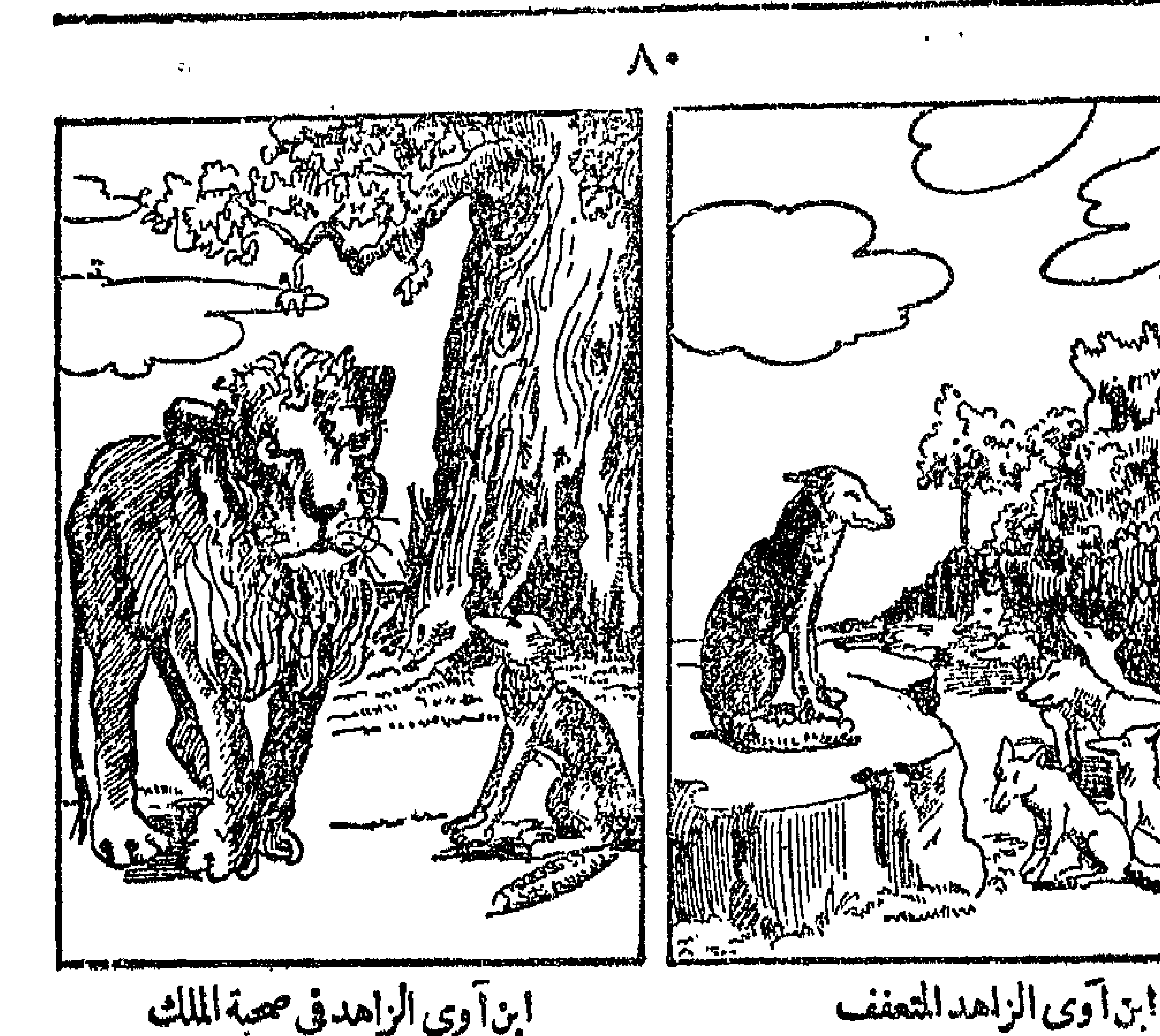
قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الْمَلِكِ الَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، أَوْ جَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِالْأُمُورِ . وَلٰكِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنِ ابْتُلِيَ بِذٰلِكَ ، وَيَخْبُرَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَنَافِعِ . فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ بِالْحِرْصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ ، فَإِنَّ الْمُلْكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ . وَهُمُ الْوُزَرَاءُ وَالْأَعْوَانُ . وَلَا يُنْتَفَعُ بِالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَا مَوَدَّةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِذَوِي الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ ، وَالَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعُمَّالِ وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ ، وَمَنْ يَجْتَمِعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . وَالْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ الْأَسَدِ وَابْنِ آوَى . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ الدِّحَالِ[1] وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذِئَابٍ وَثَعَالِبَ . وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعْنَ ، وَلَا يُغِيرُ كَمَا يُغِرْنَ ، وَلَا يُهَرِيقُ دَمًا ، وَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا . فَخَاصَمَتْهُ تِلْكَ السِّبَاعُ ، وَقُلْنَ : لَا نَرْضَى بِسِيرَتِكَ ، وَلَا رَأْيِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ ! مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنَا تَسْعَى مَعَنَا وَتَفْعَلُ فِعْلَنَا . فَمَا الَّذِي كَفَّكَ عَنِ الدِّمَاءِ ؟ وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاكُنَّ لَا تُؤَثِّمُنِي إِذَا لَمْ أُؤَثِّمْ نَفْسِي ، لِأَنَّ الْآثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَمَاكِنِ وَالْأَصْحَابِ ، وَلَكِنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ الْمَكَانِ الصَّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا وَصَاحِبُ الْمَكَانِ السَّيِّءِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا كَانَ حِينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ النَّاسِكَ فِي مِحْرَابِهِ[2] لَمْ يَأْثَمْ . وَمَنِ اسْتَحْيَاهُ[3] فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ أَثِمَ . وَإِنِّي إِنَّمَا صَحِبْتُكُنَّ بِنَفْسِي ، وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبِي وَأَعْمَالِي ، لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ الْأَعْمَالِ ، فَلَزِمْتُ حَالِي .

---

١ الدحال بالكسر : جمع دحل بالفتح ويضم وهو ثقب ضيق فمه ، متسع أسفله حتى يستطاع أن يمشى فيه ٢ المحراب : من معانيه أشرف أماكن البيت ، وأريد به هنا موضع تعبده ٣ أبقاه حيا

٨٠



ابن آوى الزاهد المتعفف — ابن آوى الزاهد فى صحبة الملك

وَمَكَثَ ابْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ . وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزَهُّدِ حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالزُّهْدِ وَالْأَمَانَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ . فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَفْقَ غَرَضِهِ ، ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ . وَقَالَ لَهُ : تَعْلَمُ أَنَّ عُمَّالِي كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ ، فَازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً ، وَأَنَا مُوَلِّيكَ مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا ، وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ ، وَجَاعِلُكَ مِنْ خَاصَّتِي . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ

الْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ بِاخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ ، وَهُمْ أَحْرَى أَلَّا يُكْرِهُوا عَلَى ذٰلِكَ أَحَدًا . فَإِنَّ الْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْعَمَلِ . وَإِنِّي لِعَمَلِ السُّلْطَانِ كَارِهٌ ، وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ ، وَلَا بِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ . وَأَنْتَ مَلِكُ السِّبَاعِ ، وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَبِيرٌ ، فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ وَقُوَّةٍ ، وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ ، وَعِنْدَهُمْ بِهِ وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ ، فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ ، وَاغْتَبَطُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : دَعْ عَنْكَ هٰذَا ، فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ خِدْمَةَ السُّلْطَانِ رَجُلَانِ ، لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ[1] يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ ، وَإِمَّا مُغَفَّلٌ لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ ا فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَلَا يَخْلِطُ ذٰلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ . وَحِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذٰلِكَ ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ : أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ ، وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا ، وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا . وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ[2] عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ . فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هٰذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ .

---

١ مداهن منافق ٢ يحقد

قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَكُونَنَّ بَغْيُ أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ ، فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَكْفِيكَ ذٰلِكَ وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكَرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدَعْنِي فِي هٰذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا قَلِيلَ الْهَمِّ رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ الْمَاءِ وَالْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ السُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمْرِهِ . وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ . قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ ، فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي . قَالَ ابْنُ آوَى : أَمَّا إِذَا أَبَى الْمَلِكُ إِلَّا ذٰلِكَ فَلْيَجْعَلْ لِي عَهْدًا : إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى مَنْزِلَتِهِ ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي فِي مَنْزِلَتِي — فَذَكَرَ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ حَمْلَ الْمَلِكِ عَلَيَّ — أَلَّا يُعَجِّلَ فِي أَمْرِي ، وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَيَفْحَصَ عَنْهُ ، ثُمَّ لِيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يُحِبُّ ، وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي بِنَصِيحَةٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَحَرَصْتُ

عَلَى أَلَّا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي سَبِيلاً . قَالَ الْأَسَدُ : لَكَ ذٰلِكَ عَلَيَّ وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ وَاخْتَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ .

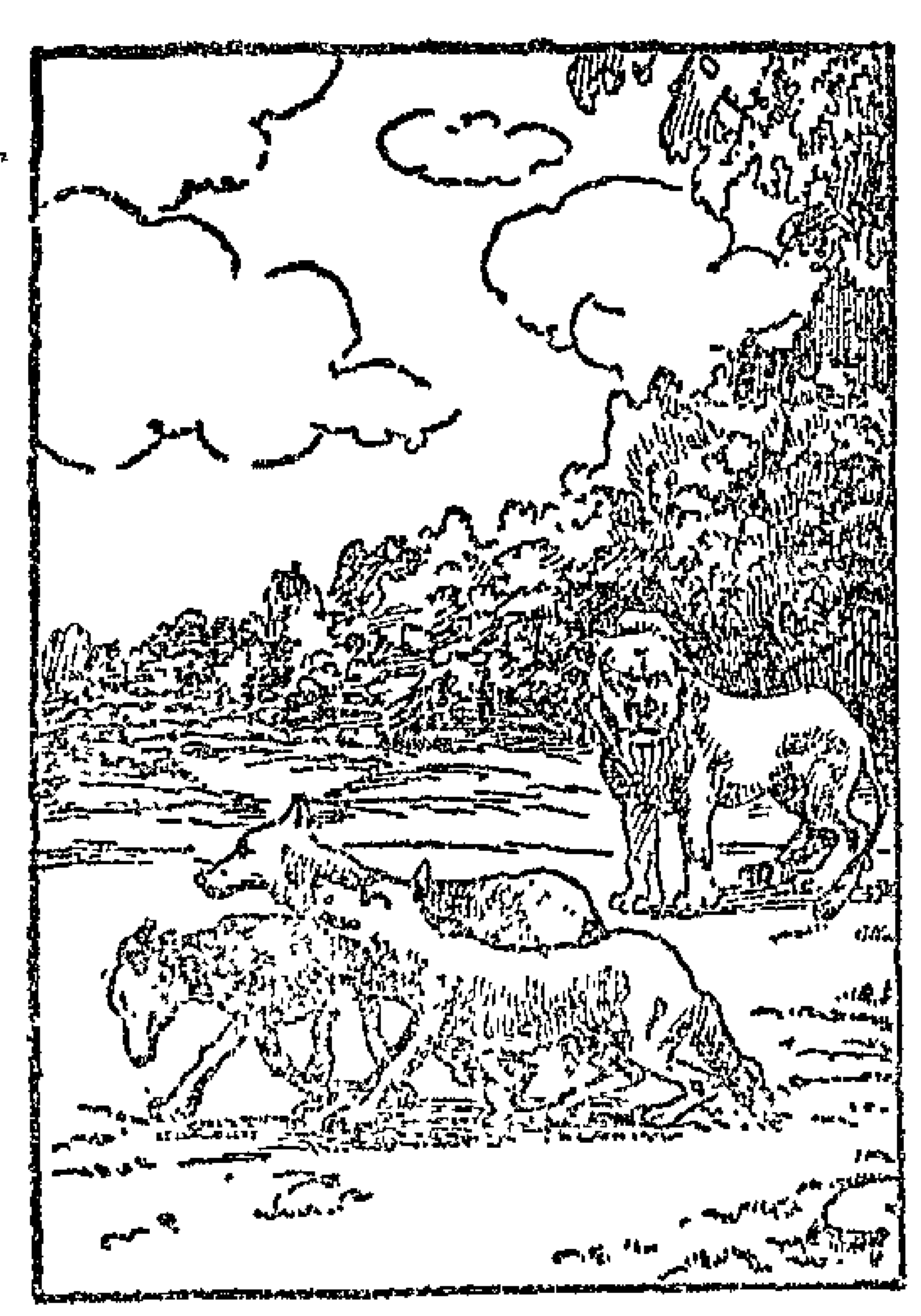
فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذٰلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ . فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ الْأَسَدَ . وَكَانَ الْأَسَدُ قَدِ اسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْدَارًا ، وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَاظِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعِ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ لِيُعَادَ عَلَيْهِ . فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى فَخَبَأُوهُ فِيهِ ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ . ثُمَّ حَضَرُوا يُكَشِّفُونَهُ إِنْ جَرَتْ فِي ذٰلِكَ حَالٌ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَدَعَا الْأَسَدُ بِغَدَائِهِ فَقَدَ ذٰلِكَ اللَّحْمَ ، فَالْتَمَسَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ . وَابْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ الْمَكِيدَةِ . فَحَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْمَكِيدَةَ ، وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ وَشَدَّدَ فِيهِ وَفِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ! فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ : إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ — وَإِنْ شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ — وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ . قَالَ الْآخَرُ : لَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هٰذَا ! وَلٰكِنِ انْظُرُوا وَافْحَصُوا ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ

شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الآخَرُ : لَعَمْرِي مَا تَكَادُ السَّرَائِرُ تُعْرَفُ ، وَأَنْتُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هٰذَا وَجَدْتُمُ اللَّحْمَ بِبَيْتِ ابْنِ آوَى . وَكُلُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ مِنْ عُيُوبِهِ وَخِيَانَتِهِ نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ قَالَ الآخَرُ : لَئِنْ وَجَدْنَا هٰذَا حَقًّا فَلَيْسَتْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ ، وَلٰكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْمَلِكِ . قَالَ الآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَذِّبَكُمْ ، وَلٰكِنْ سَيَبِينُ هٰذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَىٰ بَيْتِهِ مَنْ يُفَتِّشُهُ . قَالَ آخَرُ إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفَتِّشًا مَنْزِلَهُ فَلْيُعَجِّلْ ، فَإِنَّ عُيُونَهُ وَجَوَاسِيسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَزَالُوا فِي هٰذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ . فَأَمَرَ بِابْنِ آوَى فَحَضَرَ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ اللَّحْمُ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالِاحْتِفَاظِ بِهِ ؟ قَالَ : دَفَعْتُهُ إِلَىٰ صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَىٰ الْمَلِكِ . فَدَعَا الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ وَكَانَ مِمَّنْ شَايَعَ وَبَايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلَىٰ ابْنِ آوَى . فَقَالَ : مَا دَفَعَ إِلَيْنَا شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَىٰ بَيْتِ ابْنِ آوَى لِيُفَتِّشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّحْمَ ، فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ . فَدَنَا مِنَ الْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ : بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى

٨١



ابن آوى الزاهد يتهم باخفائه اللحم فى منزله



الأسد يأمر بابن آوى الزاهد أن يقتل

خيانةَ ابنِ آوى فلا يعفونّ عنه ، فإنه إن عفا عنه لم يطّلع الملكُ بعدها على خيانةِ خائنٍ ولا ذنبِ مذنبٍ . فأمر الأسدُ بابنِ آوى أن يُخرَج ويُحتفظ به . فقال بعضُ جلساء الملك : إني لأعجبُ من رأي الملك ومعرفته بالأمور ، كيف يخفى عليه أمرُ هذا ؟ ولم يعرفْ خِبَّه ومخادعته ؟ ! وأعجبُ من هذا أني أراه سيصفح عنه بعد الذي ظهر منه . فأرسل الأسدُ بعضَهم رسولًا إلى ابنِ آوى يلتمس منه العذر ، فرجع إليه الرسولُ برسالةٍ كاذبةٍ اختلقها . فغضب الأسدُ من ذلك وأمر بابنِ آوى أن يُقتل . فعلمت أمُّ الأسد أنه قد عجل في أمره .

فَأَرْسَلَتْ إِلَى الَّذِينَ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُؤَخِّرُوهُ . وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا ، فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ابْنِ آوَى ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ . فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ١ عَجِلْتَ ! وَإِنَّمَا يَسْلَمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ الْعَجَلَةِ وَبِالتَّثَبُّتِ ، وَالْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمَرَةَ النَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى التُّؤَدَةِ وَالتَّثَبُّتِ مِنَ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا ، وَالْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْجُنْدَ بِالْقَائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالدِّينِ ، وَالْعَامَّةَ بِالْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى ، وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَالْعَقْلَ بِالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَاةِ ، وَرَأْسُ الْكُلِّ الْحَزْمُ ، وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَاتِّهَامُهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ سَبِيلاً لَفَعَلَ ، وَقَدْ جَرَّبْتَ ابْنَ آوَى وَبَلَوْتَ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ . ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ ،

---

١ بنى : منادى وأصله مصغر ابن فتصغيره « بنيو » أصله بنو . فاجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ثم أضيفت (بنى) الى ياء المتكلم ولكنها (أى ياء المتكلم) قلبت ألفاً للتخفيف ثم حذفت كذلك ، ومن أجل ذلك بقيت الفتحة على الياء دليلا عليها

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخْوِنَهُ بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَائْتِمَانِهِ لَهُ، وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى الآنَ، لَمْ يُطَّلَعْ لَهُ عَلَى خِيَانَةٍ: إِلاَّ عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَمَا كَانَ رَأْيُ الْمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَابَقِ لَحْمٍ [1]. وَأَنْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى لِتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِلَحْمٍ اسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ. وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذٰلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ آوَى لَهُ خُصَمَاءُ هُمُ الَّذِينَ ائْتَمَرُوا بِهٰذَا الْأَمْرِ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِاللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ، فَوَضَعُوهُ فِيهِ. فَإِنَّ الْحِدَأَةَ إِذَا كَانَ فِي رِجْلِهَا قِطْعَةُ لَحْمٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ، وَالْكَلْبَ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَظْمٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ. وَابْنُ آوَى — مُنْذُ كَانَ إِلَى الْيَوْمِ — نَافِعٌ. وَكَانَ مُحْتَمِلاً لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ، وَلِكُلِّ عَنَاءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا.

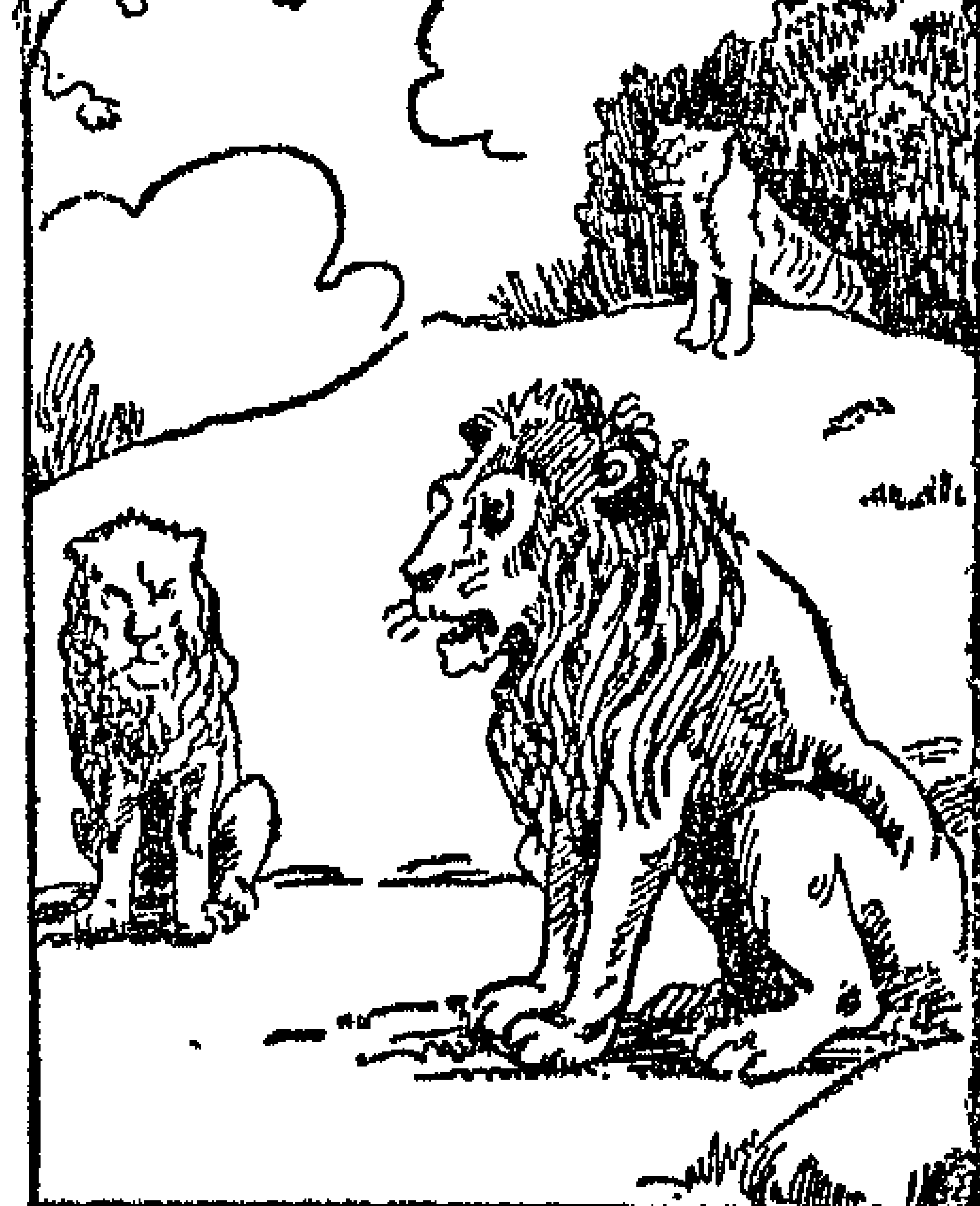
فَبَيْنَمَا أُمُّ الْأَسَدِ تَقُصُّ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْمَقَالَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ بَعْضُ ثِقَاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِبَرَاءَةِ ابْنِ آوَى. فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ، بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى بَرَاءَةِ ابْنِ آوَى: إِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَلاَّ يُرَخِّصَ لِمَنْ سَعَى بِهِ لِئَلاَّ يَتَجَرَّأُوا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ

[1] قطعة منه ويقال أيضاً لنصف الشاة

مِنْ ذٰلِكَ ، بَلْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ الْكَفُورِ لِلْحُسْنَى ، الْجَرِيءِ عَلَى الْغَدْرِ ، الزَّاهِدِ فِي الْخَيْرِ ، الَّذِي لَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْزَى بِعَمَلِهِ . وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَفَرْطَ الْهَفْوَةِ . وَمَنْ سَخِطَ بِالْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضَاهُ بِالْكَثِيرِ . وَالْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ابْنَ آوَى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ . وَلَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ : وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ ، وَحُسْنِ الْعَهْدِ ، وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ ؛ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الْأَذَى ، وَالِاحْتِمَالِ لِلْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمُ الْمُؤُونَةُ . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَلُؤْمِ الْعَهْدِ ، وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّصَفَ بِالْجُحُودِ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا . وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ ، وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصَلَتِهِ

فَدَعَا الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَوَعَدَهُ خَيْرًا ، وَقَالَ : إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ . فَقَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ شَرَّ الْأَخِلَّاءِ مَنِ الْتَمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ

٨٢



أم الأسد تقص عليه خبر السعاية



الأسد يرد ابن اوي الزاهد الى صحبته وكرامته

أَخِيهِ ، وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ . وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَخِلَّاءِ . وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَيَّ مَا عَلِمَ فَلَا يَغْلَطَنَّ عَلَى نَفْسِهِ مَا أُخْبِرُهُ بِهِ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ . فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبُوا مَنْ عَاقَبُوهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْفُضُوهُ أَصْلًا ، فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ إِذَا عُزِلَ كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلْكَرَامَةِ فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْإِقْصَاءِ لَهُ [1] . فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْأَسَدُ إِلَى كَلَامِهِ ، ثُمَّ

....

[1] الابعاد له

قَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ وَأَخْلاَقَكَ ، وَجَرَّبْتُ أَمَانَتَكَ وَوَفَاءَكَ وَصِدْقَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ تَمَحَّلَ الْحِيَلَ لِحَمْلِي عَلَيْكَ ، وَإِنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي مَنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ الْكُرَمَاءِ . وَالْكَرِيمُ تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْإِحْسَانِ الْخِلاَلَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَقَدْ عُدْنَا إِلَى الثِّقَةِ بِكَ فَعُدْ إِلَى الثِّقَةِ بِنَا ، فَإِنَّ لَنَا وَلَكَ بِذَلِكَ غِبْطَةً وَسُرُورًا . فَعَادَ ابْنُ آوَى إِلَى وِلاَيَةِ مَا كَانَ يَلِي وَضَاعَفَ لَهُ الْمَلِكُ الْكَرَامَةَ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلاَّ تَقَرُّبًا مِنَ السُّلْطَانِ .

(انتهى باب الاسد وابن آوى)

ايلاذ وبلاذ وايراخت

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى المَلِكِ أَنْ يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ سُلْطَانَهُ وَيَكُونَ ذٰلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلاكَهُ[1] : أَبِالْحِلْمِ ؟ أَمْ بِالْمُرُوءَةِ ؟ أَمْ بِالشَّجَاعَةِ ؟ أَمْ بِالْجُودِ ؟ . قَالَ بَيْدَبَا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ المَلِكُ مُلْكَهُ الحِلْمُ ، وَبِهِ تَثْبُتُ السَّلْطَنَةُ . وَالحِلْمُ رَأْسُ الأُمُورِ وَمِلاكُهَا ، وَأَجْوَدُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى بِلاذَ ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيلاذَ ، وَكَانَ مُتَعَبِّدًا نَاسِكًا . فَنَامَ المَلِكُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ أَفْزَعَتْهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مَرْعُوبًا . فَدَعَا الْبَرَاهِمَةَ : وَهُمُ النُّسَّاكُ لِيَعْبُرُوا[2] رُؤْيَاهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى . فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَقَدْ رَأَى المَلِكُ عَجَبًا . فَإِنْ أَمْهَلْتَنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَاهُ بِتَأْوِيلِهِ . قَالَ المَلِكُ : قَدْ أَمْهَلْتُكُمْ . فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ؛ ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ ، وَائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ،

....

١ ملاك الشيء بالكسر ويفتح : ما يقوم به ٢ ويجوز في غير التشديد أيضاً



الملك بلاد يقص على البراهمة رؤياه

وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْمًا وَاسِعًا تُدْرِكُونَ بِهِ ثَأْرَكُمْ ، وَتَنْتَقِمُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِالأَمْسِ اثْنَىْ عَشَرَ أَلْفًا . وَهَاهُوَ قَدْ أَطْلَعَنَا عَلَى سِرِّهِ ، وَسَأَلَنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاهُ . فَهَلُمُّوا نُغْلِظْ لَهُ الْقَوْلَ ، وَنُخَوِّفْهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ الْفَرَقُ وَالْجَزَعُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ الَّذِي نُرِيدُ وَنَأْمُرُ فَنَقُولُ : ادْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ ، فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدْفَعَ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ وَمَا وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هٰذَا الشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمِّي لَكَ . فَإِنْ قَالَ الْمَلِكُ : وَمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا ؟ سَمُّوهُمْ لِي . قُلْنَا: نُرِيدُ الْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جُوِيرَ

الْمَشْهُودَةَ ، أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ ، وَنُرِيدُ جُوَيْرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ ابْنَ أَخِيكَ الْكَرِيمَ ، وَإِيلَاذَ خَلِيلَكَ ، وَصَاحِبَ أَمْرِكَ وَنُرِيدُ (كَالَا) الْكَاتِبَ صَاحِبَ سِرِّكَ ، وَسَيْفَكَ الَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ ، وَالْفِيلَ الْأَبْيَضَ الَّذِي لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ ، وَالْفَرَسَ الَّذِي هُوَ مَرْكَبُكَ فِي الْقِتَالِ ، وَنُرِيدُ الْفِيلَيْنِ الْآخَرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ الْفِيلِ الذَّكَرِ ، وَنُرِيدُ الْبُخْتِيَّ [1] السَّرِيعَ الْقَوِيَّ ، وَنُرِيدُ كِبَارِيُونَ الْحَكِيمَ الْفَاضِلَ الْعَالِمَ بِالْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا . ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ، ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدَ فِيهِ . فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْحَوْضِ اجْتَمَعْنَا — نَحْنُ مَعَاشِرَ الْبَرَاهِمَةِ — مِنَ الْآفَاقِ الْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ ، فَنَرْقِيكَ وَنَتْفُلُ عَلَيْكَ ، وَنَمْسَحُ عَنْكَ الدَّمَ ، وَنَغْسِلُكَ بِالْمَاءِ وَالدُّهْنِ الطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ الْبَهِيِّ ، فَيَدْفَعُ اللهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءَ الَّذِي نَتَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ . فَإِنْ صَبَرْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكَ ،

---

[1] البختى واحد البخاتى ، وكذلك البخت بالضم : وهى الابل الخراسانية

وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاءَكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَقَامَ لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ ، وَاسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْنَا

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا ائْتَمَرُوا بِهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ . وَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فِي تَفْسِيرِ مَا رَأَيْتَ ، وَفَحَصْنَا عَنِ الرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا فَلْتَكُنْ لَكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ الطَّاهِرُ الصَّالِحُ — الْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا . فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَخَلَا بِهِمْ . فَحَدَّثُوا بِالَّذِي ائْتَمَرُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ . الْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ نَفْسِي ، وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ ، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ، وَلَسْتُ كُلَّ الدَّهْرِ مَلِكًا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ الْأَحِبَّاءِ سَوَاءٌ قَالَ لَهُ الْبَرَاهِمِيُّونَ : إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا . أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَاحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ ، وَاعْمَلْ هٰذَا الَّذِي لَكَ فِيهِ الرَّجَاءُ الْعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ ، وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ الَّذِينَ شَرُفْتَ وَكَرُمْتَ بِهِمْ ، وَلَا تَدَعِ الْأَمْرَ

الْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا لِمَنْ تُحِبُّ . وَاعْلَمْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنَّ الإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ الْحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ الأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ بِهِمْ فِي حَيَاتِهِ ، وَإِنَّمَا قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمُلْكِكَ ، وَإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ الْكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ ! ! فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا . فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا وَدَعْ مَا سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ الْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاجْتَرَأُوا عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ اشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ . وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ ، وَدَخَلَ إِلَىٰ حُجْرَتِهِ ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ السَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ ! وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ مَا أَدْرِي : أَيُّ الأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ؟ الْمَمْلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي ؟ وَلَنْ أَنَالَ الْفَرَحَ مَا عِشْتُ ، وَلَيْسَ بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ ، وَلَسْتُ بِالْمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي ، وَإِنِّي لَزَاهِدٌ فِي الْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ . وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي إِذَا هَلَكَ وَزِيرِي إِيلَاذُ ؟ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِيلِي الأَبْيَضُ وَفَرَسِي الْجَوَادُ ؟ ! وَكَيْفَ أُدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشَارَ الْبَرَاهِمَةُ بِقَتْلِهِ ؟ وَمَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَهُمْ ؟

ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ فَشَا فِي الْأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمِّهِ فَلَمَّا رَأَى إِيلَاذُ مَا نَالَ الْمَلِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فَكَّرَ بِحِكْمَةٍ وَنَظَرٍ، وَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي. ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِيرَاخْتَ، فَقَالَ: إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي، وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ، وَلَا أَرَاهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرَاهِمِيِّينَ مُنْذُ لَيَالٍ، وَقَدِ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ، فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءُ، فَقُومِي وَادْخُلِي عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ، وَأَخْبِرِينِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ فَلَعَلَّ الْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا، وَحَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ قَبِيحَةٍ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرُ الْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا فَقَالَتْ إِيرَاخْتُ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ بَعْضُ الْعِتَابِ، فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ لَهَا إِيلَاذُ: لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ الْحِقْدَ فِي مِثْلِ هَذَا، وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكِ عَلَى بَالِكِ، فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ

٨٤



الملكة ايراخت تريد أن تعلم ما بالملك

أَحَدٌ سِوَاكِ . وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : مَا ٱشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلَتْ عَلَيَّ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيَ ذَلِكَ عَنِّي . فَقُومِي إِلَيْهِ وَٱصْفَحِي عَنْهُ ، وَكَلِّمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَيَذْهَبُ ٱلَّذِي يَحْزُنُهُ ، وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ . فَإِنَّهُ لَنَا وَلِأَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَعْظَمُ ٱلرَّاحَةِ . فَٱنْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ ، فَدَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ ، فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَتْ : مَا ٱلَّذِي بِكَ ؟ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَحْمُودُ ، وَمَا ٱلَّذِي سَمِعْتَ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ ؟ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا . فَأَعْلِمْنِي مَا بِكَ . فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيكَ . بِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : أَيَّتُهَا ٱلسَّيِّدَةُ : لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرٍ ،

فَمَتَى يا سِيِّدِي غَمًّا وَحُزْنًا ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْهُ . قَالَتْ : أَوَقَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ هٰذَا ؟ إِنَّمَا أَحْمَدُ النَّاسِ عَقْلاً مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطًا ، وَأَكْثَرَهُمُ اسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ النُّصْحِ ، حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّازِلَةِ بِالْحِيلَةِ وَالْعَقْلِ وَالْبَحْثِ وَالْمُشَاوَرَةِ . فَعَظِيمُ الذَّنْبِ لاَ يَقْنَطُ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَلاَ تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ ، فَإِنَّهُمَا لاَ يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا ، إِلاَّ أَنَّهُمَا يُنْحِلاَنِ الْجِسْمَ ، وَيُشْفِيَانِ الْعَدُوَّ . قَالَ لَهَا الْمَلِكُ : لاَ تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ ، فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ [1] . وَالَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لاَ خَيْرَ فِيهِ ، لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلاَكِي وَهَلاَكُكِ وَهَلاَكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي : وَذَاكَ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ زَعَمُوا : أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وَقَتْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي . وَلاَ خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكُمْ . وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذَا إِلاَّ اعْتَرَاهُ الْحُزْنُ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيرَاخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعًا . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لاَ تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ الْفِدَاءُ . وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مِنَ الْجَوَارِي مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — حَاجَةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلَبِهَا حُبِّي

---

[1] يقال : شق على فلان : أوقعه فى المشقة

لَكَ ، وَإِيثَارِي إِيَّاكَ ، وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : أَطْلُبُ مِنْكَ أَلَّا تَثِقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ وَلَا تُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ، ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ مِرَارًا . فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا لَا خَيْرَ فِيهِ فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْيَاكَ ، وَلَا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ الْحِقْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزِيرَكَ ، فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . فَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ ، فَيَعُودُ الْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَانْطَلِقْ إِلَى كِبَارِيُونَ الْحَكِيمِ فَهُوَ عَالِمٌ فَطِنٌ ، فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ ، وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ ، فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ ، فَرَكِبَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى كِبَارِيُونَ

٨٥



الملك بلاذ أمام كباريون الحكيم

الْحَكِيمِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَسَجَدَ لَهُ ، وَقَامَ مُطَأْطِئًا الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : مَا بَالُكَ ؟ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَمَالِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ ، وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذَلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَفْسِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي ، أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْحَكِيمُ : إِنْ شِئْتَ فَاقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ رُؤْيَاهُ قَالَ : لَا يَحْزُنْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ ، وَلَا تَخَفْ مِنْهُ : أَمَّا السَّمَكَتَانِ الْحَمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا

قَائِمَتَيْنِ عَلَى أَذْنَابِهِمَا ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ نَهَاوَنْدَ
بِعُلْبَةٍ فِيهَا عِقْدَانِ مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ
آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ . فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْوَزَّتَانِ
اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ ،
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُهُمَا
فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ
الْيُسْرَى ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صِنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ
بِسَيْفٍ خَالِصِ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ . وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَهُ
كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ
يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ يُضِيءُ
فِي الظُّلْمَةِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ
يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ وِهْزِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابِ كَتَّانٍ
مِنْ لِبَاسِ الْمُلُوكِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ كَأَنَّكَ عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ ،
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَيْدُورَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ
أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ شَبِيهًا بِالنَّارِ ،
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ أَرْزَنَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِإِكْلِيلٍ
مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ . وَأَمَّا الطَّيْرُ الَّذِي رَأَيْتَهُ
ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ ، فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَلَيْسَ

بِضَارِّكَ فَلَا تَوْجَلَنَّ مِنْهُ ، وَلَكِنْ فِيهِ بَعْضُ السَّخَطِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ . فَهَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — وَأَمَّا هَذِهِ الرُّسُلُ وَالْبُرُدُ ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سَجَدَ لِكَبَارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ الْبِشَارَةُ بِقُدُومِ الرُّسُلِ ، فَخَرَجَ الْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ ، وَجَاءَتْهُ الْهَدَايَا كَمَا أَخْبَرَهُ كَبَارِيُونُ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ عَجَبُهُ وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كَبَارِيُونَ ، وَقَالَ : مَا وُفِّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى الْبَرَاهِمَةِ ، فَأَمَرُونِي بِمَا أَمَرُونِي بِهِ . وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَدَارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ لَكُنْتُ قَدْ هَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ . وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ الْأَخِلَّاءِ ذَوِي الْعُقُولِ . وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِالْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ وَرَأَيْتُ بِهِ النَّجَاحَ . فَضَعُوا الْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا اخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيلَاذَ : خُذِ الْإِكْلِيلَ وَالثِّيَابَ ، وَاحْمِلْهَا وَاتْبَعْنِي بِهَا إِلَى مَجْلِسِ النِّسَاءِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَعَا إِيرَاخْتَ وَحُورَقَنَاهَ أَكْرَمَ نِسَائِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لِإِيلَاذَ : ضَعِ الْكِسْوَةَ وَالْإِكْلِيلَ بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ لِتَأْخُذَ أَيَّهَا شَاءَتْ ، فَوُضِعَتِ الْهَدَايَا بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ . فَأَخَذَتْ مِنْهَا الْإِكْلِيلَ ، وَأَخَذَتْ حُورَقَنَاهُ

كسْوَةً مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَحْسَنِهَا . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَيْلَةً عِنْدَ إِيرَاخْتَ وَلَيْلَةً عِنْدَ حُورَقْنَاه . وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ الْمَلِكِ أَنْ تُهَيِّئَ لَهُ الْمَرْأَةُ الَّتِي يَكُونُ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا أُرْزًا بِحَلَاوَةٍ فَتُطْعِمَهُ إِيَّاهُ . فَأَتَى الْمَلِكُ إِيرَاخْتَ فِي نَوْبَتِهَا، وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُ أُرْزًا . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِالصَّحْفَةِ وَالْإِكْلِيلُ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَلِمَتْ حُورَقْنَاه بِذَلِكَ، فَغَارَتْ مِنْ إِيرَاخْتَ، فَلَبِسَتْ تِلْكَ الْكُسْوَةَ، وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَتِلْكَ الثِّيَابُ تُضِيءُ عَلَيْهَا مَعَ نُورِ وَجْهِهَا كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ . فَلَمَّا رَآهَا الْمَلِكُ أَعْجَبَتْهُ . ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى إِيرَاخْتَ، فَقَالَ : إِنَّكِ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتِ الْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتِ الْكُسْوَةَ الَّتِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلُهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيرَاخْتُ مَدْحَ الْمَلِكِ لِحُورَقْنَاه وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيِهَا، أَخَذَهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَيْرَةُ وَالْغَيْظُ . فَضَرَبَتْ بِالصَّحْفَةِ رَأْسَ الْمَلِكِ . فَسَالَ الْأُرْزُ عَلَى وَجْهِهِ . فَقَامَ الْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ، وَدَعَا بِإِيلَاذَ . فَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى — وَأَنَا مَلِكُ الْعَالَمِ — كَيْفَ حَقَّرَتْنِي هَذِهِ الْجَاهِلَةُ، وَفَعَلَتْ بِي مَا تَرَى . فَانْطَلِقْ بِهَا فَاقْتُلْهَا وَلَا تَرْحَمْهَا . فَخَرَجَ إِيلَاذُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ، وَقَالَ : لَا أَقْتُلُهَا حَتَّى يَسْكُنَ عَنْهُ الْغَضَبُ . فَالْمَرْأَةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةُ الرَّأْيِ مِنَ الْمَلِكَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ

٨٦٥



الملك يأمر وزيره ايلاذ بقتل ابراخت

فِي النِّسَاءِ ، وَلَيْسَ الْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا ، وَقَدْ خَلَّصْتُهُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَعَمِلَتْ أَعْمَالاً صَالِحَةً ، وَرَجَاؤُنَا فِيهَا عَظِيمٌ ، وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى تُرَاجِعَنِي ؟ فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً . فَإِنْ رَأَيْتُهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا صَنَعَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً ، وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ عَمَلاً عَظِيمًا وَأَنْجَيْتُ إِيرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ ، وَحَفِظْتُ قَلْبَ الْمَلِكِ ، وَاتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ بِذَلِكَ يَدًا . وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحًا مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ فِي الَّذِي فَعَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَقَتْلُهَا لَا يَفُوتُ

ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أُمَنَائِهِ بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِ الْمَلِكِ. ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ بِالدَّمِ، وَدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ كَالْكَئِيبِ الْحَزِينِ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ. فَلَمْ يَلْبَثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ وَحُسْنَهَا، وَاشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَتَجَلَّدُ. وَهُوَ مَعَ ذَٰلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَاذَ: أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرَهُ فِيهَا أَمْ لَا؟ وَرَجَا — لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلَاذَ — أَلَّا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذَٰلِكَ. وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيلَاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ، فَعَلِمَ الَّذِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَهْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْهَمِّ وَالْحُزْنِ مَنْفَعَةٌ، وَلَٰكِنَّهُمَا يُنْحِلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ. فَاصْبِرْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنْ أَحَبَّ الْمَلِكُ حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ. قَالَ: حَدِّثْنِي

قَالَ إِيلَاذُ: زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَآ عُشَّهُمَا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى: إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا. فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى

مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتْ الأُنْثَى بِذَلِكَ، وَقَالَتْ لَهُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فَغَابَ. فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبِسَ الْحَبُّ وَانْضَمَرَ. فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ رَأَى الْحَبَّ نَاقِصًا فَقَالَ لَهَا: أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَلَّا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا؟ فَلِمَ أَكَلْتِيهِ؟ فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا، وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْهَا. وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ. فَلَمَّا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَنَدَّى الْحَبُّ، وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ. فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذَلِكَ نَدِمَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ، وَقَالَ: مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذَا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ، وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ. فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا.

وَالْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَخَافُ النَّدَامَةَ كَمَا نَدِمَ الْحَمَامُ الذَّكَرُ

وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ

كَارَةٌ[1] مِنَ الْعَدَسِ ، فَوَضَعَ الْكَارَةَ عَنْ ظَهْرِهِ لِيَسْتَرِيحَ ، فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ . فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ الْعَدَسِ ، وَصَعَدَ إِلَى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ . فَنَزَلَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا . وَانْتَثَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْعَدَسِ أَجْمَعَ . وَأَنْتَ أَيْضًا — أَيُّهَا الْمَلِكُ — عِنْدَكَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ تَدَعُ أَنْ تَلْهُوَ بِهِنَّ ، وَتَطْلُبُ الَّتِي لَا تَجِدُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ . فَقَالَ لِإِيلَاذَ : لِمَ لَا تَأَنَّيْتَ وَتَثَبَّتَّ ؟ بَلْ أَسْرَعْتَ عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَتَعَلَّقْتَ بِهَا ، وَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ . قَالَ إِيلَاذُ : إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَا اخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي ، وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتَ . قَالَ إِيلَاذُ : اثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا : الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَالَّذِي لَا يَعْمَلُ خَيْرًا قَطُّ . لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَنَعِيمَهُمَا قَلِيلٌ ، وَنَدَامَتَهُمَا إِذْ يُعَايِنَانِ الْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ إِحْصَاؤُهَا . قَالَ الْمَلِكُ : لَئِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَاذُ : اثْنَانِ

---

[1] الكارة : مقدار معلوم من الطعام

لَا يَنبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحزَنَا: الْمُجْتَهِدُ فِي الْبِرِّ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي لَمْ يَأْثَمْ قَطُّ. قَالَ الْمَلِكُ: مَا أَنَا بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ. قَالَ إِيلَاذُ: اثْنَانِ لَا يَنظُرَانِ: الْأَعْمَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ: وَكَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا يَنظُرُ السَّمَاءَ وَنُجُومَهَا وَأَرْضَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَ، كَذَلِكَ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا الْمُحْسِنَ مِنَ الْمُسِيءِ. قَالَ الْمَلِكُ: لَوْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ لَاشْتَدَّ فَرَحِي. قَالَ إِيلَاذُ: اثْنَانِ هُمَا الْفَرِحَانِ: الْبَصِيرُ وَالْعَالِمُ: فَكَمَا أَنَّ الْبَصِيرَ يُبْصِرُ أُمُورَ الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ يُبْصِرُ الْبِرَّ وَالْإِثْمَ، وَيَعْرِفُ عَمَلَ الْآخِرَةِ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجَاتُهُ، وَيَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. قَالَ الْمَلِكُ: يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَا إِيلَاذُ، وَنَأْخُذَ الْحَذَرَ، وَنَلْزَمَ الِاتِّقَاءَ. قَالَ إِيلَاذُ: اثْنَانِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَبَاعَدَ مِنْهُمَا: الَّذِي يَقُولُ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ، وَلَا عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ، وَلَا شَيْءَ عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ؛ وَالَّذِي لَا يَكَادُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمَحْرَمٍ، وَلَا أُذُنَهُ عَنِ اسْتِمَاعِ السُّوءِ، وَلَا قَلْبَهُ عَمَّا تَهُمُّ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْحِرْصِ. قَالَ الْمَلِكُ: صَارَتْ يَدِي مِنْ إِيرَاخْتَ صِفْرًا. قَالَ إِيلَاذُ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ أَصْفَارٌ: النَّهْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ.

وَالْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ . وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ . قَالَ الْمَلِكُ . إِنَّكَ يَا إِيلَاذُ لَتُلْقِي عَلَيَّ الْجَوَابَ ¹ . قَالَ إِيلَاذُ . ثَلَاثَةٌ يُلْقُونَ الْجَوَابَ : الْمَلِكُ الَّذِي يُعْطِي مِنْ خَزَائِنِهِ . وَالْمَرْأَةُ الْمُهْدَاةُ إِلَى مَنْ تَزَوَّجَهَا مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ . وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ الْمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ

ثُمَّ إِنَّ إِيلَاذَ لَمَّا رَأَى الْمَلِكَ اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ إِيرَاخْتَ بِالْحَيَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ اشْتَدَّ فَرَحُهُ ، وَقَالَ : يَا إِيلَاذُ إِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ الْغَضَبِ مَا أَعْرِفُ مِنْ نَصِيحَتِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . وَكُنْتُ أَرْجُو لِعِرْقِي بِعِلْمِكَ أَلَّا تَكُونَ قَدْ قَتَلْتَ إِيرَاخْتَ ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَتَتْ عَظِيمًا وَأَغْلَظَتْ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ تَأْتِهِ عَدَاوَةً وَلَا طَلَبَ مَضَرَّةٍ ، وَلٰكِنَّهَا فَعَلَتْ ذٰلِكَ لِلْغَيْرَةِ ، وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُعْرِضَ عَنْ ذٰلِكَ وَأَحْتَمِلَهُ ، وَلٰكِنَّكَ يَا إِيلَاذُ أَرَدْتَ أَنْ تَخْتَبِرَنِي وَتَتْرُكَنِي فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهَا . وَقَدِ اتَّخَذْتَ عِنْدِي أَفْضَلَ الْأَيَادِي وَأَنَا شَاكِرٌ لَكَ . فَانْطَلِقْ فَأْتِنِي بِهَا . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ وَذَهَبَ إِلَى إِيرَاخْتَ وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ . فَفَعَلَتْ ذٰلِكَ ، وَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لَهُ ، ثُمَّ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ : أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى ،

¹ من قولهم ألق عليه ألقية : مثل ألق عليه أحجية



الملكة ايراخت بين يدي الملك حامدة مكفرة

ثُمَّ أَحْمَدُ الْمَلِكَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَقَدْ أَذْنَبْتُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلاً بَعْدَهُ . فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَمُ طَبْعِهِ وَرَأْفَتُهُ . ثُمَّ أَحْمَدُ إِيلَاذَ الَّذِي أَخَّرَ أَمْرِي وَأَنْجَانِي مِنَ الْهَلَكَةِ ، لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ الْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ عَهْدِهِ. وَقَالَ الْمَلِكُ لِإِيلَاذَ : مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي! وَعِنْدَ إِيرَاخْتَ ، وَعِنْدَ الْعَامَّةِ ، إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أُمِرْتَ بِقَتْلِهَا ، فَأَنْتَ الَّذِي وَهَبْتَهَا لِيَ الْيَوْمَ . فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقاً بِنَصِيحَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ ، وَقَدِ ازْدَدْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيماً ، وَأَنْتَ مُحَكَّمٌ فِي مُلْكِي تَعْمَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى ، وَتَحْكُمُ

عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ . فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ ، وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلَاذُ : أَدَامَ اللهُ لَكَ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — الْمُلْكَ وَالسُّرُورَ . فَلَسْتُ بِمَحْمُودٍ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ ، لَكِنَّ حَاجَتِي أَلَّا يُعَجِّلَ الْمَلِكُ فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ الَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ ، وَلَاسِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ النَّاصِحَةِ الْمُشْفِقَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا . قَالَ الْمَلِكُ : بِحَقٍّ قُلْتَ يَا إِيلَاذُ ، وَقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ ، وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا فَضْلًا عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَا سَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ الْمُؤَامَرَةِ وَالنَّظَرِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى ذَوِي الْعُقُولِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّأْيِ . ثُمَّ أَحْسَنَ الْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيلَاذَ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ أُولَئِكَ الْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحِبَّائِهِ ، فَأَطْلَقَ فِيهِمُ السَّيْفَ ، وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعُيُونُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَحَمِدُوا اللهَ وَأَثْنَوْا عَلَى كِبَارْيُونَ بِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ ، إِذْ بِعِلْمِهِ خَلَصَ الْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ الصَّالِحُ وَامْرَأَتُهُ الصَّالِحَةُ .

(انتهى باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)

اللبوة والاسوار والشعبر

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ لِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرِّ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ عَنِ ارْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ لِغَيْرِهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: إِنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يَسُوءُهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهِ وَسُوءِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ ، وَبِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةِ مَا اكْتَسَبُوا مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ ، وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِمَنِيَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبَالُ مَا صَنَعَ . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ ، وَحَقِيقٌ أَلَّا يَسْلَمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ . وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَارْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى أَحَدًا بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَحَصَلَ لَهُ نَفْعُ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ : فَنَظِيرُ

ذَلِكَ حَدِيثُ اللَّبُؤَةِ[1] وَالْأُسْوَارِ[2] وَالشَّعْهَرِ. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّ لَبُؤَةً كَانَتْ فِى غَيْضَةٍ[3]، وَلَهَا شِبْلَانِ، وَأَنَّهَا خَرَجَتْ فِى طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَّفَتْهُمَا فِى كَهْفِهِمَا. فَمَرَّ بِهِمَا أُسْوَارٌ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَاحْتَقَبَهُمَا[4] وَانْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ. فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ اضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ. وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْهَرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا. مَا هٰذَا الَّذِى تَصْنَعِينَ ؟ وَمَا نَزَلَ بِكِ ؟ فَأَخْبِرِينِى بِهِ، قَالَتِ اللَّبُؤَةُ: شِبْلَاىَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَاحْتَقَبَهُمَا، وَنَبَذَهُمَا بِالْعَرَاءِ[5]. قَالَ لَهَا الشَّعْهَرُ: لَا تَضِجِّى وَأَنْصِفِى مِنْ نَفْسِكِ. وَاعْلَمِى أَنَّ هٰذَا الْأُسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلَهُ، وَتَأْتِينَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِثْلَ ذَلِكَ مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ. فَاصْبِرِى عَلَى فِعْلِ غَيْرِكِ كَمَا صَبَرَ

---

١ أنثى الاسد ٢ الرامى بالسهام، وهو يضم ويكسر

٣ الغيضة مجتمع الشجر فى مغيض ماء ٤ احتقبهما: حملهما خلفه ٥ العراء بالفتح: الفضاء

٨٨



اللبوة والشعهر ينظران الى نقابا شبليها

غَيْرُكِ عَلَى فِعْلِكِ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : كَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ : كَالزَّرْعِ إِذَا حَصَلَ الْحَصَادُ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ . قَالَتِ اللَّبُوَةُ : بَيِّنْ لِي مَا تَقُولُ ، وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ . قَالَ الشَّعْهَرُ : كَمْ أَتَى لَكِ مِنَ الْعُمُرِ ؟ قَالَتِ اللَّبُوَةُ : مِائَةُ سَنَةٍ . قَالَ الشَّعْهَرُ : مَا كَانَ قُوتَكِ[1] ؟ قَالَتِ اللَّبُوَةُ : لَحْمَ الْوَحْشِ . قَالَ الشَّعْهَرُ :

(١) قوت يجوز أن تكون منصوبة على أنها خبر كان واسمها يعود على ما . ويجوز أن تكون مرفوعة وكان زائدة

مَا كَانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ ؟ قَالَتِ اللَّبُؤَةُ : كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَآكُلُهُ . قَالَ الشَّعْهَرُ أَرَأَيْتِ الْوُحُوشَ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ ؟ أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأُمَّاتٌ ؟ قَالَتْ : بَلَى . قَالَ الشَّعْهَرُ : فَمَا بَالِي لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ لِتِلْكَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّاتِ مِنَ الْجَزَعِ وَالضَّجِيجِ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ ؟ ! أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيهَا ، وَجَهَالَتِكِ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُؤَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا . فَتَرَكَتِ الصَّيْدَ ، وَانْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ الثِّمَارِ وَالنُّسُكِ وَالْعِبَادَةِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَرَشَانٌ[١] — كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثِّمَارِ — قَالَ لَهَا : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَةَ عَامَنَا هَذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ الْمَاءِ . فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ ، فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ اللهُ لَكِ ، وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ ، فَانْتَقَصْتِهِ وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ . عَلِمْتُ أَنَّ

---

١ الورشان : ذكر القنبرة ، أو هو طائر شبه الحمامة والأنثى بدخول التاء والجمع ورشان بكسر ففتح وواراشين بفتحتين .

الشَّجَرَةَ الْعَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ. وَإِنَّمَا أَتَتْ قِلَّةُ الثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكِ. فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ عَيْشُهُ مِنْهَا. مَا أَسْرَعَ هَلَاكَهُمْ! إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ، وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا أَكْلَهَا. فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُؤَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ الثِّمَارِ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَالْعِبَادَةِ. وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا انْصَرَفَ بِضُرٍّ يُصِيبُهُ عَنْ ضُرِّ النَّاسِ: كَاللَّبُؤَةِ الَّتِي انْصَرَفَتْ — لِمَا لَقِيَتْ فِي شِبْلَيْهَا — عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ الثِّمَارِ بِقَوْلِ الْوَرَشَانِ. وَأَقْبَلَتْ عَلَى النُّسُكِ وَالْعِبَادَةِ. وَالنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ. فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَدْلَ وَفِي الْعَدْلِ رِضَا اللهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ.

(انتهى باب اللبؤة والاسوار والشعهر)

الناسك والضيف

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ. فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدَعُ صَنْعَتَهُ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُشَاكِلُهُ، وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ، فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا.
قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ. فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ. فَدَعَا النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ بِهِ. فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا. ثُمَّ قَالَ الضَّيْفُ: مَا أَحْلَى هٰذَا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ! فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي الَّتِي أَسْكُنُهَا، وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ: أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ مَا أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنَا، فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا بِثِمَارِ أَرْضِكُمْ هٰذِهِ وَلَا بِمَوَاضِعِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ: لَيْسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ رَاحَةٌ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَثْقُلُ عَلَيْكَ، لَعَلَّ ذٰلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ، مَعَ أَنَّ بِلَادَكُمْ كَثِيرَةُ الْأَثْمَارِ، فَمَا حَاجَتُهَا مَعَ كَثْرَةِ ثِمَارِهَا إِلَى التَّمْرِ مَعَ وَخَامَتِهِ وَقِلَّةِ مُوَافَقَتِهِ لِلْجَسَدِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّاسِكُ: إِنَّهُ لَا يُعَدُّ حَكِيمًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ، وَإِنَّكَ سَعِيدُ الْجَدِّ إِذَا قَنِعْتَ بِالَّذِي تَجِدُ وَزَهِدْتَ فِيمَا لَا تَجِدُ.

وَكَانَ هٰذَا النَّاسِكُ يَتَكَلَّمُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ. فَاسْتَحْسَنَ الضَّيْفُ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ. فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَالَجَ فِي ذٰلِكَ نَفْسَهُ أَيَّامًا. فَقَالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ: مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ! وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ الْعِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْغُرَابُ. قَالَ الضَّيْفُ: وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ؟!

قَالَ النَّاسِكُ: زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي. فَأَعْجَبَهُ مِشْيَتُهَا، وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا. فَرَاضَ عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا، وَأَيِسَ مِنْهَا، وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ مِشْيَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هُوَ قَدِ اخْتَلَطَ وَتَخَلَّعَ فِي مِشْيَتِهِ، وَصَارَ أَقْبَحَ الطَّيْرِ مَشْيًا. وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِمَا

....

الحجلة : واحدة الحجل ، وهو جنس له أربعة أنواع : الحجل الحقيقي . والتدرج ، والسمانى ، والسلوى : والحجل الحقيقي قريب الحجم من الحمام الكبير وجسمه عبل ورأسه صغير ومنقاره قصير مقبب قليلا وجناحاه قصيران ولونه رمادي ملون ، يعيش أسرابا قليلة ويقتات بالاعشاب والحبوب والحشرات ويتخذ أدحيته في شقوق الارض ، تبيض أنثاه من ١٢ الي ٢٠ بيضة وتقوم بحضنها

وحدها

وَرَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذِى طُبِعْتَ عَلَيْهِ ، وأَقْبَلْتَ عَلَى لِسَانِ الْعِبْرَانِيَّةِ وَهُوَ لَا يُشَاكِلُكَ . وَأَخَافُ أَلَّا تُدْرِكَهُ وَتَنْسَى لِسَانَكَ وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلاً مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُشَاكِلُهُ ، وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَلَمْ يُؤَدِّبْهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ .

(انتهى باب الناسك والضيف)

السائح والصائغ

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا المَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ ، أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الإِنْسَانِ . وَلٰكِنَّ مِنَ النَّاسِ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً ، وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرَمِهِ ، وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ ، وَلَا يَضَعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَلَا يَصْطَنِعُوا أَحَداً إِلَّا بَعْدَ الْخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذٰلِكَ قَرِيباً لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ . وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَقِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفاً بِحَقِّ مَا اصْطُنِعَ إِلَيْهِ ،

مُؤْذِيًا لِيَشْكُرَ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ، مَحْمُودًا بِالنُّصْحِ، مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ، صَدُوقًا، عَارِفًا، مُؤْثِرًا لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا، وَلِتَقْرِيبِهِ وَاصْطِنَاعِهِ أَهْلًا . فَإِنَّ الطَّبِيبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْجَسِّ لِعُرُوقِهِ، وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ، وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ : فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا أَنْ يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخِبْرَةِ، فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ، وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكٍ وَفَسَادٍ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ، فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَأَةِ وَرُبَّمَا حَذِرَ الْعَاقِلُ النَّاسَ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمِّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْآخَرِ : كَالَّذِي يَحْمِلُ الطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ، فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنَ الْبَهَائِمِ، وَلَكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى



السائح يخرج الرجل وهذه الحيوانات تحذره غدر الانسان

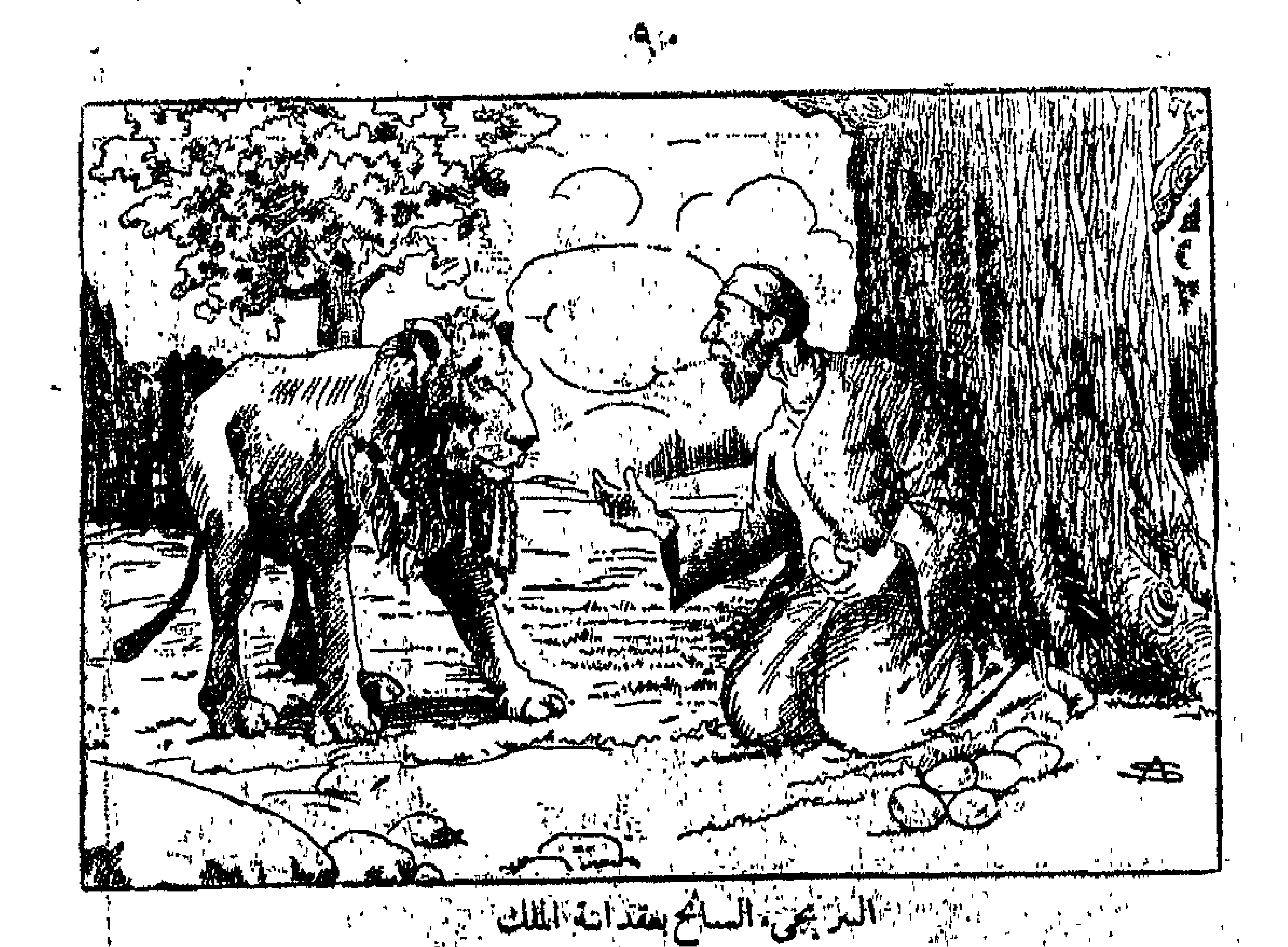
مِنهُمْ . وَقَدْ مَضَى فِي ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً[1] فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ[2] . وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى الرَّكِيَّةِ . فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحَيَّةِ وَالْبَبْرِ وَالْقِرْدِ ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ فَأَخَذَ حَبْلاً وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبِئْرِ . فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ . ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً ،

---

١ الركية : البئر ٢ كلمة معربة يعنى بها السبع

فَالْتَفَّتْ بِهِ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ . ثُمَّ أَدْلَاهُ الثَّالِثَةَ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ ، فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ : لَا تُخْرِجْ هٰذَا الرَّجُلَ مِنَ الرَّكِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ شُكْرًا مِنَ الْإِنْسَانِ. ثُمَّ هٰذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقِرْدُ : إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَوَادِرَخْتُ . فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ : أَنَا أَيْضًا فِي أَجَمَةٍ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . قَالَتِ الْحَيَّةُ : أَنَا أَيْضًا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَاحْتَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيَكَ فَنَجْزِيَكَ بِمَا أَسْدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ. فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ ، وَأَدْلَى الْحَبْلَ فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ، فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا ، فَإِنْ أَتَيْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرَخْتَ فَلْتَسْأَلْ عَنْ مَنْزِلِي فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ لَعَلِّي أُكَافِئُكَ بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ. فَانْطَلَقَ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَانْطَلَقَ السَّائِحُ إِلَى جَانِبِهِ . فَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَانْطَلَقَ فَاسْتَقْبَلَهُ الْقِرْدُ فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا . وَلٰكِنِ اقْعُدْ حَتَّى آتِيَكَ ، وَانْطَلَقَ الْقِرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ . ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ انْطَلَقَ



البر يجيء السائح بقلادة الملك

حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ . فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَبْرُ ، فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَاطْمَئِنَّ سَاعَةً حَتَّى آتِيَكَ . فَانْطَلَقَ الْبَبْرُ فَدَخَلَ بَعْضَ الْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا ، وَأَخَذَ حُلِيَّهَا فَأَتَاهُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ . هٰذِهِ الْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا الْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ ؟ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هٰذِي الْحُلِيَّ فَيَسْتَوْفِي ثَمَنَهُ ، فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَانْطَلَقَ السَّائِحُ فَأَتَى إِلَى الصَّائِغِ . فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ . فَلَمَّا بَصُرَ



الملك يأمر بالسائح أن يعذب

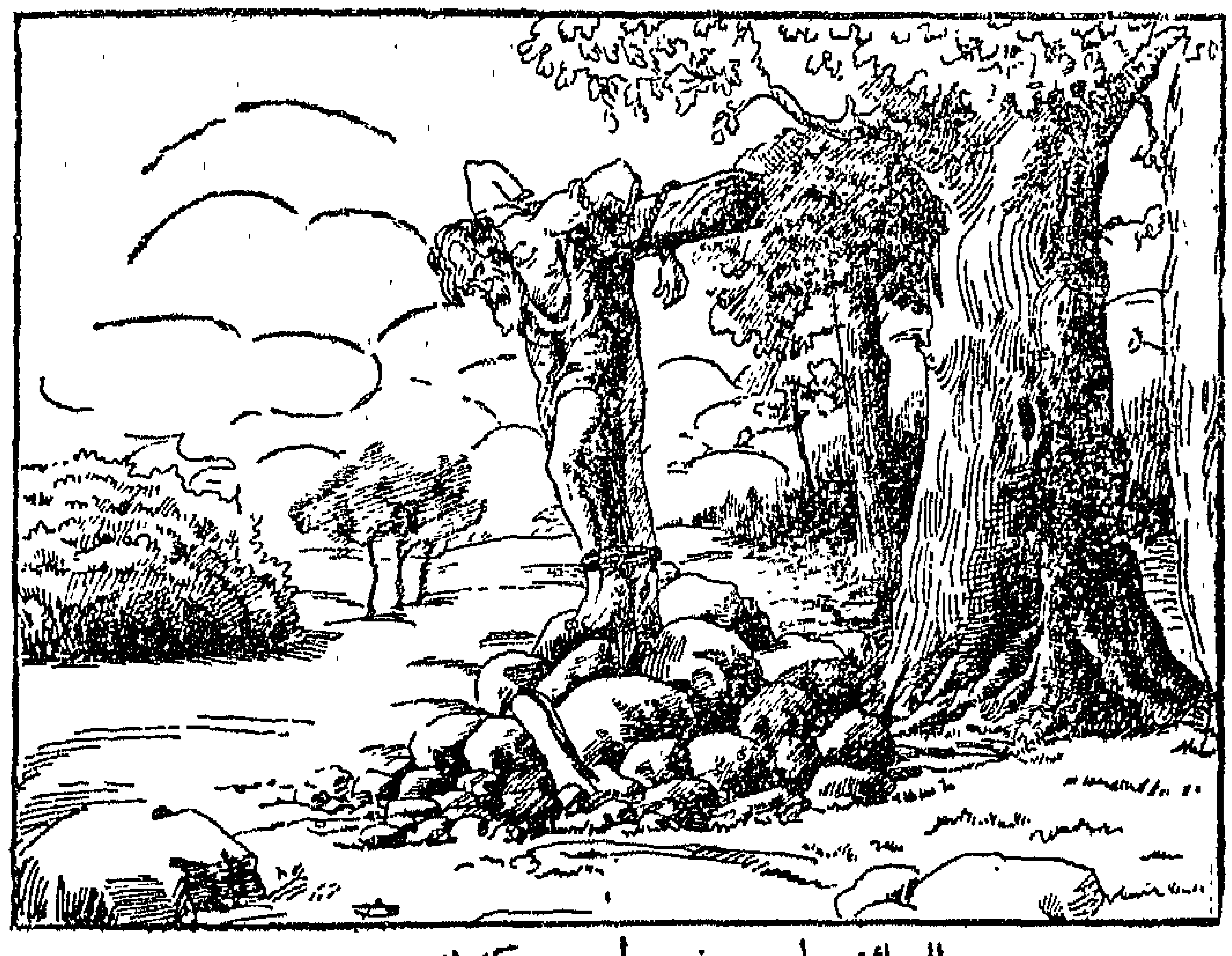
بِالْحُلِيِّ مَعَهُ عَرَفَهَا . وَكَانَ هُوَ الَّذِي صَاغَهَا لِابْنَةِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لِلسَّائِحِ : اطْمَئِنَّ حَتَّى آتِيَكَ بِطَعَامٍ ، فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ . ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي . أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَحْسُنَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ . فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حُلِيَّهَا عِنْدِي . فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ . فَلَمَّا نَظَرَ الْحُلِيَّ مَعَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ ، وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَيُصْلَبَ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي



الحية تقدم الى السائح في سجنه ورقا ينفع من سمها

وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ الْقِرْدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَبْرَ فِيمَا أَمَرْنَنِي بِهِ وَأَخْبَرْنَنِي مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ أَمْرِي إِلَى هٰذَا الْبَلَاءِ . وَجَعَلَ يُكَرِّرُ هٰذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ ، فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ ، فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ . فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتِ ابْنَ الْمَلِكِ فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَرَقَوْهُ لِيَشْفُوهُ ، فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ مَضَتِ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتٍ لَهَا مِنَ الْجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ لَهُ وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ وَتَخَايَلَتْ لَهُ ، وَقَالَتْ : إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ

٩٣



الصائغ يصلب و يعذب لجحوده وكفرانه

حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلماً • وَانْطَلَقَتِ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ السِّجْنَ • وَقَالَتْ لَهُ : هٰذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنَ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى هٰذَا الْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي • وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا ، وَقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا الْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ ، وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَاصْدُقْهُ ، فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ الْمَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلاً يَقُولُ : إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا . فَدَعَا الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ . فَقَالَ :

لَا أُحْسِنُ الرُّقَى وَلٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ، فَسَقَاهُ فَبَرِئَ الْغُلَامُ ، فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَشَكَرَهُ الْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وَأَمَرَ بِالصَّائِغِ أَنْ يُصْلَبَ . فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَانْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ بِالْقَبِيحِ . ثُمَّ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ : فَفِي صَنِيعِ الصَّائِغِ بِالسَّائِحِ وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَاذِهِ إِيَّاهُ ، وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ . وَفِكْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ ، وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ قَرُبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلْبِ الْخَيْرِ وَصَرْفِ الْمَكْرُوهِ.

(انتهى باب السائح والصائغ)

ابن الملك وأصحابه

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لاَ يُصِيبُ الْخَيْرَ إِلاَّ بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثَبُّتِهِ فِي الأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ فَمَا بَالُ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ يُصِيبُ الرِّفْعَةَ وَالْخَيْرَ ؟ ! وَالرَّجُلِ الْحَكِيمِ الْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ الْبَلاَءَ وَالضَّرَّ ؟ ! قَالَ بَيْدَبَا : كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يُبْصِرُ إِلاَّ بِعَيْنَيْهِ ، وَلاَ يَسْمَعُ إِلاَّ بِأُذُنَيْهِ ، كَذَلِكَ الْعَمَلُ إِنَّمَا هُوَ بِالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالتَّثَبُّتِ . غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ يَغْلِبَانِ عَلَى ذَلِكَ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ اصْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ : أَحَدُهُمُ ابْنُ مَلِكٍ ، وَالثَّانِي ابْنُ تَاجِرٍ ، وَالثَّالِثُ ابْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ ، وَالرَّابِعُ ابْنُ حَرَّاثٍ . وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ ، وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعِ غُرْبَةٍ : لاَ يَمْلِكُونَ إِلاَّ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ . وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ ، وَمَا كَانَ

يَأْتِيهِ مِنْهُ الْخَيْرُ . قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . وَالَّذِي قُدِّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَالصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَانْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ . وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ : الْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ الشَّرِيفِ : الْجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْحَرَّاثِ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْاِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ

فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مَطْرُونُ جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ . فَقَالُوا لِابْنِ الْحَرَّاثِ : انْطَلِقْ فَاكْتَسِبْ لَنَا بِاجْتِهَادِكَ طَعَامًا لِيَوْمِنَا هٰذَا . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْحَرَّاثِ وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ[١] . فَعَرَّفُوهُ أَنْ لَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْحَطَبِ ، وَكَانَ الْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرْسَخٍ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْحَرَّاثِ فَاحْتَطَبَ طُنًّا[٢] مِنَ الْحَطَبِ ، وَأَتَى بِهِ الْمَدِينَةَ ، فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ ، وَاشْتَرَى بِهِ طَعَامًا ، وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ — عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا أَجْهَدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ — ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ فَأَكَلُوا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالُوا : يَنْبَغِي لِلَّذِي قَالَ : إِنَّهُ

---

١ النفر هنا على غير الفصيح ٢ الطن بالضم : الحزمة

لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْجَمَالِ أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ الْمَدِينَةَ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ : أَنَا لَسْتُ أُحْسِنُ عَمَلًا ، فَمَا يُدْخِلُنِي الْمَدِينَةَ ؟ ثُمَّ اسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، وَهَمَّ بِمُفَارَقَتِهِمْ ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمَدِينَةِ فَرَاقَهُ جَمَالُهُ ، وَتَوَسَّمَ فِيهِ شَرَفَ النِّجَارِ [١] ، فَرَقَّ لَهُ وَمَنَحَهُ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ — جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ — وَأَتَىٰ بِالدَّرَاهِمِ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ : انْطَلِقْ أَنْتَ فَاطْلُبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هٰذَا شَيْئًا . فَانْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّىٰ بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ الْبَحْرِ كَثِيرَةِ الْمَتَاعِ : قَدْ قَدِمَتْ إِلَىٰ السَّاحِلِ . فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَرْكَبِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ارْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَا لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّىٰ يَكْسُدَ الْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرْخِصُوهُ عَلَيْنَا ، مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَسَيَرْخُصُ .

---

١ النجار بالكسر : الأصل

فخالف الطريق وجاء إلى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيه بمائة ألف دينار نسيئة ¹ وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى . فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم ، وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة — عقل يوم واحد ثمنه مائة ألف درهم — فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك : انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك . فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب المدينة ، فجلس على متكأ في باب المدينة واتفق أن مالك تلك الناحية مات ولم يخلف ولدا ولا أحدا ذا قرابة ، فمروا عليه بجنازة الملك ، ولم يحزن ، وكلهم يحزنون . فأنكروا حاله ، وشتمه البواب ، وقال له : من أنت يا هذا ؟ وما يجلسك على باب المدينة ؟ ولا نراك تحزن لموت الملك ، وطرده البواب عن الباب . فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه . فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر به البواب فغضب ، وقال له : ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع ؟ وأخذه فحبسه . فلما كان الغد اجتمع أهل

١ النسيئة : التأخير

تِلْكَ المَدِينَةِ ، يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ يُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَطَاوَلُ يَنْظُرُ صَاحِبَهُ وَيَخْتَلِفُونَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمُ البَوَّابُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا جَالِسًا عَلَى البَابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنَا ، فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي ، فَطَرَدْتُهُ عَنِ البَابِ . فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِسًا . فَأَدْخَلْتُهُ السِّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا . فَبَعَثَ أَشْرَافُ أَهْلِ المَدِينَةِ إِلَى الغُلَامِ فَجَاءُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، وَمَا أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَلِكِ فَوِيرَانَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى المُلْكِ ، فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذَرًا عَلَى نَفْسِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هٰذِهِ الغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الغُلَامُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ مَنْ كَانَ يَغْشَى أَرْضَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ، وَأَثْنَوْا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا . ثُمَّ إِنَّ الأَشْرَافَ اخْتَارُوا الغُلَامَ أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ المَدِينَةِ سُنَّةٌ : إِذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا بِهِ حَوَالَيِ المَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ مَرَّ بِبَابِ المَدِينَةِ فَرَأَى الكِتَابَةَ عَلَى البَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ : إِنَّ الاجْتِهَادَ وَالجَمَالَ وَالعَقْلَ وَمَا أَصَابَ الرَّجُلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ اللّٰهِ

عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ازْدَدْتُ فِي ذَٰلِكَ اعْتِبَارًا بِمَا سَاقَ اللّٰهُ إِلَيَّ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ . وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ ، فَأَشْرَكَ صَاحِبَ الْعَقْلِ مَعَ الْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ الِاجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ الزَّرْعِ . وَأَمَرَ لِصَاحِبِ الْجَمَالِ بِمَالٍ كَثِيرٍ . ثُمَّ نَفَاهُ كَيْ لَا يُفْتَتَنَ بِهِ . ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللّٰهُ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — مِنَ الْخَيْرِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ اللّٰهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذَٰلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ ، فَإِنَّ الَّذِي مَنَحَنِي اللّٰهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا اجْتِهَادٍ وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعَيِّشُنِي مِنَ الْقُوتِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ أُصِيبَ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ . وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا ، لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا ، وَأَشَدُّ اجْتِهَادًا ، وَأَسَدُّ رَأْيًا . فَسَاقَنِي الْقَضَاءُ إِلَى أَنِ اعْتَزَزْتُ بِقَدَرٍ مِنَ اللّٰهِ . وَكَانَ فِي ذَٰلِكَ الْجَمْعِ شَيْخٌ ، فَنَهَضَ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا ، وَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ

كَامِلِ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ ، وَإِنَّ الَّذِي بَلَّغَ بِكَ ذَلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنِّكَ . وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ ، وَرَجَاءَنَا لَكَ . وَقَدْ عَرَّفْنَا مَا ذَكَرْتَ ، وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ . وَالَّذِي سَاقَ اللهُ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلاً لَهُ ، لِمَا قَسَمَ اللهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ . وَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ اللهُ رَأْيًا وَعَقْلاً . وَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْنَا إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ . ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ سَائِحٌ . فَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ — وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحًا — رَجُلاً مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ ، فَلَمَّا بَدَا لِي رَفْضُ الدُّنْيَا فَارَقْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ . وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرَتِي دِينَارَيْنِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَسْتَبْقِيَ الْآخَرَ . فَأَتَيْتُ السُّوقَ . فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجَ هُدْهُدٍ [1] . فَسَاوَمْتُهُ

---

[1] الهدهد بضمتين بينهما سكون ويقال له الهداهد وأما جمعه فهداهد بالفتح : طير ذو خطوط وألوان كثيرة ، ومنقاره طويل يستعين به على التقاط الدود من بين أخاديد الأرض ويعلو رأسه قنبرة ذات ريشات يطويها وينشرها ، وهو شديد الحذر لذلك تراه دائم التلفت يميناً وشمالا ، تبيض أنثاه من بيضتين الى أربعة وهو منتن الطبع ، وقد يتخذ أفحوصته في بعض المزابل والكوى في المنازل

فِيهِمَا فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلاَّ بِدِينَارَيْنِ . فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ ، فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَأَتْرُكُ الآخَرَ . ثُمَّ فَكَّرْتُ وَقُلْتُ : لَعَلَّهُمَا يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَأُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا . فَأَدْرَكَتْنِي لَهُمَا رَحْمَةٌ . فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَابْتَعْتُهُمَا بِدِينَارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ — إِنْ أَرْسَلْتُهُمَا فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ — أَنْ يُصَادَا وَلاَ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا مِنَ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ ، وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِمَا الآفَاتِ . فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ الْمَرْعَى وَالأَشْجَارِ ، بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ وَالْعُمْرَانِ . فَأَرْسَلْتُهُمَا فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ . فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلاَهَا شَكَرَا لِي ، وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ لِلآخَرِ : لَقَدْ خَلَّصَنَا هٰذَا السَّائِحُ مِنَ الْبَلاَءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ، وَاسْتَنْقَذَنَا وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَكَةِ . وَإِنَّا لَخَلِيقَانِ أَنْ نُكَافِئَهُ بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ جَرَّةً مَمْلُوءَةً دَنَانِيرَ . أَفَلاَ نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذَهَا . فَقُلْتُ لَهُمَا : كَيْفَ تَدُلاَّنِنِي عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ ، وَأَنْتُمَا لَمْ تُبْصِرَا الشَّبَكَةَ . فَقَالاَ : إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ الْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشَّى الْبَصَرَ . وَإِنَّمَا صَرَفَ الْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ الشَّرَكِ وَلَمْ

يَصْرِفُهَا عَنْ هٰذَا الْكَنْزِ . فَاحْتَفَرْتُ وَاسْتَخْرَجْتُ الْبَرْنِيَّةَ [١] ، وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ ، فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِالْعَافِيَةِ . وَقُلْتُ لَهُمَا : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَعْلَمَا ، وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ . وَأَخْبَرْتُمَا بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَقَالَا لِي : — أَيُّهَا الْعَاقِلُ — أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ ؟ وَأَنَا أُخْبِرُ الْمَلِكَ بِذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتُهُ . فَإِنْ أَمَرَ الْمَلِكُ أَتَيْتُهُ بِالْمَالِ فَأَوْدَعْتُهُ خَزَائِنَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : ذَلِكَ لَكَ ، وَمُوَفَّرٌ عَلَيْكَ .

(انتهى باب ابن الملك وأصحابه)

---

[١] البرنية بالفتح : أناء من خزف

الحمامة والثعلب ومالك الحزين

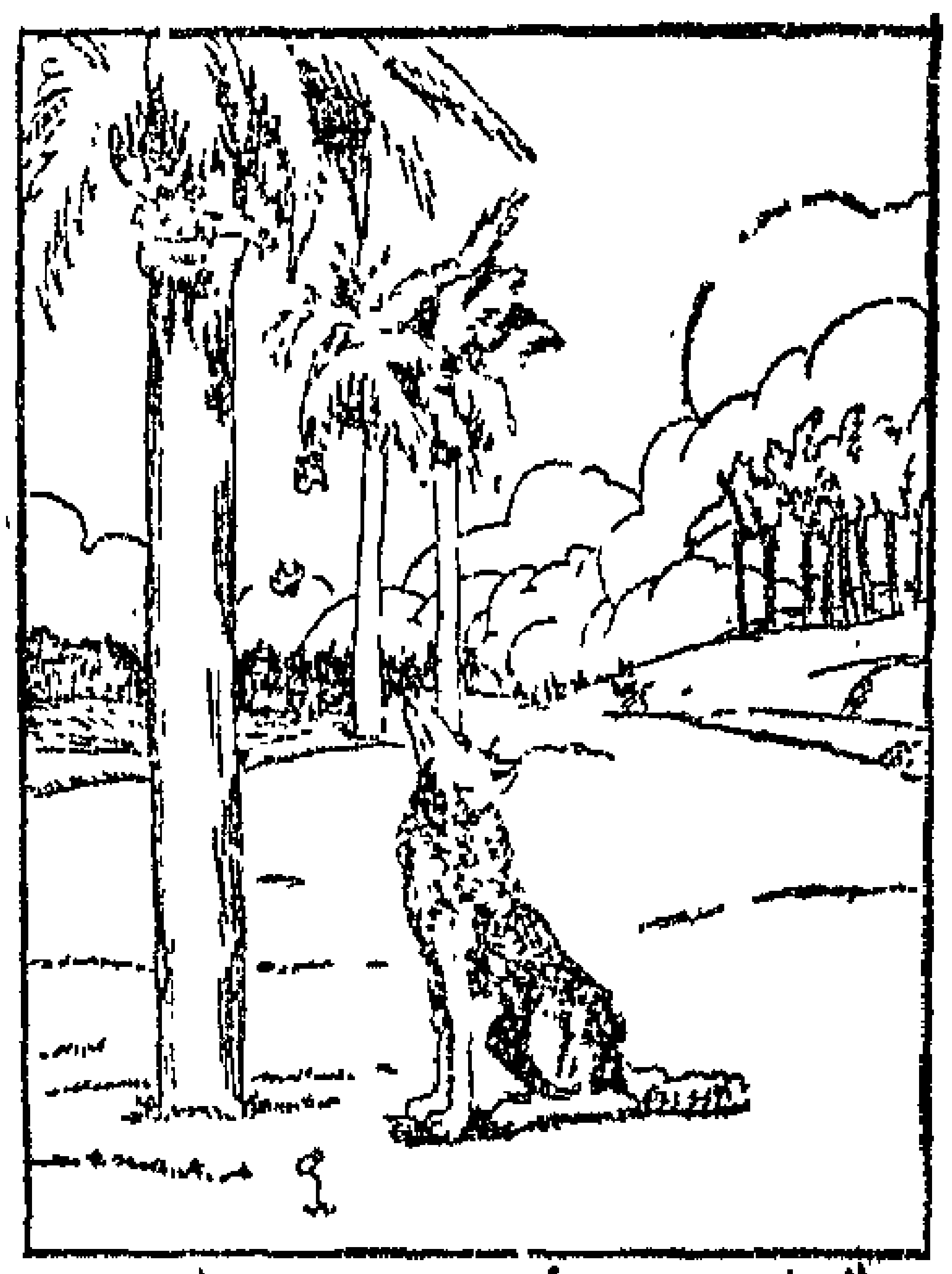
وَهُوَ بَابُ مَنْ يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلاَ يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلاَ يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ وَالثَّعْلَبِ وَمَالِكٍ الْحَزِينِ [1] . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مَثَلُهُنَّ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ . فَكَانَتِ الْحَمَامَةُ تَشْرَعُ فِي نَقْلِ الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَنْقُلَ مَا تَنْقُلُ مِنَ الْعُشِّ وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ الْبَيْضِ إِلاَّ بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، لِطُولِ النَّخْلَةِ وَسُحْقِهَا. فَإِذَا فَرَغَتْ مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا . فَإِذَا فَقَسَتْ وَأَدْرَكَ فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَاهَدَ ذٰلِكَ مِنْهَا لِوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ بِقَدْرِ مَا يَنْهَضُ فِرَاخُهَا ، فَيَقِفُ

---

[1] مالك الحزين : طائر طويل واقف الرجلين ، يعرف بين القرويين (بأبو قردان) يلازم المياه وهو شديد الحمق حتى إنه ليقال عنه اذا نقص الماء من حوله أحجم عن الشرب حتى لا يجف فيموت بذلك ظمأ

٩٤



الثعلب يتوعد الحمامة لتلقي بفراخها



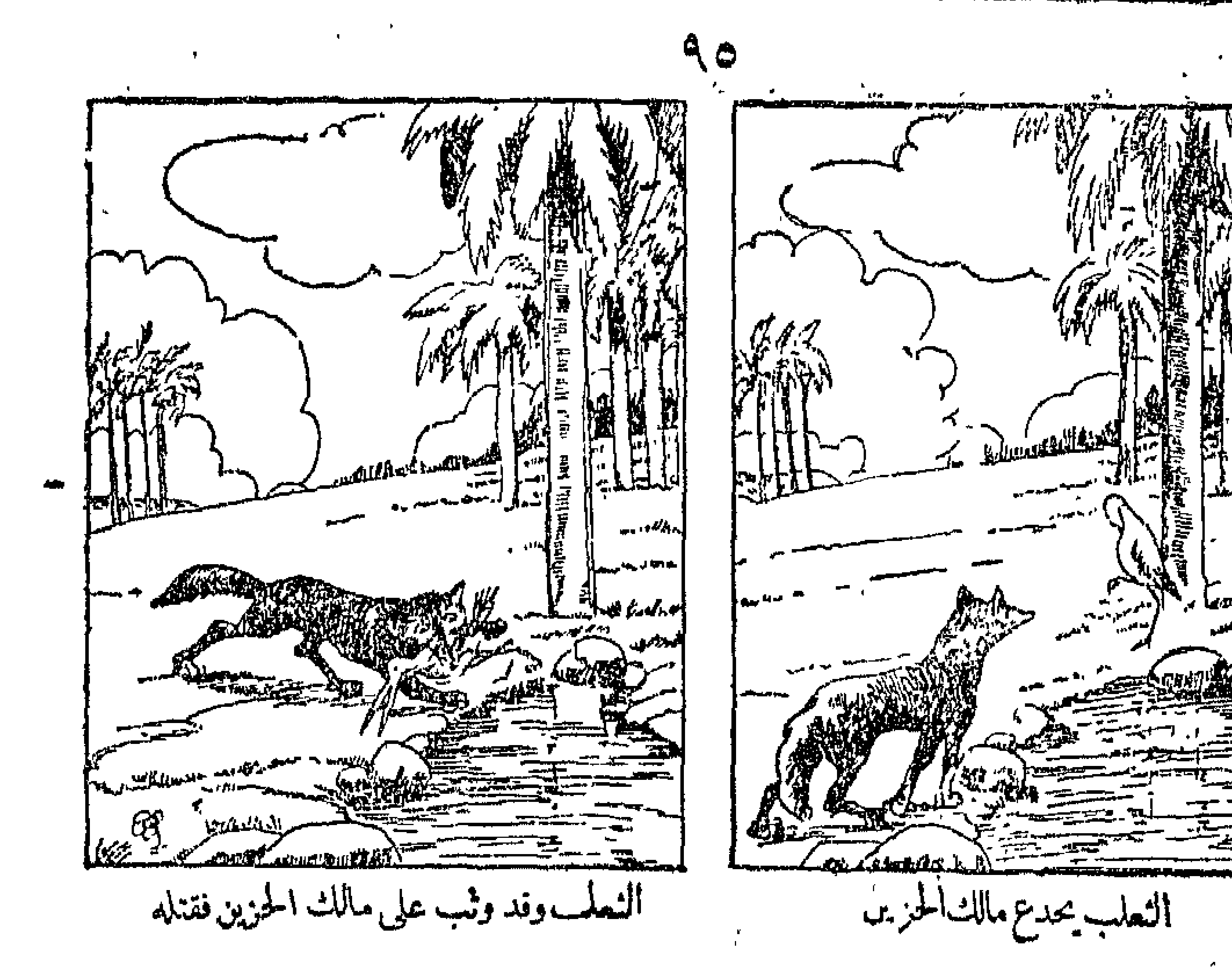


الثعلب ينقض على الفراخ فيأكلها

بِأَصْلِ النَّخْلَةِ . فَيَصِيحُ بِهَا وَيَتَوَعَّدُ أَنْ يَرْقَى إِلَيْهَا . فَتُلْقِي إِلَيْهِ فِرَاخَهَا . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكٌ الْحَزِينُ . فَوَقَعَ عَلَى النَّخْلَةِ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ الْهَمِّ قَالَ لَهَا مَالِكٌ الْحَزِينُ : يَا حَمَامَةُ مَالِي أَرَاكِ كَاسِفَةَ اللَّوْنِ سَيِّئَةَ الْحَالِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَالِكُ الْحَزِينَ : إِنَّ ثَعْلَبًا دُهِيتُ بِهِ : كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانِ جَاءَنِي يُهَدِّدُنِي وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ ، فَأَفْرَقُ مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ . قَالَ لَهَا مَالِكٌ الْحَزِينُ : إِذَا أَتَاكِ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ فَقُولِي لَهُ : لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَارْقَ إِلَيَّ ، وَغَرِّرْ بِنَفْسِكَ . فَإِذَا فَعَلْتَ وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي . فَلَمَّا

عَلَّمَهَا مَالِكٌ الْحَزِينُ هٰذِهِ الْحِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ فَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ، فَوَقَفَ تَحْتَهَا. ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكٌ الْحَزِينُ. فَقَالَ لَهَا الثَّعْلَبُ أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكِ هٰذَا قَالَتْ: عَلَّمَنِي مَالِكٌ الْحَزِينُ. فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكًا الْحَزِينَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفًا. فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ: يَا مَالِكُ الْحَزِينَ إِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: عَنْ شِمَالِي. قَالَ: فَإِذَا أَتَتْكَ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي. قَالَ: فَإِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ، فَأَيْنَ تَجْعَلُهُ؟ قَالَ: أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي. قَالَ: وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ. قَالَ: بَلَى. قَالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَلَعَمْرِي — يَا مَعْشَرَ الطَّيْرِ — لَقَدْ فَضَّلَكُنَّ اللهُ عَلَيْنَا: إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا نَدْرِي فِي سَنَةٍ، وَتَبْلُغْنَ مَا لَا نَبْلُغُ، وَتُدْخِلْنَ رُءُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ فَهَنِيئًا لَكُنَّ. فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ مَكَانَهُ. فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ هَمْزَةً دَقَّتْ عُنُقَهُ. ثُمَّ

٩٥



الثعلب يخدع مالك الحزين — الثعلب وقد وثب على مالك الحزين فقتله

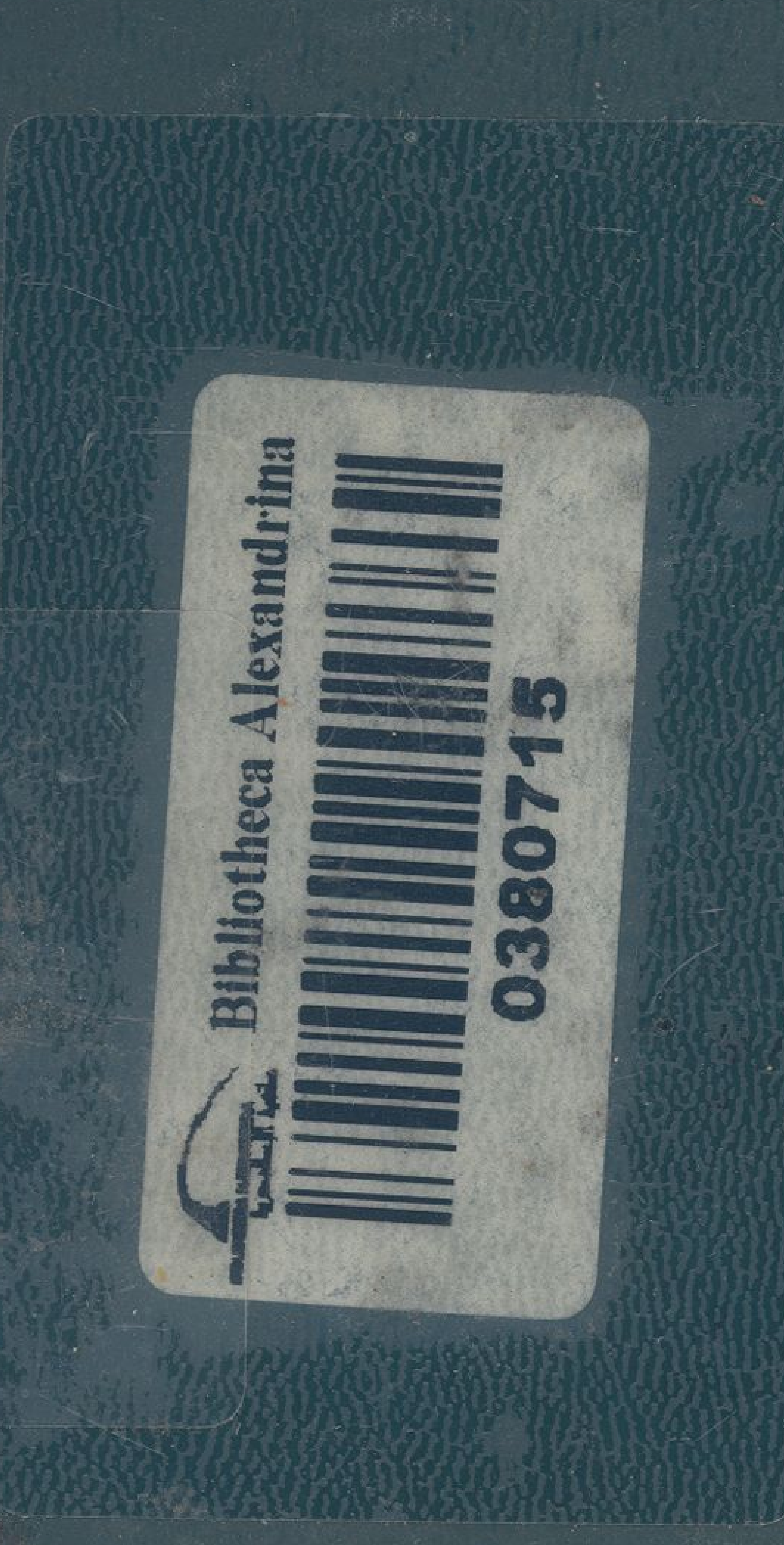
قَالَ : يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ : تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ وَتُعَلِّمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا وَتَعْجَزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَسْتَمْكِنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَأَكَلَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ بِالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ . وَمَلَكْتَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا مَعَ وُفُورِ سُرُورِكَ وَقُرَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَمُلَ فِيكَ الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَزَكَا مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ ، فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ ، وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ ، وَقَدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ وَاللِّينَ ، فَلَا

تُوجِدُ جُبْنًا عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَلَا ضِيقَ الصَّدْرِ عِنْدَمَا يَنُوبُكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هٰذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ الْأُمُورِ ، وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا ، فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذٰلِكَ غَايَةَ نُصْحِي وَاجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ فِطْنَتِي الْتِمَاسًا لِقَضَاءِ حَقِّكَ وَحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ بِإِعْمَالِ الْفِكْرَةِ وَالْعَقْلِ . فَجَاءَ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْآمِرُ بِالْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ الْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ ، وَلَا النَّاصِحُ بِأَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ مِنَ الْمَنْصُوحِ ، وَلَا الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنْ مُتَعَلِّمِهِ مِنْهُ . فَافْهَمْ ذٰلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

تم طبع المرة الرابعة سنة ١٩٣٤

أول جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ هـ


Bibliotheca Alexandrina
03807715